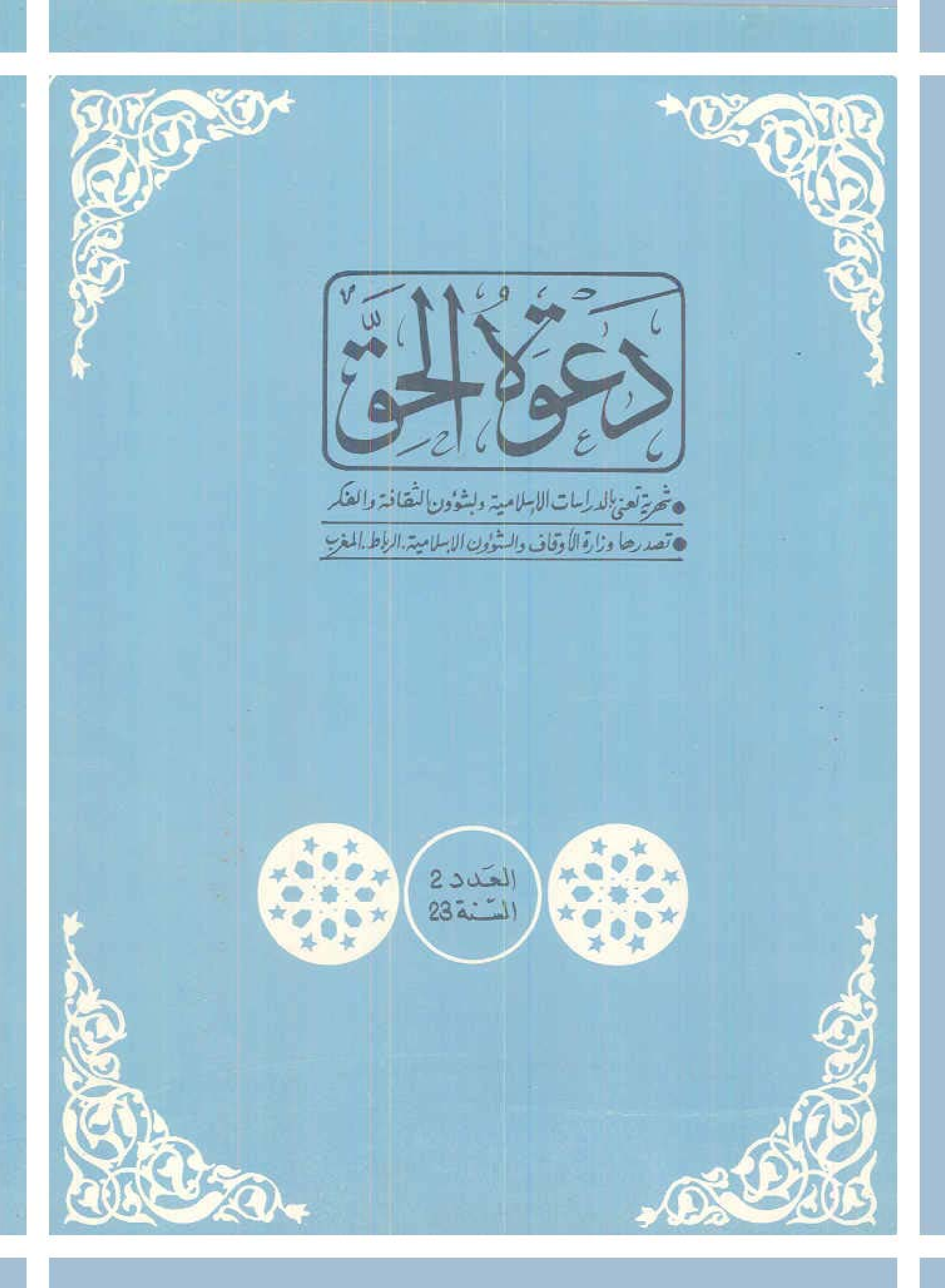

دعوة الحق
شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب
العدد 2
السنة 23

تحل في شهر يوليوز القادم الذكرى 25 لصدور مجلة



احتفاء بالعيد الفضي للمجلة ، نصدر عدداً خاصاً

عن

دور المجلة في الحياة الفكرية المغربية



تهيب بالسادة الأساتذة الكتاب المساهمة في

هذا العدد

بيانات ادارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة «دعــوة الحــق»

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب، الهاتف، 03 - 627 و 04 - 627

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل و 67 درهماً للخارج. والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة: 8 أعداد . لا يقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 2
السنة 23

جمادى الأولى 1402
أبريل 1982

هذا العدد

●● هذا العدد نافذة على مستوى الفكر والثقافة والدراسة الجامعية بالمغرب، فقد دأبت (دعوة الحق) على إبراز الطابع المميز للحياة الفكرية في هذه البلاد باختيار عينات منتقاة تمثل مختلف أوجه الإبداع الفكري والثقافي والأدبي والعلمي قاصدة بذلك تقديم خدمة ثقافية إلى القارىء بالمغرب والمشرق.

● و (دعوة الحق) ليست مجلة مغربية إقليمية محدودة الأفق، ولكنها مجلة العرب والمسلمين، فقد كانت دائما ملتقى الفكر الإسلامي والعلماء من مختلف أطراف الأرض، نشر فيها أعلام كبار من الهند وباكستان وايران والدول العربية وأوروبا الشرقية وافريقيا، وامتد أثرها إلى الأصقاع المتباعدة ومن أجل ذلك، حرصت المجلة على أن تحافظ دائما على مستواها الذي عرفت به مضحية في سبيل ذلك مجتهدة ما وسعها الاجتهاد من حيث ابتكار الأفكار الجديدة وجلب الأقلام الشابة وخلق إطار ثقافي للحوار الهادف الجاد المسؤول.

● وفي هذا العدد جانب مهم من التطور العلمي الآخذ في النمو فهو يجمع بين علماء القرويين ودار الحديث الحسنية وجامعة محمد الخامس إلى جانب الجيل الجديد الذي أخذ العلم عن الرواد بواسطة الكتاب والمجلة والصحيفة. و (دعوة الحق) بهذا الاعتبار تعتبر منبرا للفكر الإسلامي العربي.

●● إن دور مجلة (دعوة الحق) المستمد أساسا من رسالة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية يأخذ أبعاده وآفاقه من العقيدة الإسلامية والقيم العربية، فهي مجلة ملتزمة بالفكر الإسلامي أسلوبا ومحتوى واتجاها ومنحى، وهي حريصة على أن تنهض بالمسؤولية الملقاة على عاتقها في الساحة الثقافية.

● ويلتقي القارىء في هذا العدد مع طائفة من الكتاب الذين عرفوا بالتفوق والبروز في المجالات العلمية المتعددة.. وهم يقدمون في مقالاتهم ودراساتهم عصارة فكرهم وخلاصة بحثهم، متعاونين في ذلك مع مجلتهم التي تقوم بجهودهم وتنهض بمؤازرتهم.

رئيس التحرير

الثمن : 5 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

التأطير المغربي

●● رسمت الرسالة الملكية إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري الإطار الفكري العام للعمل الإسلامي على الصعيدين الوطني والدولي. ووضعت أسسا جديدة للدعوة الإسلامية في مجاليها التطبيقي والنظري، مما جعلها جديرة بإمعان النظر وإعمال الفكر وإطالة التأمل وتناولها بالتحليل والدرس.

لقد ازدهرت الدراسات الإسلامية خلال العقود الأخيرة ازدهارا ملحوظا، وظهرت اجتهادات جريئة كان لها وقعها وأثرها في الحقل العلمي، ونشطت حركة التنظير والتفكير، والتقعيد والتأصيل، في مجالات متعددة تتصل بالفكر الإسلامي، وتمت إلى الجانب السياسي منه بأوثق الصلات فظهرت مدارس فكرية جديدة، وراجت اتجاهات وأنماط سادت وانتشرت واستأثرت بالاهتمام، مما نشأ عنه ظهور تيارات متباينة، تتصادم، حينا وتلتقي في بعض القضايا حينا آخر، حتى أصبحت الساحة الفكرية الإسلامية معرضا حافلا بنماذج وأمثلة وصور من الفكر تحجب الحقائق عن السواد الأعظم من أبناء الأمة العربية الإسلامية.

● إن الاتجاهات الفكرية والثقافية والسياسية في العالم الإسلامي تطرح أمام المسلم المعاصر مشكل الاختيار، بحكم تشتت الذهنية واضطراب الرؤية وتداخل المفاهيم. الأمر الذي دفع بقلة من المفكرين الواعين بحقيقة الأزمة إلى استنباط الحلول وإيجاد البدائل للخروج من ظلمات التردد والارتجال والتجارب الفاشلة إلى نور اليقين والحسم والثقة بالنفس.

ومن المؤكد أن الرسالة الملكية بخصوصياتها وخصائصها، وبأهدافها ومراميها، تعتبر أهم إنجاز فكري أفرزه تطور التفكير الإسلامي طوال العقود الأخيرة.

●● إن أهمية هذه الرسالة تأتي من الأفكار الجديدة التي طرحت لأول مرة في الوسط السياسي، وعرضت على الأمة بهذا الوضوح الذي قربها إلى الافهام. ذلك أن

لنظرية الإحياء الإسلامي

العقلية الإسلامية، على امتداد آفاق العالم الإسلامي صيغت دائما على نمط موحد في أكثر ملامحه. باعتبار أن رجال الفكر والعلم والدعوة والتوجيه الديني ظلوا باستمرار المسؤولين المباشرين على قيادة الرأي العام الإسلامي. في حين ظل رجال الحكم والسياسة بمنأى عن مثل هذه المسؤولية. ولعل الظروف السياسية والاجتماعية والحضارية المتعاقبة من العوامل التي ساعدت على إحداث هذا الانفصام الذي يتعارض على طول الخط مع الفكرة الإسلامية.

● وجاءت الرسالة الملكية إلى الأمة الإسلامية لتكسر هذه القاعدة ولتقيم على أساسها بناء فكريا جديدا، هو بحق تأطير مغربي لنظرية الاحياء الإسلامي. التي أخذت تتبلور في أشكال متباينة تعكسها التطورات المتلاحقة التي تشهدها الساحة الإسلامية.

●● لقد أتى جلالة الملك في رسالته الإسلامية بما لم يأت به المنظرون والمفكرون، لأنه، حفظه الله، مزج النظرية بالدعوة الخالصة إلى التطبيق، وربط بين الفكرة والممارسة وحلل الأوضاع السائدة في العالم الإسلامي تحليلا موضوعيا بينا واضحا لا غموض فيه، وبذلك وضع أسسا جديدة - كل الجدة - قمينة أن تكون المنطلق لصحوة إسلامية شاملة.

● وإن المرء ليحق له أن يقول إن الرسالة الملكية خرجت بالفكر الإسلامي السياسي من ضبابيات التنظير إلى وضوح الفكرة المباشرة التي تقصد النفاذ إلى عمق الظواهر المعاشة فتحكمها وتخضعها لمنطق واقعي سليم.

●● إننا نؤكد من جديد أن الرسالة الملكية الإسلامية هي إسهام مغربي موفور الحظ في تأطير نظرية الإحياء الإسلامي.

عبد القادر الإدريسي

من رواد السلفية المغربية :



علال الفاسي المفكر الإسلامي

فصل من كتاب "شعراء الدعوة الإسلامية"

تأليف : أحمد عبد اللطيف الجدع
وحسني أدهم جرار

ما سمعت إسم المغرب أو قرأت عنه إلا وتذكرت علال الفاسي.

لقد ارتبط إسم المغرب في أذهاننا بإسم هذا الرجل الفذ كما ترتبط الحوادث الكبرى بأسماء الرجال العظام.

فالمغرب المسلم، والمغرب المجاهد، والمغرب المستقل، يدين بهذه الصفات لهذا الرجل العظيم الذي نذر نفسه منذ صباه حتى آخر لحظة من حياته للمحافظة على المغرب عربيا مسلما وحرا مستقلا.

عندما بدأ الإنحسار الإسلامي عن الأندلس (إسبانيا والبرتغال حاليا)، وحالف النصر الجيوش النصرانية، ارتكبت هذه الجيوش الهمجية أبشع الجرائم ضد المسلمين الذين جعلوا من الأندلس منارة للحضارة والعلم تشع على من حولها من الدول والشعوب. فقتلت أعدادا لا حصر لها، وأجبرت أعدادا أخرى على مغادرة البلاد فرارا بدينها، وألجأت أعدادا كبيرة على التنصر فرارا من الاضطهاد والتعذيب. ولم يقنعها هذا كله. بل ضاقت بأولئك الذين رضوا بالتحول عن دينهم إلى النصرانية، فأثارت حولهم الشكوك، وأقامت لهم محاكم التفتيش الشهيرة (1)، وسامتهم صنوفا وألوانا من العذاب لم يشهد لها التاريخ مثيلا في البشاعة والخسة والنذالة والبطش والتنكيل، وما زالت الأيام تكشف عن فظائع هذه المحاكمات التي أقيمت للمسلمين الأبرياء، وكان آخر هذه الإكتشافات ما نشر عن العثور على ثمانية آلاف جثة في برج مسدود في كنيسة مدينة ليزا بالقرب من الحدود البرتغالية الإسبانية، مات أصحابها جميعهم في جو من الخوف والرعب لا مثيل لهما كما جاء في تقرير اللجنة التي فحصت هذه الجثث (2).

وكانت أسرة آل الجد التي ينحدر منها علال الفاسي إحدى هاتيك الأسر التي فرت بدينها إلى المغرب عبر مضيق الفاتح الإسلامي العظيم طارق بن زياد، وسكنت مدينة فاس حيث عرفت منذ ذلك الوقت بعائلة الفاسي.

وحملت هذه الأسرة معها من الأندلس ما عرفت به من علم غزير ومعرفة واسعة، وباشرت منذ وصولها في تبليغ هذا العلم للناس، فكان منها علماء وقضاة ومؤلفون مشهورون.

وفي عام 1910م ولد بفاس طفل لهذه العائلة الكريمة، تبدو عليه مخايل الذكاء والنبوغ، فاهتمت به الأسرة إهتماما بالغا، وما إن بلغ سن التلقي حتى دفعه والده إلى الكتاب لتعلم القرآن الكريم، ذلك الزاد الذي لا يضل من جلس إلى مائدته وتزود من هديه.

---

1) لمزيد من المعلومات عما قامت به محاكم التفتيش ضد مسلمي الأندلس يراجع كتاب «محاكم التفتيش» تأليف الدكتور علي مظهر، نشر مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة سنة 1366 هـ.

2) راجع ما نشر عن هذا الإكتشاف في جريدة الدستور الأردنية العدد 4290 الصادر بتاريخ 21 /8/1399هـ.

وبعد أن اعتمد على هذه القاعدة الثابتة من كلام الله وهديه انتسب إلى المدرسة العربية الحرة في فاس للتزود بعلوم اللغة العربية، ثم استمر في دراسته بجامعة القرويين إلى أن حصل على الشهادة العالمية سنة 1937م.

وبدأ علال نشاطه في الحياة العامة قبل أن ينهي دراسته في القرويين، ورأى أن أفضل ما يقدمه لأمته علم ينفعها وأدب يرقى بها. فدعا مع جماعة من المخلصين للدين والوطن إلى إنشاء مدرسة يربى فيها الطلاب تربية إسلامية متينة، فأنشأوا المدرسة الناصرية، وكان علال أحد مدرسيها. فكان له في طلبتها أثر محمود رغم صغر سنه آنذاك. وهكذا الرجال العظام يبدأون وهم صغار السن، كبار الهمم، بالأعمال الجليلة التي تلفت إليهم الأنظار وتجمع حولهم القلوب.

وكان لدراسته الإسلامية أثره البالغ في توجيهه نحو العمل الوطني، فالإسلام الذي عليه تربى ومن معينه استقى أكبر عدو للإستغلال والظلم والعبودية. فما إن وعى علال على الحياة وأدرك أن هؤلاء الحاكمين غرباء عن وهلته، لا يدينون بدين أمته، حتى باشر في العمل على مقاومتهم وحربهم، فألف في سن مبكرة أول جمعية سرية من الشباب المؤمن في جامعة القرويين لمقاومة الإستعمار الفرنسي وأوليائه (3) من حثالات الأمة ونفايات البلاد، واختاره زملاؤه في هذه الجمعية رئيسا لها، يدير أمورها، ويوجه أعضاءها، ويقودهم في جهادهم في سبيل الله.
واتجه علال في جهاده إلى أمور وضعها بذكاء نصب عينيه، كلها تؤدي إلى استقلال الوطن وحريته وسعادته :

فجاهد ضد تصرفات الإدارة الأجنبية، ونبه الشعب إلى المقاصد الإستعمارية وراء هذه التصرفات، وطالب بشدة، كخطوة على الطريق، بإصلاح المجالس البلدية، بادئا بمدينة فاس، فمتى كان القائمون على هذه المجالس من المخلصين المجاهدين، فإن عملهم يتوجه للوطن والمواطنين. أما إذا استمر أولياء الفرنسيين في هذه المجالس فلن يرى الشعب نفعا ولا خيرا، وسيذهب النفع والخير إلى المستعمرين الظالمين.

ثم اتجه في جهاده لإصلاح التعليم في البلاد وبخاصة في جامعة القرويين التي كان أحد طلابها ثم واحدا من ألمع مدرسيها، وكان لجهاده في هذا الميدان أثر ملموس.

أما الميدان الثالث الذي شمله جهاده فهو تبصير الناس بحقيقة الدين، والعمل على تنقيته مما شابه في عصور التحجر من اعتقادات ضالة، وشن حملة موفقة على المشعوذين وأصحاب الطرق المنحرفة، وانتزع من حولهم أولئك الذين هربوا من الواقع وغمسوا أنفسهم في حلقات الشعوذة والضلال، وقادهم إلى طريق الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض.

كل هذه الميادين التي خاضها المجاهد الكبير كانت في سبيل نهضة إسلامية شاملة تجتث بوثبتها المستعمرين الذين ربضوا على صدر الوطن، وكتموا أنفاس بنيه، وصادروا حرية العقيدة، وألبسوا الضال ثوب المهتدي، والمجرم ثوب البريء، والخائن ثوب الشريف، فقربوا الجناة، وأبعدوا المستقيمين، ورفعوا الفساق وطأطؤوا من الشرفاء، أو هم حاولوا ذلك فوجدوا من علال الفاسي وأمثاله من العلماء الصادقين والمجاهدين الأبرار من تصدى لهم ووضع الأمور في نصابها.

ومن صفات أعداء الله أنهم كلما انكسر في أيديهم سلاح انتضوا سلاحا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحنوا أداة غيرها، حرصا منهم على حرب المسلمين، ولهفة منهم على القضاء على هذا الدين. لذا فإنهم عندما رأوا جهاد علال وأصحابه يؤتي ثماره في ميدان الإصلاح الإداري، بادروا سنة 1930م إلى إصدار ما يسمى بالظهير البربري، وهو محاولة من محاولاتهم اللئيمة للتفريق بين العرب والبربر من سكان البلاد. فتنبه علال وأصحابه المجاهدون لهذه المكيدة، فتصدوا للإدارة الفرنسية التي أصدرته، وأبدت الإدارة الفرنسية مقاومة شديدة للمجاهدين، فاعتقلت علالا، ولكنها عادت وأفرجت عنه بعد شهر، ثم عادت لاعتقاله مرة أخرى ونفته إلى جبال الأطلس بعيدا عن الجماهير التي كانت تتأثر به وتؤثره.

وعاد بعد النفي أصلب عودا، وأشد بأسا، وأكثر تصميما، وأكد زعامته ومكانته في البلاد تلك المواقف الصلبة التي وقفها من المستعمرين وأوليائهم رغم السجن والنفي، وطار إسمه في البلاد كواحد من أبرز الشخصيات المغربية في مقاومة المحتلين.

كان الزعيم الكبير على يقين بأن هذه الأمة لا تنهض إلا بالإسلام، ولا حياة لها إلا بالإيمان بهذا الدين العظيم، ولا قيمة لها في الحياة ولا وزن لها بين الأمم إلا إذا قدمت للعالم منهجا للحياة

---

3) آثرنا استعمال تعبير «أولياء الإستعمار» على التعبير الشائع «عملاء الإستعمار» لأن هذا التعبير هو الذي يرد في القرآن الكريم لمثل هذا المعنى، قال تعالى : «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين» الآية 28 من سورة آل عمران، وقال تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء» الآية 51 من سورة المائدة.

ينقذه مما هو فيه من اضطراب في السلوك وفوضى في الأخلاق وارتكاس في الفطرة وظلام في الحكم والسياسة. لذا فقد اتجه علال بعد عودته من المنفى إلى الإهتمام بالتعليم الحر. فأخذ يعقد الدروس المسائية في جامعة القرويين، ويلقي فيها على مستمعيه دروسا في التاريخ الإسلامي. وقد وضع نصب عينيه أن يصل بهذه الدروس إلى هدفين عظيمين. أولهما تربية الأمة تربية وطنية إسلامية تثير في نفوسها العزة، وتبعث فيها روح المقاومة الإسلامية للإستبداد والظلم والقهر والطغيان. وثانيهما بيان ما في تاريخنا العظيم من مواقف إنسانية سامية، وما في ديننا الحنيف من مثل عظمى وقواعد إنسانية تصلح لإشاعة العدالة في العالم أجمع.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المستعمرين في كل الأقطار الإسلامية عمدوا إلى تشويه التاريخ الإسلامي العظيم، وألحوا الإلحاح كله على إبراز مواقف الخلاف والمنازعات، وصاغوها بأسلوب ينفر أبناءنا من تاريخهم ورجالاته، وكلما حاول مصلح مخلص أن يعدل في هذه المناهج أو يصوغها صياغة تبعث روح الإعتزاز بهذا التاريخ، وتحيي روح التأسي به، حاربوه وأبعدوه، وسلطوا عليه ألسنة الأجراء وأقلام الأولياء... ولكن هذا الحال مستحيل الدوام، وتتابع جهود المخلصين كفيل بإبراز الوجه الحقيقي المشرق للتاريخ الإسلامي المجيد.

وحاولت الإدارة الفرنسية أن تمنع المجاهد الفاسي من إلقاء دروسه في التاريخ الإسلامي، ولكنها فشلت. فلجأت إلى آخر سهم في كنانتها. فحاولت اعتقاله سنة 1933م وهو عائد من طنجة إلى فاس، ولكنه علم بما يدبر له. فترك طنجة إلى أوروبا حيث بدأ اتصالاته بالشخصيات الإسلامية المجاهدة التي ألجأتها ظروف بلادها إلى الهجرة هناك، وكان أبرز من اتصل بهم في هذه الفترة الأمير شكيب أرسلان.

كان إبعاد علال الفاسي عن الشعب المغربي هو أقصى ما تتمناه الإدارة الفرنسية. وقد أحس المجاهد الكبير بذلك. فأسرع بالعودة إلى الوطن سنة 1934م. وتلقته الإدارة الفرنسية بالمغريات التي تذل لها الرقاب، وتزل فيها الأقدام. فأعرض عن كل هذا، واستعلى بنفسه عنه. وكيف يقبل من نذر نفسه لدينه وأمته أن يتعاون مع أعداء هذا الدين ومستغلي هذا الوطن ؟ وتحدى علال المستعمر ومغرياته وتجاهل تهديده ووعيده، وعاد إلى دروسه في التاريخ الإسلامي. فاشتد الإقبال على هذه الدروس وازداد تأثر الناس بها. فعملت على تكوين عقليات جديدة تفخر بتاريخها وتعتز بأبطالها. وبعثت من بين المستمعين رجالا أصبحوا فيما بعد القادة المجاهدين والعلماء الموجهين.

وشعر الفرنسيون بخطورة هذه الدروس. فأصدروا أوامرهم الظالمة بمنعه من التدريس في القرويين. فما استسلم. بل فتح منزله لتلاميذه ومريديه. وأخذ يلقي دروسه فيه.

ونتيجة لهذه الجهود المخلصة تكون في البلاد راي عام اخذ صوته يرتفع، ويزداد ارتفاعا مع تكثيف جهود المجاهدين من العلماء. فاجتمع نفر منهم وكونوا وفدا قدم «دفتر مطالب الشعب المغربي» لملك البلاد وللإدارة الفرنسية سنة 1934م. وبعد ذلك بقليل اجتمع هذا الوفد وأطلق على تنظيمه إسم «كتلة العمل الوطني» ونشطت هذه الكتلة في رص صفوفها وفي تنظيم أعضائها في خلايا عاملة، وأخذت برفع صوتها بالمطالب الوطنية العادلة.

وكان ذروة هذا النشاط عام 1936م. إذ أخذت الكتلة تعقد المؤتمرات، وتقيم التجمعات الشعبية، وأخذت تلح على مطالبها الوطنية، وتركز على كشف الأستار المسدلة على جرائم المستعمرين بحق العباد والبلاد. فكان لكل هذا أثره الكبير في إيقاظ الجماهير المغربية وفي بعث روح الجهاد فيها، وفي توجيهها نحو العمل الجاد المنظم.

وكان قمة العمل العلني الذي قادته هذه الكتلة ذلك الإجتماع الحاشد الذي دعت إليه في الدار البيضاء. فبادرت الإدارة الفرنسية إلى تطويق الإجتماع بجيشها. واعتقلت قادة الكتلة الوطنية وعلى رأسهم علال الفاسي. فانفجرت البلاد بمظاهرات غاضبة تطالب بإطلاق سراح المعتقلين وتحقيق المطالب العادلة للشعب المغربي.

أفرجت السلطة الفرنسية عن المجاهد الكبير بعد شهر من اعتقاله. فعاد لنشاطه باندفاع وحماس ويقين. ورد على إجراء الفرنسيين بحظر نشاط كتلة العمل الوطني بإنشاء الحزب الوطني برئاسته. فازداد الناس إقبالا على العمل الوطني، ووضعوا ثقتهم كاملة بالمجاهد الكبير.

ضاقت الإدارة الفرنسية بعلال ونشاطه. فاعتقلته سنة 1937م بعد أشهر معدودات من اعتقاله السابق. ونفته إلى الجابون في إفريقيا الإستوائية. واستمر نفيه تسع سنوات. كان فيها دائم الإتصال برجال حزبه وبالمجاهدين في بلاده، لا يخفى عليه شيء من أمر البلاد وحاكميها الظالمين. وكان من نتيجة هذا الاتصال أن تجمع لديه معلومات واسعة عن الوضع في بلاده وفي فرنسا. فتقدم من منفاه بطلب استقلال المغرب وقدمه إلى الحكومة الفرنسية التي كانت تطلق على نفسها حكومة فرنسا الحرة !

عاد من منفاه في الجابون إلى بلاده العزيزة على قلبه، وما زاد النفي الطويل على أن جعله أكثر إيمانا بقضية بلاده، فأعاد

تنظيم حزبه المحظور تحت إسم جديد هو «حزب الإستقلال» وبذلك أعلن الهدف الرئيسي الذي يسعى إليه في هذه الفترة وهو استقلال المغرب عن فرنسا كخطوة نحو عودة المغرب إلى الصف الإسلامي.

ونشط المجاهد الكبير في رقعة أوسع من وطنه عندما رأى أن يقوم بجولات في أوروبا والعالم الإسلامي يدعو لاستقلال بلاده ويشرح قضيتها للعالم، ويطلب مساعدة إخوانه المسلمين. وكانت الجامعة العربية قد ولدت، فاتصل بها، ودعاها لتؤدي واجبها نحو المغرب، الجوهرة الجميلة في عقد الدول العربية المسلمة.

بعد هذه الجولات التي امتدت سنوات عاد عام 1948م إلى طنجة ذات الإدارة المستقلة آنذاك، ومنها أخذ يوجه حزب الإستقلال في جهاده ضد الفرنسيين.

ثم عاد فجال جولة أخرى في البلاد العربية فشرح الوضع في المغرب وبين خطورة المؤامرات التي تدبرها فرنسا للمغرب وبخاصة تلك المؤامرات الموجهة لعقيدة الأمة ولغتها. وأخذ يكتب في الصحف والمجلات شارحا القضية لشعوب المسلمين، مناشدا كل ذي عاطفة إسلامية أن يهب لنجدة إخوانه في المغرب. فكان لجولاته وكتاباته أثر كبير في تعريف الشعوب الإسلامية بقضية المغرب، وفي وقفتها الصادقة مع شعبه المجاهد.

استمر جهاد الزعيم الكبير سلميا حتى هذه الفترة،ولكنه كان أثناءها يعد العدة للوثبة المسلحة، وعندما أقدمت فرنسا على اعتقال الملك محمد الخامس أصدر فورا «نداء القاهرة» وفيه أعلن الجهاد المسلح ضد الإحتلال الفرنسي، وأشرف بنفسه على إعداد جيش التحرير وعلى تزويده بالسلاح.

وأتبع المجاهد الكبير إعلان الجهاد بجولة واسعة على دول العالم ليشرح لهم تطورات الموقف في المغرب، والهدف من وراء إعلان الجهاد المسلح. وبقي المجاهد الكبير ملاحقا من الحكومة الفرنسية، وظل هو نشطا في إذكاء روح الجهاد في أبناء المغرب، وفي دفعهم للإلتحاق بجيش التحرير والمقاومة الشعبية، وظل مثابرا على توجيه المجاهدين إلى أن تحقق النصر، وأعلن استقلال المغرب، وعاد إلى الوطن، فاستقبله الناس استقبال الفاتحين.

لم ينته الجهاد بانتهاء الإحتلال، لذا فقد باشر علال فور وصوله إلى البلاد في تنظيم حزب الإستقلال ليمضي في جهاده لبناء المغرب المستقل على أسس العقيدة التي يؤمن بأن لا صلاح لأمته ووطنه إلا بها، ورغم الهزات المتكررة التي تعرض لها حزب الإستقلال نتيجة لتباين وجهات النظر في العمل في مرحلة ما بعد الإستقلال إلا أن شخصية هذا الزعيم المجاهد كانت دائما هي الضمان الوحيد لإستمرار الحزب وتماسكه.

وعندما أسس الملك محمد الخامس المجلس التأسيسي ليضع دستورا للبلاد عام 1960م كان من الطبيعي أن يختار لرئاسة هذا المجلس زعيم الجهاد المغربي علال الفاسي. ورغم أن هذا المجلس لم ينجح لأسباب سياسية، فإن بصمات علال بقيت ظاهرة التأثير في كل دراسة لوضع دستور للمغرب. وكان الدستور الذي وضع عام 1962م يحمل بين طياته أفكار علال وآراءه.

لقد كان لمساهمة هذا المجاهد الكبير في وزارات الدولة وفي مجالسها النيابية أثره في إصدار تشريعات في صالح الأمة ومن أجل تقدمها وازدهارها.

وبقي علال رئيسا لحزب الإستقلال، ينتخب بإجماع الأصوات في كل مؤتمر يعقده الحزب لهذه الغاية.

ولا يفوتنا أن نؤكد بأن جهاد علال الفاسي لم يقتصر على المغرب وحده، وإنما تعداه إلى سواه، فشارك في مجالات وطنية وإسلامية كثيرة، فقد اختير عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي المجمع العلمي العربي بدمشق، وهذا دليل على ما يتمتع به علال من ثقة القائمين على حفظ اللغة العربية وآدابها، ودليل على تمكنه في مجالي اللغة والأدب، ويؤكد هذه الثقة أيضا انتخابه رئيسا لهيئة دائرة معارف المغرب العربي (القسم المغربي).

وبقي المجاهد الكبير يعمل من أجل وطنه الصغير المغرب، ومن أجل وطنه الأكبر الذي يضم كل رقعة في العالم ارتفع فيها نداء التوحيد الخالد ، لا إله إلا الله محمد رسول الله. ونداء الجهاد الأكبر ، الله أكبر. إلى أن وافاه الأجل المكتوب، وذهب للقاء ربه عام 1974م، رحمه الله وغفر له.

مؤلفاتـــه :

ألف المجاهد الكبير باللغتين العربية والفرنسية، ولاقت كتبه اهتماما بالغا في الأوساط العلمية وفي أوساط المثقفين في العالم الإسلامي الكبير، وتناول العلماء والكتاب هذه المؤلفات بالتعليق والتحليل والتقريظ في اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.

وهذه المؤلفات هي :

1 ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها.
2 ـ دفاع عن الشريعة.
3 ـ عقيدة وجهاد.

4 ـ النقد الذاتي.
5 ـ الحركات الإستقلالية في المغرب العربي.
6 ـ نداء القاهرة.
7 ـ حديث المغرب في المشرق.
8 ـ المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى إلى اليوم.
9 ـ الحماية الإسبانية في المغرب من الوجهة التاريخية والقانونية.
10 ـ منهج الإستقلالية.
11 ـ معركة اليوم والغد.
12 ـ دائما مع الشعب.
13 ـ دفاعا عن وحدة البلاد.
14 ـ كي لا ننسى.
15 ـ الحقيقة عن الحدود المغربية (بالفرنسية).
16 ـ الكتاب الأحمر (بالفرنسية).

17 ـ المختار من شعر علال الفاسي، وهو مجموعة مختارة من شعره أعدته وأشرفت على طباعته اللجنة الثقافية لحزب الإستقلال، وصدرت طبعته الأولى عام 1976م.

18 ـ المثل الأعلى في الصدق والثبات وحسن الإنابة. وهي قصة شعرية مقتبسة من حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. وقدم لها بمقدمة طويلة حلل فيها مواقف هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم. وقد طبعت مرتين الأولى سنة 1350هـ والثانية سنة 1380هـ.

19 ـ الأنسية المغربية، وهي محاضرة ألقاها الزعيم المجاهد في مؤتمر الإتحاد العام لطلبة المغرب المنعقد سنة 1970م. وفيها ناقش مفهوم الأنسية عند الغرب، ثم ناقش مفهوم الأنسية الإسلامية، ثم أكد أن لكل أمة ولكل شعب أنسية. ومن هذا المفهوم تحدث عن الأنسية المغربية.

فالمفهوم العام للأنسية في الغرب هو «مجموع العقائد الأدبية والفنية التي كان يدعو لها إنسانيو النهضة» (4) وهي «ثقافة الروح والفكر التي تنشأ عن ممارسة الآداب الأصلية، والتذوق الذي يحصل من هذه الممارسة» (5).

وتستطيع أن تجد الأنسية المسلمة «في تصور الإسلام للحياة والعلاقة التي للإنسان بها، والغاية التي ترمي إليها حياة الإنسان الدنيوية، والعقائد والمبادىء والأفكار التي هي قوام المنهج الحضاري الذي يسير عليه الإنسان في علاقته بربه وبنفسه وبأسرته وبالناس وبالكون أجمع وفي النظام الإجتماعي الذي تقوم عليه حياة الجماعة المسلمة (6).

20 ـ يعتبر المنشور من شعر علال الفاسي أقله، ونحن نأمل أن تتم اللجنة الثقافية لحزب الإستقلال المهمة التي بدأتها، فتجمع وتنشر ما بقي من شعره، فهو ثروة ليس للمغرب وحده وإنما لكل مسلم يعتز بهذا الدين الذي نذر مجاهدنا الكبير حياته من أجله.

شعـــره :

بدأ علال الفاسي شاعرا، واستمر يقول الشعر طوال حياته، تهزه الأحداث الوطنية والمناسبات الإسلامية. وطابع التوجيه والتربية بارز في شعره، ولا عجب في هذا، فعلال الفاسي قائد مجاهد ومفكر واع ومرب فاضل وسياسي بارز، لذا فإن دارس شعره لا يعثر فيه على الألفاظ القاموسية والخيال الهائم، فهو يعمد إلى فكرته فيصوغها بألفاظ قريبة إلى أذهان الجماهير التي يخاطبها، ويؤديها بأسلوب يحقق له ما يهدف إليه من وراء صياغة فكرته شعرا، لذا فإننا نستطيع أن نقول بأن شاعرنا شاعر مضمون أولا، يوليه إهتماما بالغا، ويكرس الأسلوب لخدمته ويطوع الألفاظ لإبرازه، وهكذا كل صاحب فكرة يريدها أن تصل إلى الناس بسهولة ويسر، وهكذا صاحب القضية الوطنية يريد أن يجمع حولها جماهير المؤيدين، وجماهير الناس لا تحتمل تعقيدات اللغة ولا تستسيغ إيحاءات البلاغة.

وقد أثر اهتمامه البالغ بالمضمون على شكل القصيدة، فتجاوز في كثير من قصائده الوزن والقافية محافظا فقط على دفق الكلمات بنظام موسيقي لا يتبع بالضرورة موسيقى وأوزان الخليل.

ويستطيع الدارس لشعر علال أن يتناوله في موضوعين رئيسيين. الموضوع الأول ، هو القضية الوطنية المغربية، وفي هذا الجانب تجد الأحداث السياسية وقضايا الجهاد ومشاكل المواطنين والمعالم البارزة للمغرب كلها لها نصيب من شعره، والأحداث التي كونت حياته والعقبات التي اعترضت طريقه وكل ما أصابه من

4) الأنسية المغربية ص 3.
5) الأنسية المغربية ص 3.
6) الأنسية المغربية ص 8، 9.

المستعمرين لبلاده نجد له مكانا في شعره. والحديث عن حياته في شعره إنما هو حديث عن المغرب. ذلك لأن حياة علال جزء من تاريخ المغرب الحديث.

والموضوع الثاني الذي نجده في شعر علال هو قضايا العالم الإسلامي، وهذا أمر طبيعي إذا عرفنا أن علالا كان يعتبر الحل الإسلامي لقضية بلاده هو الحل الأمثل. وأن المغرب جزء من العالم الإسلامي لا انفصام له عنه.

فتح شاعرنا عينيه على مغرب يستغله الفرنسيون ويسومون أهله كل أنواع الذل والهوان. فطوى وهو في سن الخامسة عشرة عهد اللهو واللعب، وشمر عن ساق الجد والعمل. وكيف يلهو ويلعب وهو يرى بلده في قيد الإستعمار وقومه في ذل العبودية وظلام الجهل لقد هب علال للجهاد وهو صغير السن ولكنه عالي الهمة ماضي العزيمة. وهذا النموذج من شباب الإسلام نقدمه لشبابنا اليوم ونحن نراهم يركضون وراء لهوهم ولعبهم ومن حولهم تتواثب مشكلات أوطانهم وأمتهم وكأنها شيء لا يهمهم ولا يعنيهم.

يقول علال في قصيدة «سيعرفني قومي» (7) التي قالها سنة 1927 وهو في السابعة عشرة :

أبعد مرور الخمس عشرة ألعب
وألهو بلذات الحياة وأطرب

ولي نظر عال ونفس أبية
مقاما على هام المجرة تطلب

وعندي آمال أريد بلوغها
تضيع إذا لاعبت دهري وتذهب

ولي أمة منكودة الحظ لم تجد
سبيلا إلى العيش الذي تتطلب

قضيت عليها زهر عمري تحسرا
فما ساغ لي طعم ولا لذ مشرب

ولا راق لي نوم وإن نمت ساعة
فإني على جمر الغضا أتقلب

طاردته الإدارة الفرنسية، فهاجر إلى أوروبا هجرته الأولى فقال قصيدة «ذكريات وعهود» (8)، يؤكد فيها استمراره في الجهاد من أجل المغرب. ويهزأ بكل المؤامرات التي تدبرها له الإدارة المستعمرة، ويستهين بكل الصعاب التي تكتنف طريق جهاده الطويل :

أنا الوفي لشعبي والمدافع عن
قومي بكل يد عندي وعرفان

لا يحسب القوم أن النفي يرجعني
عن مبدإ حل في روحي وجثماني

أو أن عزمي يهوي من مؤامرة
قد دبرت من فرنسي وإسباني

ماالنفي؟ ماالسجن؟ بل ماالموت في وطن
مازلت أرعاه إخلاصا ويرعاني

وتعتبر قصيدة «في المغرب العزيز» (9) التي قالها في المنفى أجمل ما في المختارات التي بأيدينا، وأقواها من حيث الصياغة الفنية والفن الشعري، وأكثرها تعبيرا عن الحب الشديد الذي يملأ قلب الشاعر للمغرب، ولكل ما ضمه المغرب من رجال ونساء، وطوائف وفئات، وجبال ووهاد، وسهول وبحار، وتلال وأنهار، وأشجار وثمار، وأرض وسماء، وطير وحيوان...

وهذا مقطع منها يعبر فيه عن حنينه وشوقه للبلاد الحبيبة التي أخرج منها قسرا، وأجبر على الإبتعاد عن مرابعها :

بكل مكان من بلادي جنة
تخال جمال الكون منها تولدا

لقد كانت الفردوس لي غير أنني
فقدت بها وعد البقاء مخلدا

وأهبطت منها مثل آدم حينما
أصاب ضرارا في الجنان وحسدا

فسقيا لأعوام مضين بربعها
كما يبصر الإنسان حلما مبددا

وسقيا لأحباب ثووا برحابها
ونالتهم فيها السعادة سرمدا

وسقيا لإخوان نعمت بحبهم
وكنت لهم ذاك الأخ المتوددا

7) المختار من شعر علال الفاسي ص 87.
8) المختار من شعر علال الفاسي ص 17.
9) المختار من شعر علال الفاسي ص 71.

وعندما هبت قبيلة «أبناء خليفة» للدفاع عن أرضها التي حاول المعتدون المحتمون بسيف الحاكم اغتصابها منهم، هب علال الفاسي يدافع عنهم، ويحيي رجولتهم بدفاعهم عن حقهم، وقال في هذا الحادث قصيدة بعنوان «رسالة من أولاد خليفة» (10) منشورة في المختارات، كما نشرت نفس القصيدة بكتيب منفرد بعنوان «ليست الأرض لمن يغصبها، إنما الأرض لمن يحرثها». نقتطف منها المقطع التالي :

وأتى الحاكم يحمي،
غاصب الأرض بجند،
وسلاح وقنابل،
تضرب العزل من غير خناجر،
والذي صاح،
وكل الناس صاحوا :
أرضنا لن تأخذوها،
أقتلونا ودعوها،
إنما الأرض لمن يحرثها،
ليست الأرض لمن يغصبها،
ليست الأرض لمن ينزفها.

وكان شاعرنا مهتما أشد ما يكون الإهتمام بالفلاحين في بلاده، وله غير هذه القصيدة قصائد يشيد فيها بما يقدمه الفلاح من تضحيات في سبيل بلاده، وقد كرم شاعرنا الفلاح بقصيدته «الفلاح المغربي» (11) واعتبره سيد البلاد، وأبدى أساه لما يلاقيه الفلاح من إهمال الحكام واعتدائهم على أرضه وحقوقه :

سيد الشعب والبلاد المفدى
صار من كثرة التعاسة عبدا
جهل الشعب قيمة الزارع الكبـ
ـرى، فلم يوله اهتماما ووعدا
هو روح الحياة بشعب طرا
ليس يحيا سواه إن هو أودى
ليس في الشعب من يضحي لخيـ
ـر الشعب مثل الفلاح مهما أجدا
طالما ذب عن حمى الوطن الفا
لي وأولى بنيه عيشا وخلدا

ليت إخوانه يذودون عنه
فيؤدون بعض ما كان أدى

وكان شاعرنا واثقا من عودة الشعب الفلسطيني لأرضه ووطنه اطمئنانا منه إلى أن عملية اغتصاب فلسطين عملية شاذة لا يمكن أن تدوم، وثقة منه بنهضة المسلمين ويقظتهم من رقدتهم الحاضرة، ذلك لأن طبيعة دينهم تأبى عليهم الإستسلام للذل والهوان. وقد عبر عن هذا الرأي في قصيدة له بعنوان «فلسطين» (12) مطلعها :

ماذا أطيق من البيان الخالد
عن ذب شعب لا محالة عائد

وللشاعر أكثر من قصيدة في فلسطين، وله قصائد في قضايا العالم الإسلامي وقضايا المسلمين، تجدها فيما طبع من شعره وفي شعره المنشور في الصحف والمجلات، وفي القسم الذي لا يزال مخطوطا ينتظر الطبع.

وكان علال ينفر نفورا شديدا من الحكام الظالمين، يضيق بهم، ويحاربهم بسيفه وقلمه، وقد صور طغيان الحاكمين ومحاربتهم للفكر المستنير، وبين أن الإرهاب الفكري لا يجدي، وأن الظالمين مهما تجبروا فإن النصر في النهاية للفكر الحق الذي يحمل للبشر حريتهم وسعادتهم :

يقول في قصيدة «أوامر المنفى» (13) :

كذلك شاء الحاكمون بأمرهم
وكان عذاب الحاكمين غراما
نعم حكموا هاتي الجسوم وآلموا
وكانت جسوم العالمين حطاما
فهل قدروا أن يحكموا الفكر والهوى
ولا يتركوا الإيمان حيث أقاما
إذن فليمدوا كل ما شاء غيهم
فإني أرى النصر المبين ختاما

ومن المناسبات الإسلامية التي أولاها شاعرنا اهتماما كبيرا ذكرى مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم (14)، نورد هنا مقطعا من قصيدته التي قالها بهذه المناسبة الجليلة يتحدث فيه عن ليلة القدر المباركة :

(10) المختار من شعر علال الفاسي ص 141.
(11) المختار من شعر علال الفاسي ص 163.
(12) المختار من شعر علال الفاسي ص 159.
(13) المختار من شعر علال الفاسي ص 183.
(14) المختار من شعر علال الفاسي ص 185.

يا ليلة القدر التي شرفت بـــــه
وسمت على ألف الشهور تنـــزلا
فيك الحضارة كلها قد جمعـــت
وبك الهنا للعالمين تأثـــــــلا
إنا لنحيي فيك ميلاد النـــــا
والمجد والعرفان يوم تأصـــــلا
إنا لنحيي فيك إيمان الـــورى
بالله، والإنسان يوم تحمـــــلا
إنا لنحيي لحظة الأنس السعيـــ
ـــدة في حراء وسرها المتنقـــلا
ذكرى نزول الوحي في أرجائـــه
ومحمد يصغي لما قد أنـــزلا
وإذا بدنيانا حراء كلهـــــا
وكأن جبريلا يردد ما تـــــلا
وكأننا من حول أحمد خشـــع
جمع الزمان به، فيا ما أجمــــلا

وهناك جانب آخر هام في شعر علال لا يقل أهمية عما قدمنا من الجوانب، ذلك الجانب هو شعر الحكمة، وليس عجيبا أن يقول علال في الحكمة، فإن له من تجارب الحياة ومعاناة لأوائها ما يمكنه من استخلاص الحكمة وصياغتها بأسلوب جميل.

وبالإضافة إلى أبيات الحكمة المباشرة فإنه أيضا عمد إلى الأساطير المغربية فصاغها شعرا، وهو يهدف من ذلك إلى استخلاص العبرة والحكمة منها، ومن أمثلة ذلك قصيدتا «الجني وولده» و«النمرود والشيطان»، وهما في المختار من شعره.

وهذه أمثلة من رباعياته في الحكمة :

قال في المثل الأعلى :
من يطلب الحج للبيت الحرام فــلا
يشكو العناء الذي يلقاه في السفــر
كذلك المثل الأعلى فخادمـــــه
لا يشتكي ما يقاسيه من الضـــرر

وقال في زرع الأفكار :
من يزرع البذر في أرض يكد لهـــا
ويصبر النفس في الأوحال والمطـــر
كذاك من يزرع الأفكار في وطـــن
لا بد يصبر للأهوال والغيــــر

وقال في الإيمان بالمبدأ :
من شام نورا وقدما كان يطلبـــه
فليس يلويه عنه أي مقتـــــر
كذاك من نال إيمانا بمبدئـــه
فليس يعرف معنى الضعف والخـــور

مختاراتنا من شعـره :

1 ـ أغنية من الباطن، وهذه الأغنية شكاة وزفرات ينفثها شاعرنا من أعماقه، وثورة بركانية يطلقها على نفر من أبناء المغرب والوا الأجنبي المحتل، واستمرأوا الذل والهوان، وتوطنت في أعماقهم الهزيمة النفسية، فجعلت منهم إمعات وأشباها، رضوا بأن يكونوا من الأتباع الأذلة الذين لا يرون إلا ما يراه السادة الحاكمون.

وهذه الصيحات التي يطلقها شاعرنا في وجه هذه الفئة تعري تبعيتها، وتكشف انفصالهم عن الأمة وانفصامهم عن معتقداتها.

فهذه الفئة من الناس هجرت لغتها وفتنت بلغة الفاتحين، فأصبح لسانها غريبا في وطنها وعن أمتها.

وهي أيضا رضيت بحكم الأجنبي لبلادها وتخلت عن فكرة التحرير، فانساقت وراء ما يريده المحتلون، وبررت انسياقها بأسماء براقة من التقنية والتحرر والتقدمية...

ورضيت هذه الفئة أيضا أن تكون سيفا مسلطا على كل ما من شأنه أن يؤكد شخصية الأمة ويبعث فيها روح المقاومة للمعتدين، فحاربت دين الأمة الذي به تؤمن وإليه تحتكم، وزرعت في البلاد مقابل ذلك قوانين المستعمرين وأحكامهم وتشريعاتهم، وقاومت المعاهد الإسلامية وبخاصة جامعة القرويين التي تحافظ على كيان الأمة بالمحافظة على دينها ولغتها وتاريخها، ونشرت مقابل ذلك مدارس التبشير وشجعت المذاهب المنحرفة التي تدين بالولاء للمحتلين كالبهائية.

وأخيرا فإن شاعرنا ينفي أن تكون هذه الطائفة من الناس ذات انتماء قومي مغربي وديني إسلامي، ويصفها بالخروج عن الأمة، ويعتبرها عدوا مع الأعداء، ويدعو إلى نبذها ومقاطعتها.

ونود أن ننبه إلى أن هذا اللون من البشر الذي قدم لنا شاعرنا صورة عنه موجود في كل الأقطار التي ابتليت بالإستعمار.

2 ـ أزهار سعيدة إلى روح الشهيد أحمد بيلو ، منذ الضربة القاسية التي أنزلها التحالف الصليبي اليهودي بالمسلمين بالقضاء على الخلافة العثمانية، وتجزئة الدولة الإسلامية إلى دويلات،

واقتسام هذه الدويلات بين الدول النصرانية واليهود. والمحاولات لإقالة هذه الكبوة والنهوض من هذه السقطة لا تهدأ ولا تفتر في صفوف الغيورين من المسلمين، وعلى الرغم من هول النكبة وعظم المصيبة التي أفقدت الغالبية من أبناء المسلمين توازنهم، إلا أن نفرا من علماء المسلمين تماسكوا أمام الضربة وصمدوا لها، ثم انطلقوا يقاومونها.

وتعددت أساليب المقاومة، فنفر من المسلمين اتخذ جانب البحث الفكري، وآخرون جانب البعث الإجتماعي والتوجيه السياسي.... واستمرت هذه الحركات نصف قرن تجاهد كل ما اخترعه المستعمرون من أساليب ووسائل للقضاء على الإسلام كعقيدة وعلى المسلمين كأمة.

وكانت نتائج هذا الجهاد أن صحا قسم كبير من المسلمين على واقعهم، وتبين لهم أن لا نجاة لهم إلا بالإسلام، ولا منقذ لهم من الضياع إلا بالرجوع إلى ما أمر به الله، وفي بعض الأحيان تجاوزت جهود المصلحين المجاهدين حدود المسلمين لتؤثر ببطء في أوروبا وأمريكا وبسرعة في إفريقيا حتى أصبحت القارة الإفريقية قارة إسلامية في غالبيتها، ولولا ثراء الأعداء وقوتهم العسكرية وتقدمهم المادي ما رأينا في إفريقيا اليوم شخصا واحدا يدين بغير الإسلام.

هذه الجهود وهذا الجهاد قام به علماء أعلام وقادة أفذاذ نذروا حياتهم لخدمة الإسلام دين الله الخالد. وعلى رأس هؤلاء المجاهدين العالم الجليل والمجاهد الشهيد والسياسي الإسلامي الحاج أحمد بيلو رئيس وزراء نيجيريا الشمالية رحمه الله وجزاه عن دينه خير الجزاء.

وحياة أحمد بيلو (15) صفحة من صفحات الجهاد الإسلامي المعاصر، تستطيع أن ترى فيها تاريخ الإسلام في العصر الحديث، وثبات هذا الدين أمام كل الدعوات والهجمات. وفيها أيضا صورة كئيبة قاتمة عن عداء الصليبية الدفين لكل من أخلص لله ولرسوله، فقد صب هؤلاء الحاقدون حقدهم برصاصات أفرغوها في جسد الشهيد العظيم، وفي أجساد كل أفراد أسرته من نساء وأطفال، ظنا منهم أنهم بالقضاء على هذه الشجرة التي جذرها أحمد بيلو سيقضون على صوت الإسلام الداوي ودعوته النافذة. وهيهات هيهات.... فالله قد وعد أن يتم نوره ولو كره الكافرون.... ولو علم هؤلاء الذين أعماهم الحقد أن الشهادة أمنية كل مجاهد لما أهدوها لأحمد بيلو ولإخوانه من المجاهدين.

3 ـ اضطهاد لغة القرآن : اقتضى الهجوم الذي شنته الصليبية وحلفاؤها على الإسلام، الهجوم على اللغة العربية لأنها لغة هذا الدين. ولعل اختيار شاعرنا لهذا العنوان «اضطهاد لغة القرآن» إيماء لهذا المعنى، فأعداؤنا ركزوا هجومهم على اللغة العربية إدراكا منهم أن القرآن الكريم لا تمكن قراءته إذا استطاعوا القضاء على العربية. والحقيقة التي نريد أن نؤكدها هنا أن الله تكفل بحفظ هذه اللغة لأنه تكفل أساسا بحفظ القرآن الكريم «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» (16).

وعندما رأى المخلصون من أبناء الأمة هذا الهجوم المسعور على لغتهم هبوا للدفاع عنها، وحمايتها من المكائد التي تدبر لها بالسر والعلن وبالليل والنهار، وأخذ المخلصون من الشعراء دورهم في الرد على المهاجمين. فقال الشاعر حافظ إبراهيم قصيدته المشهورة التي مطلعها (17) :

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتـــــي
وناديت قومي فاحتسبت حياتـــــي

وفيها يقول :

وسعت كتاب الله لفظا وغايـــــة
وما ضقت عن آي به وعظـــــات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلـــة
وتنسيق أسماء لمخترعـــــات
أنا البحر في أحشائه الدر كامـــن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتـــي ؟

وقال الشاعر عبد الرحيم محمود يحث على التمسك باللغة التي يشن عليها المستعمرون حربا مقنعة بحسن النوايا (18) :

لا تأمنوا المستعمرين فكم لهـــم
حرب تقنع وجهها بســــلام
حرب على لغة البلاد وأرضهـــا
ليست تشن بمدفع وحســـام

15) للإطلاع على سيرة الشهيد أحمد بيلو يراجع ما كتبه بنفسه في كتابه «حياتي» وهو من منشورات الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.
16) الآية التاسعة من سورة الحجر.
17) ديوانه ج 1 ص 253.
18) ديوانه ص 151.

والشعب إن سلمت له أوطانـــــــه
ولسانه، لم يخش قطع الهـــــــام

ويحث إبراهيم طوقان قومه على الحفاظ على لغتهم لأن الشعب الذي يحافظ على لغته حية لا بد له يوما أن يتغلب على مستعمريه وينال حريته. لأن حفاظه على لغته دليل على أصالته وحيويته (19).

إذا لغة عزت ـ وإن ضيم أهلهـــا ـ
فقد أوشك استقلالهم أن يوطـــــدا

ويقول أبو الفضل الوليد معبرا عن شدة تعلقه باللغة العربية ،
كفاها أنها الله اصطفاهـــــــــــا
لقرآن تبلج كالصبـــــــــــاح
طربت لسمعها طفلا وإنـــــــــي
لتطربني وقبري لانفتــــــــاح

وفي قصيدة شاعرنا علال الفاسي كثير من المواقف التي تسترعي الإنتباه وتستحق التعليق فالهجمة على اللغة العربية يقودها الإستعمار، وهي في المغرب أشد منها في المشرق، ذلك لأن الإستعمار في المغرب فرض لغته على الناس وحرم عليهم لغتهم.

فالعودة إلى اللغة العربية هناك مطلب وطني وواجب إسلامي، لأنه يعتبر انتصارا على المستعمرين، بالإضافة إلى ضرورة اللغة من الوجهة النفسية والناحية الدينية لأمة تنتسب إلى الإسلام وكتابه العربي «إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» (20).

ووقفة أخرى مع علال وقصيدته هذه حيث يطلعنا على أن الحكومات التي خلفت الإستعمار تباطأ بعضها في نشر اللغة العربية وبقي على استعماله للغة المستعمرين، فشن عليهم هجوما قاسيا، ودعاهم للخضوع لإرادة الأمة التي تريد الإسراع في العودة لأصولها.

ومصيبة أمتنا ببعض حكوماتها مصيبة تربو على مصيبتها بالإستعمار، فالإستعمار لم يستطع أن يغير على حروف اللغة العربية فيغيرها كما فعلت بعض الدول التي أجبرت شعبها على كتابة لغته بحروف الإستعمار الصليبي، فأصبحت هذه الشعوب تقوم وتنام وصورة الإستعمار ماثلة أمامها في كل لحظة وفي كل مكان.

ولست أدري كيف تكون دولة عضوا في جامعة الدول «العربية» ولا تستعمل حروف اللغة «العربية».

أليس هذا من البلاء ؟ !

أهنيـة من الباطن (21)

قولوا لنا ،
هل أنتم من قومنا ؟
من شعبنا، من أرضنا ؟
قولوا لنا ،
هل أنتم من ديننا ؟
من جنسنا، من أهلنا ؟
أم أنتم الإفرنج من أبناء غال ؟
وتراثكم من غيرنا ؟
قولوا لنا ،
إن كنتم من قومنا، فعلام لا ترضون أن تتكلموا بلساننا ؟
وعلام في كل المجالس تنطقون
تتحدثون وتدرسون وتكتبون
كأعاجم لا يعرفون من الكلام
سوى لغات الفاتحين ؟
وتفرنسون شبابنا وبرامج التعليم
ومناهج التفكير والأبحاث والتدوين
وعلام لا ترضون بالعربية الفصحى
لغة الإدارة والدراسة والشؤون
قولوا لنا ،
مع ذاك هل أنتم لنا
من قومنا ؟
قولوا لنا ،

ه ه ه

إن كنتم من شعبنا فعلام لا تتحررون ؟
تتحالفون مع الأجانب في ابتزاز متاعنا، أموالنا، خيراتنا،
وتدافعون عن الرواسب، رأس مال الأجنبي.

---

19) ديوانه ص 107.
20) الآية الثانية من سورة يوسف.
21) المختار من شعر علال الفاسي ص 41.

وتفضلون تراثه ورجاله ومعلميه،
وتخلدون الهيمنات الأجنبية، والتسلط باسم ما تدعونه
بالتقنية،
تتحالفون لأنكم تخشون شعبا أنتم منه !
كذلك تدعون !
قولوا لنا، مع ذاك، هل أنتم لنا، من شعبنا ؟
قولوا لنا،

٥ ٥ ٥

إن كنتم من أرضنا، فعلام لا تستعجلون
رد الأراضي من يد المستعمرين
وعلام لا تستعجلون خروج جيش الأجنبي
وتحررون قواعد الوطن العزيز
قولوا لنا ،
هل أنتم من قومنا، من شعبنا، من أرضنا ؟
قولوا لنا ،
إن كنتم من أرضنا فعلام لا تتقدمون، وتنظمون نضالنا
لنرد ما أخذوه من أقطارنا، صحرائنا..
ولنخرج الإسبان من تلك المدائن ، سبتة ومليلة ومن العيون
ولنسترد لأرضنا وادي الذهب
ومن الجيوب لدى الشمال وفي الجنوب
مع ذاك، هل أنتم لنا ؟
من أرضنا ؟

٥ ٥ ٥

قولوا لنا ،
إن كنتم من ديننا، فعلام لا تتحاكمون إلى شريعة ديننا ؟
وتفضلون الأجنبي إذا تشرع أو حكم ؟
وتقاومون معاهد الإسلام
وعلومه، وثقافة الإسلام في أسمى أصالة
وتراثنا السامي، وجامعة بناها الأولون،
وتتابعت في رفع رايتها القرون
وتفجرت منها العلوم
وتشجعون مدارس التبشير والتنصير
ومعاهد المتهودين

ومراكز البعثات
وتسامحون مبشري الزيغ الجديد
زيغ البهائية الحقود
حلف الصهاينة الكنود
مع ذاك هل أنتم لنا، من ديننا ؟
قولوا لنا ،
هل أنتم من ديننا، من قومنا، من شعبنا، من أرضنا ؟
قولوا لنا،

أزهـــار سعيـــــدة (22)

إلى روح الشهيد أحمد بيلو

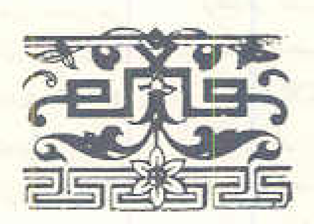
يا رائدا في عالم الظلم المخيم والظلام
يا ناشرا نور الحقيقة بين أشباه الأنام
يا من ترفع من عوالم لا تمت إلى رؤاه
يا من يحلق في فضاء لا نهاية في سماه،
قف، هاهنا الدرب المضلل
ها هنا علم الحواة
ماذا تريد من الحياة ؟
أليس أن تهب الحياة ؟
أسمعت أنات الشعوب
تضيق بالقوم الجفاة
رددت أصداء الشكاة
تدوسها قدم العتاة
حطمت أقلام البغاة
فهل يلين لك القناة
يا قاهر العملاء
عباد الدخيل
مقدسي النزلاء
يا رافعا علم الحقيقة عند من قتلوها
قف، ها هنا غار الأفاعي
ها هنا من دربوها
من أطلقوها
يا ناسكا في صمته

---

22) المختار من شعر علال الفاسي ص 89.

ومعلما في نطقه
ومسيرا في نهجه
يا داعيا للجد في دنيا اللعب
دنيا الصغار
تقمصوا جلد الكبار
دنيا القطوط
تقمصوا ثوب الأسد
ويجيب بيلو، صوت إفريقيا
وصوت المؤمنين
ويجيب من أعلى ، عرفت مسيرتي،
أنا سابح في الغيس
في الحما الشنيع، وفي الدماء، وفي الدموع
دعني أعم في الطين، في بحر الجرائيم،
دعني أسر، فهناك في أقصى الطريق
من بعد وادي الغيس
من بعد ضايات الأفاعي
من بعد دارات الحواة
من بعد آلاف الدروب
والموت تلفح كالجحيم
والقوت من رأس الشياطين
ولا سبيل إلى النجاة
في الموت، في نفق المنية
منفذ يفضي إلى نبع الحياة
يفضي إلى النور البهيج
إلى عوالم، لا دموع ولا دماء

من حيث يبزغ للشعوب
النور من روح الضحايا
دعني أمت بيد الطغاة
دعني أذق سم الأفاعي
فأنا القوي، أنا الشهيد
سأقهر الطاغي العنيد
وسأنبت الوعي العميق
وسأسرج الفكر الذي
أطفته لفحات العواصفْ
الخانقات النور
العاديات على الزهور
ولسوف أجمعها مواكب
هادفات لا تخاف من الكوارث
السائرات على هدى
نحو الحياة الحق، نحو النور
من روح خباب إلى روحي
أنا بيلو، ميازيب اليقين
من زيت مشكاة الحقيقة
من فيض فيض الوحي
ويسيح منسابا على جنات
أوطان النبوة، بعد حين
وتعود للإسلام أمته الوحيدة
ويتم للأرض السلام
وأخوة الإنسان للإنسان
وتعيش أزهاري السعيدة.





مع اللغة

للأستاذ محمد بن تاويت

كلمة لغة لم تكن معروفة في الجاهلية وأوائل الإسلام. بل كان المستعمل مكانها هو لسان ففي القرآن «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه» و «بلسان عربي مبين» و «هو أفصح مني لسانا» وكذلك نجد الارتباط بين اللسان كلغة وبينه كعضو في عامة اللغات الأوروبية، المتفرعة من اللاتينية وغيرها وكذا الفارسية أما كلمة لغة، فيبدو أنها جاءت إلى العربية من اليونانية
ولا علاقة لها باللغو إلا من باب الصدفة وقد ورد من هذه قوله تعالى ، «لاتسمعوا لهذا الحديث والغوا فيه» والحديث «ومن لغا فلا جمعة له» فالمراد به إحداث الصوت بدليل ما بعده.

إذن فليس معنى اللغو الكلام أو القول على العموم، بل معناه التهريج وإحداث الأصوات التي تشوش على السامع وتجعله لا يستفيد مما يلقى عليه فهو تهريج كما قلنا.

في اللغات الفارسية والانجليزية والألمانية، ياتون بفعل من الإرادة، مساعدا لغيره في الفعل المستقبل ولعل العربية كانت ستسلك نفس السبيل، لو لم تقطعه عليها saaupa الآرامية، كما يرى برجستراسر، وهي «سوف» التي صارت تختزل بالسين والفاء أو بالسين والواو أو بالسين وحدها ومع هذا فإننا نجد في القرآن الكريم اتصالا بذلك في قوله تعالى ، «فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض»

إذ معنى «يريد» هنا أنه كان سينقض أو على وشك الانقضاض، ولا معنى أن تقع الإرادة من الجمادات كالجدار هنا.

ومن الأفعال ما تتعرض للشلل أو لتعطيل حركتها أو لتحديد تلك الحركة، وذلك عند الاستغناء غالبا عن معمولها مدة يتناسى فيها ذلك العمل لها والمعمول بالمرة، بل منها ما يموت فتنص عليه معاجمنا بأنه فعل ممات، وتنص عليه معاجم غيرنا بأنه ميت أما المشلول هذا فما نجده في عديد من الأفعال بالعربية، مثلا

كلمة «ظهر» كانت متعدية، كما في القرآن «فما استطاعوا أن يظهروه» وحذف المفعول واقتصر على متعلقة، كما في قوله كذلك «إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم» ثم صار الجميع يتناسى، فأصبحت الكلمة قاصرة، بعد ما كانت تشارك المتعدية في الاستعمال، كما في القرآن «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» ومن الغريب أن «نمودن» الفارسية تكون بمعنى الظهور والاظهار، ومن ذلك كلمة الوقوف كانت متعدية، ولم تأت في القرآن إلا كذلك نحو «وقفوهم انهم مسؤولون» «إذا الظالمون موقوفون» ومن هنا «الوقف» بمعنى التحبيس، فالأوقاف جمع وقف، لأن «أفعال» جمعا مطرد في كل اسم ثلاثي ومن ذلك أيضا الاصغاء، فقد كان متعديا بمعنى امالة الاذن، وهو ما تنبه له الجرجاني أو نقله عن غيره وكذلك الاصاخة، فسبيلها سبيل سابقها، كانت متعدية فأصبحت قاصرة، بسبب حذف مفعولهما للعلم به والاستغناء عن ذكره، فضاع المسكين بهذا وتولى إلى لا رجعة.

ومن ذلك الإقامة، فقد كانت متعدية إلى نحو الخيمة أو البيت، فنحو أقام بالمكان، أي خيمته .

ومن قبيل هذا نزل، إذ كانت مرتبطة. بالمنزول عنه. فكان يقال نزل عن دابته أو ناقته مثلا ولكن إذا لم تكن الناقة وغيرها ترتبط بها الأهمية أو كانت معروفة للسامع، لم تذكر ولم يذكر معها ما تعلق بها من الف فاقتصر على مجرد النزول. كأنه لا علاقة له بغيره فيما بعد.

وفيما يخص الحرف بالذات، فقد يتعرض إلى الإهمال، في نحو «وليدخل المسجد» و «دخل المدينة» «فالدخول يتعدى بإلى في طبيعته هنا أو بفي، وقد جاء الاستعملان في «فادخلي في عبادي وادخلي جنتي»، ولكن صار الاستغناء عنه فاشيا ظن أن مدخوله مفعول به. فكان التعدي منه، بسبب من الحذف عكس ماسبق ومنه حذف لام الجر، كما في قول الشاعر :

«ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا» يريد جنيت لك

ومنه حذف «من» في قوله تعالى : «واختار موسى قومه» أي من قومه، كما نص على ذلك المبرد في كامله ولكثرة تعرض حروف المعاني لهذا الحذف، استحدثت في العربية قاعدة عامة «النصب على نزع الخافض» بل ان وجود المفعول فيه ما كان إلا بسبب من هذا الحذف، فهو مضمن «في» كما أن الحال كذلك، فهو مفهم «في حال» وكذلك التمييز، فهو بمعنى «من» وكذلك الإضافة، فلم، تكن إلا بعد حذف حروف يسبق المضاف إليه كما في غالب اللغات الأوربية عدا الألمانية وهذا الحرف قد يكون «من» و «في» اللام بل ان الدارسين لفقه اللغات استظهروا أن يكون وجود المفعول به، بسبب حذف الحرف الذي كان داخلا عليه (كما هو الشأن في اللغات وهو ما بالاسبانية التي تأتي بحرف قال بهذا استاذنا الفقيد Paul Kraus أستاذ فقه اللغة الأوربية إن كان المفعول به ظاهرا في الغالب.

ومما يستأنس فيه على صحة هذه القولة أن الفعل القاصر يعدى بحرف جر، كما قال النحاة، وأن حرف الجر هذا ان حذف بعدئذ فإن النصب يكون للمجرور، نقلا كما يقول ابن مالك، وان هذا الحذف مطرد إن كان المدخول أن بالفتح مخففة أو مشددة.

ويقول أستاذنا المذكور باول كراوس أن أل التعريف أصلها للإشارة، فهي في «اليوم أكملت لكم دينكم» بمعنى هذا اليوم، ونحن نستأنس في صحة هذه القولة أيضا، أنه ورد في القرآن كذلك بدلها الإشارة كما في قوله تعالى : «هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم» فهو في قوة «اليوم ينفع الصادقين صدقهم».

«وأل» هذه لا تجامع الإضافة، إن كانت محضة، ولذلك منعوا دخولها على كل وبعض وغير، وإن أطفالنا تعلموا وهم مقبلون على دراسة الأجرومية، أن التنوين الموجود في كل وبعض، إنما هو تنوين عوض، عن المضاف إليه المحذوف، لأن كلا منهما ملازم للإضافة، ومحرم عليه تحريما قاطعا، أن ينفصل عنها بإدخال أل عليه.

كما أن الشادين من تلاميذنا، يحققون أن «غير» إذا قطعت عن الإضافة لفظا، فهي تبنى على الضم، منتظرة لما أضيفت إليه ناوية وجوده معها، كما قالت الخلاصة :

وأضمم بناء غير إن عدمت ما   له أضيف ناويا ما عدما

إذن فالاجرومية والألفية، كلتاهما، تهدينا لكون الكلمات الثلاث لاتتحمل «أل» البتة، ولسنا في حاجة لا للحريري ولا لغيره من الخواص وخواص الخواص، لنرفع عقيرتنا بهذا الخطأ الذي يرتكبه الناس أو بعضهم بعض الناس، مأخوذين بعزة الاثم، أو بعصبية الاسم «ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها» ولا نكن «مزهويين» حاطبين في حبل غيرنا من المغرورين الآثمين الذين هم «أزهى من ديك» وكلمة «قد» في العربية، كلمة تدل على الحدة والبت في الأمر، فهي مثل «قط» في المضي، لكنها تخالفها في كون المعنى بها منفيا يؤكد نفيه بقط، على حين تكون هي في حيز الإيجاب وحده، تقابلها «لما» المشددة في حيز النفي.

ومن هنا قال الجهابذة، وتبعهم غيرهم، من التابعين ونحن منهم : إن «قد» لا تدخل على المنفي، فلا يقال : «قد لا يكون» مثلا، وما ورد من ذلك فمصنوع أو معمول من غير الذين يحتج بهم على سلامة الاستعمال في هذه اللغة المغلوبة ليومنا «ولا يغلبك مثل مغلب» فلقد قال المناطقة «قد يكون وقد لايكون » كما قالوا «الكل والكلية» وهو غير حجة في استعملات اللغة، وإن كانت قوانينهم تعصم الأفكار من الخطأ، كما قال الأخضري.

على أننا لا نشيح بأنفسنا عنهم، باعتبارهم يخطئون في الاستعمال العربي، بل اننا نقول أنهم كانوا مضطرين غالبا ـ وهم يشرحون قضايا وضعت بلغة غير لغتهم ـ إلى تجسيم الفكرة، ولو في الصورة ـ مبدئيا ـ صورة لا تستحسنها لغتنا ويقتضيها تقعيد قضايا منطقهم فاعتربهم من شعرائنا ابن حبوس وقال : «والكل فجنب الإمام نقص وبعده بقرن قال ابن مالك : «والمصروف قد لاينصرف» فهو حجة في علمه لا في أسلوبه.

وهذا بالضبط ما حصل لهم . حينما أرادوا أن يجسموا النسبة بين الموضوع والمحمول، فاستطاعوا أن يشخصوها في النطق القضية سالبة، ولم يستطيعوا ذلك والقضية موجبة . لأن العربية

لاتنطق بهذه النسبة، التي هي رابطة بين المبتدأ والخبر، كل ما هنالك أن النحاة قالوا إن الخبر إذا كان مشتقا فهو «ذو ضمير مستكن» كما قالت ألفيتنا.

وهذا الضمير المستكن، هو الذي تعبر عنه لغة اليوم «بهو» أو «هي» مثلا، وعلى الإطلاق في كل خبر، مشتقا كان أم جامدا فيقولون مثلا «ماهو كذا» أو «ماهي كذا» أو من هم هؤلاء الرجال... إلى غير ذلك.

والصواب «ما كذا» و «من هؤلاء» ولا لزوم، بل لا جواز لهو أو هي أو هؤلاء، لأن الجملة اكتفت بطرفيها الموضوع والمحمول، هنا، ولا نسبة ينطق بها رابطة بين المبتدأ والخبر، كما في اللغات غير العربية، أوربية وغيرها. وفي القرآن الكريم «وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن» ولم يقولوا «وما هو الرحمن» ومن الأشياء التي نحمدها لغيرنا ولا نملكها لأنفسنا حتى الآن المعاجم المحددة بحقب الزمان، ومنها الموسوعات. فالمفردات اللغوية شخوص ماثلة لظروفها، أو كائنات حية، تتغير مع الزمان، كما تتغير شعبها مع المكان فتكون اللهجات المختلفة، لهذا أن واجهتنا وثيقة في لغة أوربية، لانكون أحرارا مختارين في البحث عنها في معجمها، بل لابد من الرجوع إلى المعجم الذي ألف في عصرها، فيعطينا الدلالة كما هي، وبدون تغيير أو تحريف. وبهذا نستطيع أن نقول إن مدلول هذه الكلمة في زمن ما كان كذا وفي زمن آخر كذا وكذا. ولنسق لذلك أمثلة من عندنا، فيما يلي :

«وطن» هذه الكلمة لم تكن تدل على مدلولها اليوم، بل كان معناها المكان الذي نقيم أو ننزل به ونطمئن إليه ولو لمدة ما وهو في الأصل يدل على مربط المواشي، ثم صار يستعمل فيما قلنا، بمعنى» Patria ونشأت الوطنية فقيل في صاحبها Patriata وما استعمل بمدلوله اليوم إلا أواخر القرن الثالث عشر، وعلى يد الشاعر الكاتب التركي شناسي، الذي أقام طويلا بفرنسا، وكان من أصدقائه كبار الأدباء الفرنسيون وعلى رأسهم «لامرتين».

كما كان الفيلسوف «رينان» صديقا له وأثر في نفسه وعقله كثيرا فانطبع في نفسه معنى الوطن الذي عبر عنه بهذه الكلمة، محددا لها مدلولها الذي نعرفه، كما حدد لغيرها كذلك مثل «الحرية» التي نحتها الفرنسيون في الشعوب غير المستعمرة منهم، بعد ما نحتوها في أنفسهم، فوضع لها شناسي هذه الكلمة، بمدلولها الدقيق وتبعا لذلك تتبع حقوق الناس، فاستعمل كلمة «القانون» في هذا المدلول العصري، وإن كان ابن جزي سبق إلى ما يقارب ذلك أويعمه وغيره، فوضع «القوانين الفقهية» نعم، إنها لم تكن عنده تخص حقوق الناس، بل تشمل العبادات، وكيفيات القيام بها، وما تتطلب من طهارة وزكاة وصلاة وحج وما إلى ذلك من طقوس ربانية فإن كان حق يتعلق بها فإنما هو لله لا للبشر، الذي عناه شناسي ونعنيه اليوم بهذه الكلمة اليونانية الأصل والإيطالية القديمة ، والذي استعملها فلاسفتنا منذ مايزيد على ألف سنة في غير ما استعملها فيه ابن جزي، ولا الكاتب الصحفي شناسي ومن أتى بعد إلى يومنا هذا.

وبذلك عرف الأتراك كلمة «وطن» فقالوا إيگله دكجه ألمنذن «وطنك» هر نفسي وعرفوا الحرية فقالوا (محوايده كنديني بلبلل بيله «حريت» ايجن ديعني ، حتى البلبل يمحو نفسه من أجل الحرية) واستمع الأتراك إلى الفرنسيين، يقولون au revoir وقلدهم بعبارته الألمان والانجليز، ثم اخترعوا لها مقابلها بلغتهم كالاسبان فقالوا هم أي الأتراك «إيكنده گورشورز إن شاء الله» (نتراءى ثانية إن شاء الله).

وتبعهم الفرس فقالوا بعدهم «دوباره شمارا هواهيم ديد» (سنراكم مرة أخرى).

ثم تبعناهم نحن العرب، فقلنا «إلى اللقاء»، ولعلنا أخيرا أدركنا ما في هذا من اتصال بالدعوة إلى النزال، فقلنا أو بعضنا ، إلى الملتقى» وسألني بعضهم على سبيل الاعتراض ماذا كنا نقول فأقول له ، اسأل أباك هل كان يعرف «إلى اللقاء» تدرك ماقلته انه تعبير جديد هذا العصر لم يكن معروفا قبل نصف قرن فبالأحرى أربعة قرون خلت قبل هذا... فهذه تعابير، لا يمكن أن نبحث عنها في القاموس المحيط ولا في غيره من السابقات واللاحقات،وليس لنا أن نصورها في حوار الذين تقدمونا بمئات السنين والأعوام،كما لا يحق لنا أن نستعمل في الحوار العربي، لذلك العهد، كلمات الشعب بمدلوله اليوم الذي هو ترجمة لنحو Puilco و Pueblo

وكانت كلمة الهلال أخيرا قد استعملت كناية عن الإسلام والعلم المثبت بها ولا العرش كذلك، وما عرفناه بهذا المدلول عندنا إلا منذ نصف قرن، عند الأتراك ومن تبعهم فقال شاعرهم «جاتما قربان أوليم» جهره كي إي نازلي هلال (لا تقطب وجهك فلأكن قربانا لك أيها الهلال المدلل) كما أن عزة آبائنا ـ التي أبت، أن تسمي لفف الحجاير بما تسميها الناس، فجردتها من «سي» التي تعني السيادة، وقالت «الگارو»، كما قالت في حرس البلديات عند الحماية الاسبانية «لادور» ولم تقل «سيلدور» لا يمكن أن تصدر عنها هذه الكلمة «قداسة البابا» وكان آباؤنا يمتنعون من توجيهنا إلى مدارس تعلم فيها لغة غير لغتنا العربية، فكان الامتناع من هذه

المدارس شديدا حتى ولو كان القرآن يحفظ بها والعربية تدرس في فصولها.

وكانت كلمة الامتياز لا تدل على ما تدل عليه اليوم. بل كانت تدل على مجرد الاختلاف والانعزال. كما في القرآن «وامتازوا اليوم أيها المجرمون» ومنه قولهم «زل ضأنك عن معزى» قالوا هذا وقد تعرضوا للفرق بين ما مضارعه يزيل وما هو يزول أو يزال وكذلك كلمة الوسام كانت للعلامة عامة. كما في الآية «سنسمه على الخرطوم» على أن الوسامة اختصت بعد هذا بالجمال في الوجه وهناك فرق بين الأمن والأمان. فقد يكون أمن ولا أمان. كما سمى الاسبان الشرطة برجال الأمان. وهم مصيبون . أما رجال الأمن فهم نفسهم رجال الحرب. إذ هم بذلك يصونون الأمن . ويدفعون عنه عادية الأعداء وصدق من قال ،

إذا كان دفع الشر بالرأي حازما فما يزال دفع الشر بالشر أحزما

فنحن نعيش في أمن ولكن ضع حذاءك أمامك وأنت تصلي بالمسجد. وحذار أن يقع لك ما وقع لي بالبيضاء والأمر لله فالامان أبوالأمانة وجدها وكذلك الفرق بين السلام والسلم. فالسلام السلامة من الضرر. كما في القرآن «بردا وسلاما على إبراهيم» والسلام تحية المسلم لأخيه وهو من أسماء الله «هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام» أما السلم فضد الحرب. وقد يكون سلم ولا سلام. وهو أبو السلامة كذلك. وقد يرادفه النجو والنجوة. كما يرادف السلامة النجاة. إلا أن هذه لا تكون إلا بعد التعرض للخطر. وقد يكون هذا السلام والسلامة كذلك فيترادفان. كما في الآية عن إبراهيم. وكما يقال للديغ تفاؤلا «سليم».

وفي تاريخ الترك أن الخليفة العثماني والد سليم الأول كان المنجمون قالوا له إن ابنا لك سيقتلك. فأمر بقتل كل وليد ذكر ولكن الله سلم ابنه من وأد القابلة التي سمته «سليمة» إلى أن اكتشفت ذكورته لأبيه. فأشفق عليه وأصبح أنذاك يدعى «سليم» وكان قاتله بعد كما قال المنجمون والله أعلم.

محمد بن تاويت

من أمجاد الإسلام:

المنصور بن أبي عامر

-2-

للأستاذ سعيد أعراب

- انتظم جنده من المغاربة فكان سيفا لا يقهر !
- غزا (57) غزوة لم تنتكس له فيها راية !
- جالت جيوشه في قشتالة، وليون، وأراغون - إلى جنوبي فرنسا !

تحدثت في القسم الأول من هذا البحث، عن نشأة ابن أبي عامر وطموحاته، وحياته العلمية والإدارية، وكيف استطاع أن يستولي على الحكم، ويقضي على خصومه، ويرهب أعداءه، وقد انتقى جنده من المغاربة،فكان سيفا لا يقهر أوغلت جيوشه في أراضي شاسعة الأطراف، وسجلت بطولات وانتصارات بعد العهد بمثلها، وكانت غزواته - فيما تذكر بعض (1) المصادر - (57) غزاة، قادها كلها بنفسه، وكان في أكثر أيامه لا يخل بغزوتين في السنة (2)، وقد تحدث عن هذه الغزوات - بإسهاب - ابن حيان في كتابه «المآثر العامرية» - ذكرها بأوقاتها، وآثارها فيها (3)، والأسف أنه لم يصلنا هذا الكتاب.

من أهم غزواتـــه :

ومن أهم الغزوات التي خاضها المنصور بن أبي عامر مع ملوك النصارى :

1 - غزوة (شانت منكش) - ولعلها الغزوة الخامسة، فبعد الإنتصار الساحق الذي حققه المنصور في غزوة سمورة - الغزوة الرابعة من غزواته - عقد ملوك ليون، وقشتالة، ونافار - حلفا لمحاربة ابن أبي عامر؛ وما إن علم المنصور بذلك، حتى أسرع بالسير إلى طليطلة، ووصل إلى وادي دويرة الأوسط، حيث كانت تتجمع القوات المتحالفة، والتقى الجمعان في دويرة سنة (371هـ -

1) ابن عذارى، البيان المغرب 2/301.

2) الحميدي، جذوة المقتبس ص 74، وابن سعيد : المغرب في حلى المغرب 1/199.

3) جذوة المقتبس ص 74، وابن الأبار : الحلة السيراء 1/269.

981م) على بعد 25 كلم جنوبي غرب (شانت منكش)، ودارت الدائرة علي النصارى، وقتل منهم عدد كبير، واستولى المسلمون على قلعة (شانت منكش) ـ الشهيرة. وبلغ عدد الغنائم في هذه الغزوة بضعة عشر ألفا من مختار السبي (4).

وعندما عاد ابن أبي عامر إلى قرطبة، تسمى بالمنصور، وعلى إثر ذلك قامت حروب داخلية في مملكة ليون، فقرر الأشراف خلع راميرو الثالث، وتولية ابن عمه برميدو ـ ملكا مكانه، لكن الملك المخلوع لم يستسلم، وقاوم ببسالة، وربما كان له أنصار ومؤيدون، مما جعل برميدو يلتجيء إلى المنصور، وعرض عليه أن يعترف بطاعته. فقبل ذلك منه، وأمده بجيش استطاع أن يخضع به سائر المملكة، ويوطد حكمه، ومنذ ذلك الحين، غدت مملكة ليون ولاية تابعة لحكومة قرطبة، تؤدي الجزيـة، وتأتمـر بأوامرهـا (5).

2 ـ غزوة برشلونة، وفي غزوته الثالثة والعشرين،أغار على برشلونة ـ وكان يحكمها بوريل الثاني ـ منذ عام (954م) وخرج المنصور من قرطبة في 12 من ذي الحجة سنة (371هـ ـ 981م) ـ ومعه العلماء والأدباء، يجتمعون في مجلسه من حين لآخر، ومر بالبيرة، وبسطة، ومرسية، ثم اتجه شمالا ويسارا بحذاء الساحل الشرقي، وهزم بوريل في عدة مواقع، وتابع زحفه حتى وصل إلى أسوار برشلونة، فخربها، واضرم النيران في المدينة، وقتل معظم أهلها، وتركها قاعا صفصفا (6).

3 ـ غزوة (شنت ياقب) وهي من أعظم غزوات ابن أبي عامر، وكانت الغزوة الثامنة والأربعين، و(شنت ياقب) مدينة دينية بأرض جليقية من قاصية شمال غربي اسبانيا يقدسها النصارى، ويحجون إليها من أقاصي البلدان، تقديسا لقبر يعقوب، أحد الحواريين الاثني عشر ـ فيما يزعمون.

وكان نزول المنصور بـ (شنت ياقب) يوم الإثنين لليلتين خلتا من شعبان عام (387 هـ) ـ وقد فر من فيها وهي خالية، فغنم ما فيها، ودمر مبانيها، وعفى آثارها، وكانت آية من آيات الله في الأحكام والإتقان، فتركت كأن لم تكن بالأمس !

وأمر بصون القبر ودفع الأذى عنه، ولم يجد بالكنيسة إلا رجلا واحدا منْ شيوخ الرهبان جالسا عند القبر فسأله عن مقامه، فقال أونس (يا قب)، فأمر بحفظه والكف عنه، وقفل الى قرطبة ـ وقد استصحب من الملوك وأبنائها، وبرز الناس إلى لقائه في عالم لا يحصون) (7).

4 ـ غزوة جربيرة، لم يباشر المنصور حربا أشد عليه، ولا أصعب مقاما، وأغلظ كريهة، من حربه في غزاة صائفة (390 هـ ـ 1000م)، ـ وكانت الهدنة قد امتدت، وأخلاق الشهامة قد فترت، واخلد الناس إلى الراحة والجمام، وللمرة الثانية، تتجمع حشود ملوك قشتالة، وليون، ونافار، وسائر أمراء البشكنس، وتعاقدوا على قتال ابن أبي عامر، وأعطوا اغلظ المواثيق والعهود على الثبات حتى الموت، وجعلوا رئاسة الجيش لشانجو، فنزل بثقله على جبل جربيرة ـ موسطة بلاده، لقربها من الميرة وكل الإمدادات، وخرج المنصور في جيش ضخم ـ من مدينة سالم، ونفذ شمالا إلى أرض ـ قشتالة، حيث يرابط أعداؤه، فلما أشرف على صخرة جربيرة، هاله ما رأى من وعورتها والتحصينات التي أعدها العدو، ووفرة جموعه وعدده، ورأى شانجو أن يعاجل المسلمين بالهجوم قبل أن يوطدوا مراكزهم، فاندفع في هجوم عنيف على المسلمين، فضرب الميمنة والميسرة، ودب الخلل فيهما، وعمد إلى الفرار كثير من المسلمين، وكادت الدائرة تقع عليهم، ولكن القلب الذي كان يتألف معظمه من فرسان المغاربة ـ تحت قيادة عبد الملك بن منصور، صمد أمام الموجة الهائلة، وهرع المنصور إلى رابية مشرفة على الموقعة، وبجانبه خاصته وحاشيته، فنادى بأعلى صوته يحث رجاله وقادته على الثبات، واستسلم إلى الدعاء، رافعا يديه إلى السماء ـ قائلا : اللهم إنهم خلوني فانصرهم، وافردوني فاصحبهم، فلم يمض سوى قليل حتى انقلبت الآية، وارتد العدو من غير نظام.

دور القائد المغربي كيديـر :

واستطاع القائد المغربي كيدير أن يفتح ثغرة في صفوف العدو، فتمكن من قتل أحد كونتات بني غومس، وجاء برأسه، (... وكان ظهر تلك العصابة الحامية عن الملة عبد الملك بن المنصور،

---

4) ابن الخطيب، أعمال الإعلام ص 76.
5) عنان، دولة الإسلام في الأندلس ج 3/ 54 ـ 55.
6) انظر ابن الخطيب، الإحاطة 2/ 105، وعنان دولة الإسلام 3/ 56، والدكتور عبد العزيز بن سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم بالأندلس ص 332.
7) أعمال الإعلام ص 67 ـ 68، والبيان المغرب 2/ 294 ـ 297.

ومعه أبطال من أعلام المسلمين ، الأندلسيين، والعدويين، عامتهم فرسان البرابرة، على أن الإسم منهم في هذا اليوم، ذهب إلى كيدير الدمري - من كبار القواد، وأحد ملوك بني دمر بالعدوة، وكان له بإقدام عظيم، قتل في احتدامه ذلك أحد قوامس بني غومس، وجاء برأسه، فاستمرت الهزيمة بهم، وركب المسلمون أكتافهم يقتلونهم كيف شاءوا، فأخذ جميع ما في محلتهم من الكراع والسلاح والآلات.. واتبعت الخيل منهزمتهم فراسخ، فأصيب كثير من فرسانهم، ونصر الله المسلمين عليهم نصرا ما سمع بأعظم منه) (8).

المنصور على حدود جنوبي فرنســا :

بعد أن أخضع المنصور ملوك ليون، وقشتالة، وأصبح أكثرهم يؤدي الجزية، ويعمل لصالح المسلمين؛ اتجه نحو جنوبي فرنسا، وخاض هناك معارك قاسية، حقق فيها انتصارات باهرة؛ وتطبق المصادر العربية بالصمت، ولا تكاد تذكر شيئا (9).

ويشير المستشرق رينو - وهو يتحدث عن فتوحات المنصور - إلى أنه (.. جال غزاة المسلمين تحت رايات المنصور في قشتالة، وليون، ونابارة، وآراغون، وكتلونية، إلى أن وصلوا إلى غاشقونية، وجنوبي فرنسا) (10).

فهو يذكر - بالتأكيد - أن جيوش المنصور وصلت إلى جنوبي فرنسا، وأن راياته كانت تخفق هناك (11).

الغزوة الأخيــــرة :

واختتم المنصور حياته غازيا في أرض جليقية، ويحدث ابن حيان أن (المنصور خرج إلى الغزاة - وقد وقع في مرضه الذي مات منه - في صفر سنة (392 هـ)، واقتحم أرض جليقية من تلقاء مدينة طليطلة - ومرضه يخف وقتا، ويثقل أوقاتا، وقد نفذ على عمل بني غومس إلى أرض قشتيلية - بلد شانجو بن غرسية، وهو كان مطلوبه، لأنه الذي ألف عليه الجماعة، فأحل الغارات بأقطاره، فقويت عليه العلة هنالك، فاتخذ له سرير خشب وضع عليه أعضاءه، وسوى مهاده، متطاول الشكل، يمكن الإضطجاع عليه متى خارت قواه، وكان يحمل سريره على أعناق الرجال، وسجفه منسدل عليه، وعساكره تحف به، وتطيع أمره) (12).

وظل كذلك حتى وصل مدينة سالم، فلفظ أنفاسه الأخيرة ليلة الإثنين سنة (392 هـ - 1002م) وكان أوصى أن يدفن حيث قبض، ولا ينقل تابوته، فدفن بقصره في مدينة سالم، ورأوا أنه اختار الله له، إذ كانت من أطيب مًّا بناه (13).

وهكذا أسلم المنصور الروح إلى بارئها - وهو أعظم ما كان مالكا، وأشد بأسا - والبقاء (14) لله وحده.

أصداء فتوحات المنصــــور :

كان لفتوحات المنصور بن ابن أبي عامر صداها البعيد، فقد هزت أركان الدول المسيحية في المشرق والمغرب، وأصاب قسطنطينية - عاصمة الإمبراطورية البيزنطية - هلع شديد، وكانت تنتظر الخطر من حين لآخر، ويحدثنا في هذا الصدد أبو محمد الأصيلي - وهو من العلماء الذين اصطحبوا المنصور في غزواته - فيقول ، (افتتحنا برشلونة مع ابن أبي عامر) ثم صح عندنا أن أهل قسطنطينية - ساعة بلغهم خبرنا، أغلقوا أبوابها نهارا، وصعدوا سورها - وهي على مسيرة شهرين أو أكثر) (15) - وصدق رسول الله ، نصرت بالرعب مسيرة شهرين.

وشهد شاهد من أهلها، وهذا المؤرخ الإسباني مننديث بيدال يقول - وهو يتحدث عن عصر المنصور بن أبي عامر ، (عاش الإسلام في إسبانيا أروع أيامه وأسطعها، وانتهى نصارى الشمال إلى حالة دفاع، كانت دائما مقرونة بمحن، ولاح كأنهم لم يعيشوا إلا لتأدية الجزية والسلاح والأسرى، والمجد للخلافة الأموية) (16).

---

8) أعمال الإعلام ص 70 - 72.

9) والغريب أن يشاركهم في هذا الصمت، الأمير شكيب أرسلان، إذ يمر مر الكرام عن هذه الأحداث في كتابه «غزوات العرب في فرنسا».

10) انظر أعلام الزركلي ج 7/100.

11) وتشير بعض الروايات العربية إلى أن المنصور في غزوته إلى برشلونة، حارب الفرنج المتصلة بفرنسا وروما، واعتبرها بعض المؤرخين المحدثين الغزوة التي خرج فيها المنصور إلى جنوبي فرنسا. انظر الإحاطة 2/105، وأعمال الإعلام ص 74، ومنصور الأندلس ص 104 - 108.

12) ابن بسام، الذخيرة ج 1 - ق 4/54 - 56.

13) نفس المصدر.

14) ابن غازي «ارشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب» مخطوطة خاصة.

15 P. 72 – R.M. Pidal : La Espagna Cid (Madrid 1947)

16) ابن خلدون، العبر 4/321.

مآثــــره :

وكما كان المنصور عظيما في فتوحاته وجهاده المستمر، كان كذلك فيما خلفه من مآثر في ميدان الإنشاء والعمران، ولو لم يكن من آثاره إلا الزاهرة، وقصورها الفخمة، ومتنزهاتها البديعة، لكفى. (.. سما إلى ما سمت إليه الملوك من قصر ينزل فيه، ويحله بأهله وذويه، ويضم إليه رئاسته، ويتم به تدبيره وسياسته، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة، الموصوفة بالقصور الباهرة، وأقامها بطرق البلد على نهر قرطبة الأعظم، وشرع في بنائها، وحشد إليها الصناع والفعلة، وجلب إليها الآلات الجليلة، وتوسع في اختطاطها، وبالغ في رفع أسوارها. فاتسعت هذه المدينة في المدة القريبة، وصارت من الأنباء الغريبة، فانتقل إليها ونزلها بخاصته وعامته، فتبوأها وشحنها بجميع أسلحته، وأمواله وأمتعته، واتخذ فيها الدواوين والأعمال.. ثم أقطع ما حولها لوزرائه وكتابه، وقواده وحجابه، فاقتنوا بأكنافها كبار الدور، وجليلات القصور، وقامت بها الأسواق، وكثرت فيها الأرفاق، وتنافس الناس في النزول بأكنافها، والحلول بأطرافها، للدنو من صاحب الدولة، وتناهى الغلو في البناء حوله، حتى اتصلت أرباضها بأرباض قرطبة، وكثرت بحوزتها العمارة، واستقرت في بحبوحتها الإمارة...) (17).

بديعة الملك ما ينفك ناظرهــــا
يتلو على السمع منها آية عجبــــا
لا يحسن الدهر أن ينشى لها مثــلا
ولو تعنت فيها نفسه طلبـــــا (18)

وابتنى بجانبها قصر المنية، تحيط بها حدائق غناء، وكانت تسمى «العامرية» وقد افتتن فيها الأدباء، وتغنى بمحاسنهــا الشعــراء (19).

ومن أعماله الجليلة، زيادته في الجامع الأعظم بقرطبة، وقد زاد فيه مثليه، وكان يشتغل به كثير من الأسارى النصارى، الذين وقعوا في الأسر في مختلف المعارك، وكان المنصور يشارك بنفسه أحيانا في أعمال البناء، فبلغ عدد سواريه ألفا وأربعمائة وسبع عشرة سارية، وبلغت ثرياته ـ ما بين صغيرة وكبيرة ـ مائتين وثمانين، وكان عدد المكلفين بالخدمة به ـ في عهد المنصور ـ ما بين أئمة، ومقرئين، وأمناء، ومؤذنين، وسدنة، وغيرهم ـ مائة وتسعة وخمسين شخصا (20).

وجدد قنطرة قرطبة القائمة على نهر الوادي الكبير ـ وراء المسجد الجامع، بلغت نفقاته مائة وأربعين ألف دينار، فعظمت بها المنفعة (21).

وابتنى كذلك قنطرة «استجة» على نهر شنيل ـ فرع الوادي الكبير، فتحشم لها أعظم المؤن، وحققت تسهيلات في مواصلات قرطبة بالقواعد والولايات الجنوبية (22).

ومن ذلك أنه خط بيده مصحفا كان يحمله معه في أسفاره ـ يدرس فيه، ويتبرك به (23) ـ إلى غير ذلك من المشاريع الخيرية والدينية.

وكان المنصور ـ إلى جانب ذلك ـ شغوفا بالعلم والأدب، وثيق الصلة بالعلماء والأدباء، يؤثرهم بحبه وعطفه، ويجمعهم حوله وقت فراغه وأنسه، ويساجلهم البحث والمناظرة، ويطارحهم قرض الشعر، وكان هو نفسه عالما أديبا، يقرض الشعر ويجيد القول فيه (24).

ومن اهتماماته بالأدب، أن أنشأ في بلاطه ديوانا خاصا بالشعراء (25)، حدد فيه طبقاتهم وأرزاقهم... (26) وكان له مجلس أسبوعي يعقده للبحث والمناظرة، ويشهده كثير من العلماء، وكان يصطحبهم معه في غزواته، ويعتمدهم في مشورته (27).

أخلاقــــه :

تتفق كلمة المؤرخين على الاشادة بخلال المنصور ومواهبه، فقد كان عبقريا فذا، وشجاعا مقداما، قوي النفس، حسن التدبير (28)، ذا عقل ورأي، وبصر بالحروب، ودين متين (29)، وكان ورعا

(17) البيان المغرب 2/275 ـ 276.
(18) المصدر نفسه.
(19) نفس المصدر.
(20) جذوة المقتبس ص 73، والبيان المغرب 2/275.
(21) نفس المصدر.
(22) نفس المصدر.

(23) نفس المصدر.
(24) نفس المصدر.
(25) أورد طائفة منهم ابن بسام في الذخيرة 1 ـ ق 4/6 ـ 23.
(26) علي محمد راضي، الأندلس والناصر ص 94.
(27) جذوة المقتبس ص 73.
(28) ابن خلدون 4/319.

قوي الإيمان، يخشى ربه ويزدجر إذا ذكر بالله وعقابه (30)، صارما في الحق، منصفا لذوي المظالم (31)، شديد السهر على شئون الرعية. دخل عليه بعض أصحابه في ليلة طال سهره فيها، فقال له : إن السهر يحرك عليك علة العصب، فكان جوابه : (الملك لا ينام إذا نامت الرعية، ولو استوفيت نومي، لما كان في دور هذا البلد العظيم، عين نائمة) (31).

قال فيه ابن الخطيب : (أسعد أهل الأندلس مولدا، وأشهرهم بأسا وندا، وأبعدهم في حسن الذكر مدى، الحازم العازم، العظيم السياسة، الشديد الصلابة، القوي المنة، ثبت الموقف، معود الإقبال، ومبلغ الآمال، الذي صحبته ألطاف الله الخفية في الأزمات، واطرد له النصر العزيز في نحو (57) من الغزوات.. وكان مهيبا، وقورا، فإذا خلا، كان أحسن الناس مجلسا، وأبرهم بمن يحضر منادما ومؤانسا، وكان شديد القلق من التبسط عليه والدالة والامتنان، لا يغفرها زلة، ولا يحلم عنها جريرة، ولم يكن يسامح في نقصان الهيبة، وحفظ الطاعة - أحدا من ولد ولا ذي خاصة، وكانت الجزالة والرجولة ثوبه الذي لم يخلعه - إلى أن وصل إلى ربه، والحزم والحذر شعاره الذي لم يفارقه طول حياته، والنصب والسهر شأنه في يومه وليله، لا يفضل لذة على لذة تدبيره، وحلاوة نهيه وأمره...) (33).

وحتى المنصفون من المؤرخين الغربيين نوهوا بعظمته، وأشادوا بعبقريته ومواهبه، فهذا المؤرخ الإسباني ماسديه يقول في حقه : (كان سياسيا كبيرا، وقائدا عظيما، فقد أخمد نار الثورة التي كانت تعصف بالمملكة، واكتسب حب الشعب بجميع طبقاته، تفوق في شهرته وهيبته على أكبر القواد، بما اجتمع في أحكامه من الصرامة واللين، والقصاص والعفو، وكان يهدم المدن التي تقاوم جيشه ويبيدها، ولكنه لم يسمح قط لجنده بأن تسيء معاملة مدينة سلمت طوعا) (34).

وبعد : فهذه سطور عن بطل من أبطال الإسلام، حمل راية الجهاد مدة ربع قرن أو تزيد، فما انتكست له راية، ولا فل له جيش، ولا أصيب بعث، ولا هلكت سرية... فمات هكذا - قرير العين، وكتب من الخالدين، وصدق الشاعر إذ يقول :

آثاره تنبيك عن أخبـــــــاره
حتى كأنك بالعيان تـــــــراه
تالله لا يأتي الزمان بمثلـــــه
أبدا، ولا يحمي الثغور ســـواه (35)

ولقد أحببت إحياء ذكراه بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري : ذكرى الأمجاد، والله الموفق، والهادي إلى أقوم طريق.

تطـوان : سعيد أعـــراب

29) أورد صاحب البيان المغرب عدة أمثلة رفعت فيها ظلامات إلى المنصور ضد بعض المقربين إليه، فأمر بالإنتصاف منهم. انظر ج 289/2 - 290.

30) أعمال الاعلام ص 76.

31) ابن الأثير 61/9.

32) انظر النفح 409/1.

33) أعمال الأعلام ص 58، 74 - 75.

34) J.F. Masden : Historia Critica de Espagan y de la caltara Espagole

35) البيان المغرب 301/2.

إقرأ للكاتب مقاله القادم عن أبي عبد الله بن حمادة البرنيســـي

دكالة في تاريخ المغرب

للأستاذ عبد القادر زمامة

ليس من منهاجي هنا أن ابدا القصة من أولها واتحدث عن حياة الانسان القديم في المغرب عموما ودكالة خصوصا . لان الادلة العلمية أبتت ان حياة الانسان في بلادنا عريقة في القدم . ضاربة جذورها في اعماق التاريخ . وقد تركت لنا هذه الحياة بعض ما ابقى عليه الزمان من ادوات حضارية كان الانسان القديم يستعملها في حياته اليومية . ومصالحه المعاشية وهو في طريقه الى التحضر والاستقرار..! وفي هذا الاطار تدخل تلك المخلفات التي بتلاحق ويتتابع ظهورها بعد الحفر والتنقيب في عدة جهات من المغرب . حيث نجد في بقاع من اقليم درعة جنوبا . وفي بقاع مجاورة لشواطىء البحر المتوسط شمالا . وفي جهات تحاذي المحيط غربا . وفي اماكن اخرى سهلية وجبلية كهوفا ومغارات ما تزال الى الآن تحتضن ادوات حجرية كان الانسان المغربي القديم يستعملها في الحفر والقطع والثقب والكسر والدفاع عن النفس . والصيد . وما الى ذلك ... ومغارة سيدي عبد الرحمن في البيضاء : ليست بعيدة عنا ... كما ان مغارة الخنزيرة بدكالة ، جنوب مدينة ــ الجديدة ــ قريبة منا ... ! (1) .

فالانسان المغربي شمالا وجنوبا وشرقا وغربا عريق في السكنى والتحضر بهذا الوطن . وقد شاهد عصور التاريخ ، وجاوزها الى ما قبل التاريخ ... !

والنماذج التي يقدمها لنا الآن سكان المغرب فى السهول والجبال هي نماذج اشترك في تكوينها عامل الاستمرار التاريخي . وعوامل التطور الحضاري والاقتصادي والاجتماعي . حينما التقت هنا موجات بشرية من الجنوب والشرق والشمال ... وكونت هذه الوحدة المغربية الاصيلة في تاريخها المتماسكة في بنيتها . المتفتحة على آفاق التطور والتجديد ...

من هذه الارضية الثابتة وعلى هذا الجسر من التفسير الاجتماعي والجغرافي سنعبر للحديث عن دكالة في التاريخ ...

والمنهاج يحتم علينا أن نقف قليلا عند كلمة ــ دكالة ــ لنحاول البحث في اصلها اللغوي من جهة . وفي دلالتها من جهة ثانية . وفي تاريخ استعمالها عند المؤرخين والجغرافيين والرحالين .

ففيما يرجع للاصل اللغوي للكلمة هناك طريقتان للبحث ، طريقة من يرجع بها الى اصل عربي . فيعتبرها عربية المادة الحرفية . عربية الدلالة اللغوية . ويلتمس معانيها من معاجم اللغة العربية .

(1) الناضوري : المغرب الكبير الجزء الاول عن التاريخ القديم .

وهناك طريقة من يرجع بها الى اصل غير عربي فيعتبرها امازيغية الاصل مركبة من شطرين اضيف احدهما الى الآخر كما سنرى فيما بعد ...

والبحث العلمي الدقيق يقف في مثل هذه الموضوعات موقف التحفظ والاحتياط والحذر لئلا يقع في مآزق وقع فيها سابقون ولاحقون .

واذا اخذنا المعاجم العربية وقد كتب بعضها منذ قرون خارج المغرب فاننا نجد هذه المعاجم تحتفظ بالمادة الحرفية : د ـ ك ـ ل ـ كما تحتفظ بالمعاني اللغوية التي تعطيها هذه المادة ... ونحيل من اراد معرفة هذه المعاني على معجم تاج العروس (2) شرح القاموس ليرى هناك المعنى المناسب . كما نحيله على معجم دوزي Dosy ايضا ... ! (3).

اما اذا رجعنا بكلمة ـ دكالة ـ الى اصل غير عربي فاننا نجد عدة توجيهات وتفسيرات ولا نريد الآن استقصاءها وانما نشير الى بعضها فقط . حيث يقول هذا التوجيه : ان الكلمة ذات شطرين : دو بمعنى اسفل . واكال . بمعنى البلد . فيكون المراد على هذا التوجيه . الارض المنخفضة اي السهل المنبسط من الارض ...

وبطبيعة الحال فاننا لا نجزم جزما . ولا نفرض رايا ولا نفضل توجيها على آخر . وانما نفسح الطريق امام البحث والدرس لتكون النتيجة دائما مدعمة باستنتاج معقول او نص موثوق به .. !

والمعاجم تأبى الا ان تضبط كلمة ـ دكالة ـ . فهناك ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان يضبطها بفتح الدال (4) ... ! اما صاحب القاموس المحيط فيضبطها بضم الدال وتشديد الكاف ... ويحكي عن الصاغاني فتح الدال (5) ... والنسبة اليها دكالي . وقد اشتهر بهذه النسبة عدد كبير من الاعلام فى كتب التراجم والطبقات . فى داخل المغرب وفي الاقطار الاسلامية الاخرى ...

وغني عن التأكيد ان الاستعمال المغربي للكلمة هو بصيغة الضم وتشديد الكاف كما عند صاحب القاموس المحيط .

واذا انتقلنا الى دلالة الكلمة في اقلام المؤرخين ونصوص الجغرافيين والرحالين القدماء فاننا نجد دلالات متعددة ... فهناك من يعبر بالمدنية ... ! وهناك من يعبر بالقبيلة ... ! وهناك من يعبر بالاقليم ... ! ونفهم من بعض النصوص انها تعني اتحادا او تجمعا يستوعب عدة قبائل انحازت على ممر العصور الى هذه الناحية المعينة ، بسواحلها ، وسهولها ومرتفعاتها ... وكونت دكالة التاريخية ودكالة المعاصرة .

ومعلوم بالاستقراء والتتبع ان مدلول دكالة عند الاطلاق في المصادر القديمة يختلف بعض الشيء عن مدلولها عندنا الآن . بل اننا وجدنا هذا المدلول يضيق تارة ، ويتسع اخرى ، حسب العصور التاريخية والاحوال الاجتماعية والسياسية التي سادت البلاد . والتيارات البشرية التي عرفتها هذه الناحية ...

غير انه مما لا شك فيه ان عوامل جغرافية وتاريخية وبشرية عملت عملها لجعل مدلول كلمة ـ دكالة ـ ينصرف الى هذه المنطقة المحددة بين نهر أم الربيع ونهر تانسيفت ، والحوز والمحيط ، وحتى هذا التحديد لا يخلو من تسامح ... لاعتبارات لا يدركها حق ادراكها الا من يزاول المصادر التاريخية والجغرافية القديمة والحديثة ... ويرى في بعضها التناقض والخلطة والغموض والابتعاد عن الواقع الجغرافي والتاريخي للمنطقة .

وليس من منهاجنا ان تساير التقسيمات والتفريعات الجزئية التي ظهرت وتظهر لدكالة على تعاقب العصور فلا نتعرض لقصة دكالة البيضاء ، ودكالة الحمراء ، وما يفصل بينهما ... ولا نتعرض لقصة القبائل الشرقية ، واختها الغربية ... كما لا نتعرض للجدل الذي يقوم حول اسماء بعض الوحدات

(2) الزبيدي : تاج العروس ج 5 ، ص 323 .
(3) دوزي : تكملة المعاجم العربية ج 1 ، ص 454.
(4) معجم البلدان ج 2 ، ص 459 . ط. بيروت 1956 م .
(5) القاموس المحيط : المادة .

القبلية القديمة ، هل هي داخلة تحت مفهوم كلمة دكالة او لا ...

وذلك لسببين أساسيين :

الاول – ان الفواصل الطبيعية او الوهمية التي قامت عليها هذه التقسيمات والتفريعات انما كانت اجتهادات مشوبة بدوافع ظرفية لا تثبت امام الواقع التاريخي والبشري لهذه المنطقة من المغرب .

الثاني – اننا ننظر الى المنطقة بمنظار تاريخي جغرافي ، لا بمنظار آخر يجعل في تقديره هذه التقسيمات التي كان بعضها محليا ظرفيا ... كما كان بعضها نتيجة عمل البرتغاليين ايام الاعتداء على شواطىء المغرب ومنها دكالة ...

بعد تحقيق هذه الدلالة – في الجملة – ننتقل الى محاولة معرفة الزمن الذي استعملت فيه هذه الكلمة في أقلام المؤرخين والجغرافيين والرحالين.

لحد الساعة لم نطلع على نصوص رومانية او فنيقية وردت فيها كلمة – دكالة – كما اننا ولحد الساعة لم نطلع على نصوص من تاريخ المغرب الاسلامي او جغرافيته في القرون الاولى وردت فيها هذه الكلمة لا بالمعنى القبلي ، ولا بالمعنى الاقليمي حسب الاستقراء والتتبع ... وسنشير فيما بعد الى ان ابن عذارى استعملها في اخبار عقبة ابن نافع اثناء فتوحه في المغرب .

وقد رحل الى المغرب رحالتان شهيران في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي . وهما ابن حوقل ، والمقدسي ، ونصوص رحلتيهما بين ايدينا.. ولكننا لا نجد فيهما ظلا ولا اثرا لكلمة دكالة . والمظنون انه لو كانت هذه الكلمة مستعملة اذ ذاك لذكرها ابن حوقل . فقد افادنا هذا الرحالة بالشيء الكثير عن اسماء القبائل ، والمدن ، والقرى ، والاقاليم ، والانهار ، والجبال ، والرباطات زيادة على المسالك ، وطرق القوافل التجارية المستعملة في ذلك العصر ... !

وابتداء من عصر المرابطين بدانا نسمع كلمة دكالة تدور على الالسنة والاقلام وتستعمل في تدوين الاحداث ... ونؤكد ما أشرنا اليه سابقا من اننا لم نطلع على هذه الكلمة في نص مكتوب قبل هذا العصر ...

ومن اقدم النصوص التي وردت فيها كلمة دكالة ما نجده عند الجغرافي المغربي الادريسي في كتابه : نزهة المشتاق . الذي كان يشتغل بتاليفه سنة 548 هـ يعني بعد سقوط دولة المرابطين بسنوات معدودات . وقد تحدث الادريسي عن المرابطين وواقع بعض الاقاليم المغربية على عهدهم. ومن جملة هذه الاقاليم : دكالة . ويظهر من نص الادريسي انه كان يستعمل كلمة دكالة في الدلالة على الاقليم لا على القبيلة او القبائل كما يظهر من نصه ايضا ان مدلول الكلمة جغرافيا كان متسعا يصل الى السوس ويشمل تارودانت ... ؛ والادريسي يسجل في ذلك العصر ما علم أو شاهده بنفسه من اتساع مرافق دكالة وما بها من قرى ومدن ومراس وفلاحة وسكان (6) ...

وفي نفس العصر زار الامام ابو بكر ابن العربي المعافري (7) المتوفى سنة 543 هـ دكالة في طريقه الى مراكش وسجل مشاهداته بها ولاحظ جودة التربة وقلة المياه . وقد نقل كلامه عدد من المؤرخين . ويمكننا بعد هذا ان نستنتج ان كلمة دكالة كانت مستعملة في عصر المرابطين . لكننا لا نستطيع – بناء على المادة التاريخية التي بين ايدينا – ان نجزم بأنها انما نشأت في هذا العصر ..!

اما في عصر الموحدين فاننا نجد هذا الاصطلاح قد تقرر واشتهر على الالسنة والاقلام ...

فنجده عند البيذق مؤرخ ابن تومرت (8) .. كما نجده عند مؤلف كتاب : الاستبصار في عجائب

(6) وصف افريقيا الشمالية والصحراوية ص : 45 – 48 – 49 .
(7) انس الفقير لابن قنفذ ص : 71 . ط. الرباط 1965 .
(8) راجع اخبار المهدي في عدة صفحات . منها 63 – 65 .

الاقطار (9) ... وعند المراكشي في المعجب (10) . وعند ابن القطان في نظم الجمان (11) .

والملاحظ عند امعان النظر في هذه النصوص التي جاءت في هذه الكتب والتي الفت في ظل سياسة الموحدين ... ان مؤلفيها كانوا يشيرون في استعمالهم لكلمة دكالة الى الدلالة القبلية لا الى الدلالة الاقليمية ... وقد راينا الادريسي الذي كتب قبلهم مؤلفة : نزهة المشتاق ، ينهج في استعماله لكلمة دكالة منهاج الاقليم . لا منهاج القبيلة ... ومعلوم ان الادريسي لم يكتب ما كتب وهو متاثر بسياسة الموحدين بل يظهر انه كان غير راض عن هذه السياسة ... ويتجلى ذلك في كونه تعمد ان يقاطع المادة اللغوية التي اخذ الموحدون منها اسم دولتهم وشعارها ومذهبها ... فلا يستعمل ما يستعمله مؤرخو دولتهم من كلمات : التوحيد ، والموحد ، والموحدين والدولة الموحدية ... والمهدى ... والمعصوم ... وانما يستعمل شيئا آخر وهو : دولة المصامدة ، او دولة المصاميد ... ويقول عن المهدي ... انه محمد بن تومرت المصمودي وهكذا . وبعد عصر الموحدين اخذ مدلول كلمة دكالة يستقر في الدلالة الاقليمية مع ضيق وسعة حسب الظروف والملابسات ... ولا ننسى ان المؤرخ ابن عذاري وهو من عصر بني مرين ذكر دكالة اثناء حديثه عن عقبة بن نافع (12) ... !

بعد هذه التحديدات والتحليلات ننتقل الى الحديث عن العناصر البشرية التي التقطت في هذا الاقليم وكونت على ممر العصور الوحدات التي اخذت اسماء متعددة ، منها المندثر ومنها ما لا يزال قائما ومعروفا الى الآن ... !

ان تتبعنا لمواطن القبائل المغربية القديمة منذ اتصل بها التاريخ واشتهرت باسمائها ووحداتها وما تكون من هذه الوحدات من تجمع ، او اتحاد ، او لف. يعطينا ان دكالة باعتبارها اقليما ذا سواحل وسهول ومرتفعات تجاور المجموعة المصمودية المستوطنة بجبال درن وما يجاور هذه الجبال من سفوح ومرتفعات .. من جهة الجنوب .. كما انها تجاور من جهة الشمال مجموعة صنهاجة ازمور ، وهذا الجوار بطبيعة الحال جعل الوحدات المتساكنة بدكالة يرجع بعضها باصوله الى صنهاجة ازمور بينما يرجع البعض الآخر باصوله الى مصمودة درن ...

ومصمودة درن قديمة الاستيطان هناك ، والادلة التاريخية متوفرة . ويكفي ان نعلم – حسب الاستقراء – ان البحث العلمي الدقيق لا يعرف والى الآن موطنا لمصمودة قبل جبال درن ... فمنها تفرعت الفروع ومنها خرجت الجموع ...

اما صنهاجة ازمور فالمظنون انها تنتمي في اصولها الى نفس الاصول التي تنتمي اليها صنهاجة الشمال وصنهاجة الجنوب ... وهذه الاصول – كما يقول المؤرخون والنسابون – ترجع الى الصحراء ... فهي الموطن المعروف لها . ويبقى السؤال قائما ..

متى انفصلت صنهاجة ازمور عن اختيها في الشمال والجنوب ... ومتى التحقت بمقرها في ازمور وما حوله .. ؟ وما هي الوحدات الصنهاجية التي تكون مع الوحدات المصمودية وغيرها هذه الوحدة الدكالية .. ؟

على اننا نعلم من خلال حركة التاريخ ان هناك عوامل اضافت الى الوحدات الصنهاجية والمصمودية في دكالة عناصر اخرى في عصر المرابطين ثم في عصر الموحدين ثم في العصور المتتابعة ... !

فقد اتاح المرابطون لدكالة عدة فرص للاستقرار والامن والتكتل والمعاش المناسب . حيث انهم بمواقفهم الحازمة من النحلة البرغواطية وما عاملوا به من كان منضويا تحت لوائها في تامسنا وغيرها . قد مكنوا دكالة من الامن والتفرغ الى العمل والاكتساب بعد ان كانت – ولمدة طويلة –

---

(9) الاستبصار ص : 209 – الاسكندرية 1958 م .
(10) المعجب ص : 341 . ط. القاهرة 1949 م .
(11) نظم الجمان ص : 84 – 87 .
(12) البيان المغرب ج 1 ، ص : 28 . وذكرها في الاجزاء الاخرى .

تشتبك مع البرغواطيين في حروب ونزعات معاشية ومذهبية ... فاذا انضم الى هذا العامل ان قبائل صنهاجية واخرى مصمودية تحركت على عهد المرابطين من الجنوب الى الشمال والغرب واستقر بعضها في دكالة . كان العصر المرابطي قد اضاف الى الوحدات القديمة وحدات اخرى من صنهاجة ، ومصمودة درن (13) .

هذا عن الناحية البشرية في عهد المرابطين . اما عن الناحيتين الفكرية والمذهبية ، فان المرابطين غرسوا في دكالة وفي غيرها من أقاليم المغرب التفكير السني ، والمذهبية المالكية . وبذلك انتشرت في دكالة مساجد الصلاة ، ومعاهد العلم . وظهر في الدكاليين رجال من اهل العلم والفضل والعبادة والتربية الصوفية ... واخذت الرباطات تضم العباد ، والعلماء ، وزعماء الزوايا (14) ...

ويكفينا هنا ان نشير الى موقف المرابطين من زاوية أمغار ورجالها حيث انهم كانوا يقدرون أعمالهم التربوية ويشجعونهم على اداء رسالتهم في هذه الناحية ، بل انهم كانوا يستشيرونهم في القضايا والملمات . والتاريخ لا ينسى راي أهل زاوية أمغار في تحصين عاصمة مراكش بالاسوار ، يوم ظهر ابن تومرت بدعوته التي استهدفت القضاء على المرابطين ودك صرح عاصمتهم (15) ...

واحتفظت دكالة - من الناحيتين الفكرية والمذهبية - بما غرسه فيها المرابطون . ولقد لقيت واقي رجالها على عهد الموحدين تضييقا وتحريجا بسبب موقفهم المتصلب من دعوة المهدي ومذهبية الموحدين المعروفة ...

ولا حاجة تدعونا الآن الى تحليل هذه النقطة من تاريخ دكالة . لاننا نحيل من أراد التعمق في دراستها على المصادر المتعددة التي عنيت بتاريخ الموحدين وتاريخ العلم والعلماء في عهدهم ...

وموقف دكالة وجاراتها من الموحدين ومذهبيتهم جعل عملهم فيها يتسم بالشدة والعنف (16) ... فيما يقول المؤرخون ...

فمن جهة كانوا يودون ان عاصمتهم مراكش تكون وسط جيران يشايعون الدولة ويدافعون عنها ويربطون مصالحهم بها ... وقد حققوا ذلك فعلا مع مصامدة الجبال الذين اولوا السياسة الموحدية كل ما يملكون من تأييد معنوي ومادي ... اما مصامدة السهول - ودكالة تمثل قوتهم العظمى - فانهم اتخذوا موقفهم المتصلب . وهم تلاميذ المرابطين الذين انقذوهم من تلسط برغواطة ومذهبيتها المنحرفة ... فكيف ينسون هذا بين عشية وضحاها ، وكيف يتنازلون عن مذهبيتهم السنية التي تزخر مساجدهم ورباطاتهم وزواياهم بعدد من الرجال يدعون اليها ويثبتون الناس على التمسك بها .. ؟

ويحاول المفسرون للتاريخ ان يربطوا بين هذا الموقف الذي اتخذته دكالة وجاراتها ، وبين اتاحة الموحدين الفرص لموجات من الهلاليين للنزول بالسهول المغربية ، ومنها دكالة ... ومضايقة ومدافعة السكان جزاء تصلبهم ازاء مذهبية الموحدين ...

كما يحاولون في نفس الوقت ان يربطوا بين نزول الموجات الهلالية ، وبين التعريب الشامل للاقليم كله ... حيث انضمت العناصر الهلالية الى العناصر المصمودية والصنهاجية ...

ويزيد هؤلاء المفسرون في استنتاجاتهم فيربطون بين نزوح بعض العناصر من دكالة الى اقاليم اخرى في الغرب ، وسايس ، وغيرهما ... وبين هذه السياسة الموحدية التي اتاحت الفرصة للهلاليين للنزول بدكالة ومضايقة ومدافعة سكانها ..

ويظهر حسب الاستقراء والتتبع الموضوعي لهذه القضية التاريخية ان هذه التفسيرات ليست

---

(13) آسفي وما اليه في عدة صفحات .

(14) ابن عبد العظيم الازموري مخطوطة : بهجة الناظرين .

(15) المصدر السابق .

(16) الكامل لابن الاثير ج 10 ، ص : 285 . ط بيروت 1966 م .

دقيقة في حجمها ولا منطقية في سائر استنتاجاتها مع التسليم بالمبدأ الاساسي . وهو الموقف المتصلب لدكالة وجاراتها من الموحدين ... ومحاولة هؤلاء التضبيق والتحريج والانتقام ...

وتوقفنا من هذه الاستنتاجات المتسمة في عمقها بالجزافية ، موقف التحفظ والاحتياط والحذر.

فالموحدون حينما جاءوا بالهلاليين واخوانهم الى المغرب بعد ان تم لهم الامر في المغارب الثلاثة كانت لهم اهداف متعددة كما نجد ذلك في النصوص التاريخية الموثوق بصحتها ... وقد نزل هؤلاء الهلاليون واخوانهم في اقاليم مغربية ومنها دكالة ..

— فاذا كان التضبيق الانتقامي هو الهدف ... فهل كان الموحدون يهدفون الى ذلك في جميع الاقاليم التي نزل بها الهلاليون ... ؟ اظن ... لا .

— ولو كان التضبيق الانتقامي هو الذي دفع بعض عناصر دكالة الى النزوح عن أرضها .. لما ترك لها الموحدون الفرصة للنزول بأراض خصبة للغاية كسايس والغرب والتمتع بخيرات المياه المتدفقة من سبو وروافده ...

اما قضية التعريب الشامل في الاقليم كله ، فلها اسباب قبل وبعد الهلاليين ، وان كنا لا نشك ان للهلاليين الحظ الاوفر منها ...

ومهما كانت دوافع الموحدين ... ومهما كانت دوافع النازحين عن دكالة ... فاننا لا نشك ان عناصر هلالية عملت عملها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بدكالة ... منذ عصر الموحدين ... كما انه في نفس العصر دخلت الى دكالة عناصر من الصحراء . ومن المعروف تاريخيا ان عبدة دخلت واستوطنت وانساحت في موطنها المعروف والى الآن (17) ...

وهكذا دخلت عناصر من الشمال : بنو هلال واخوانهم ... وعناصر الجنوب : العبديون واخوانهم من عرب معقل ... وكون الجميع دكالة التاريخية ... المعروفة بما ترك عصر الموحدين فيها من تطور في البنية السكانية ، والسياسة الموحدية — ولا سيما في عهدها الاخير — عهد التفكك والصراعات .. تجرعت غصصا من نتائج الاخطاء المرتكبة ... بسبب اثارة الحساسيات القبلية ... في الاقليم .. ! (18)

بل ان دكالة شهدت الصراعات الاخيرة التي انتهت بما هو معلوم في التاريخ من طي صفحة دولة الموحدين وقيام دولة بني مرين ... بعد صراعات داخلية وخارجية مهدت لقيام الوحدات الاربع

— دولة بني حفص في تونس .
— دولة بني عبد الواد في تلمسان .
— دولة بني مرين في المغرب .
— دولة بني الاحمر في غرناطة .

ولقد نضجت في دكالة على عهد الموحدين حركة التربية الصوفية ، والتربية العلمية ، وادت كلتاهما رسالة نبيلة الى دكالة والدكاليين ، بل جاوز مفعولهما مدن وقرى الاقليم الى الجيران الاقربين والابعدين . وشاهدنا اعلام الرسالتين : تتالق نجومهم ويذيع صيتهم داخل المغرب وخارجه ...

وفي كتاب (التشوف) الشيء الكثير عن هؤلاء الاعلام ...

وعند صعود بني مرين الى الحكم — رغم ما حل بالبلاد ايام المخاض السياسي — انتعشت دكالة اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا ... ولم يقدر لابن خلدون ان يزورها . ويدون مشاهداته بها ... لكن معاصره لسان الدين ابن الخطيب زار المنطقة وكتب عنها ما هو مشاهد في كتابي « نفاضة الجراب » و « معيار الاختيار » وغيرهما من كتب ابن الخطيب المفيدة..

---

(17) آسفي وما اليه في عدة صفحات .

(18) ابن عذاري : الجزء الخاص بالموحدين الفصول الاخيرة .

كما كتب عنها في نفس العصر ابـــن قنفـــذ القسنطيني الذي تولى القضاء بها ، والف كتابـــه : « أنس الفقير وعز الحقير » .

وهذا الكتاب في أصله مؤلف في موضوع اهل التربية الصوفية والعلمية ، لكن فيه اشارات مفيدة جدا عن تاريخ دكالة ومعالمها ومعاهدها ورجالها . وما كانت تنعم به اذ ذاك من ثروة ورخاء وازدهار ...

وابن عبد العظيم الازموري الف في هذا العصر كتابه : « بهجة الناظرين » وهو في اصله مؤلـف في موضوع مناقب اهل زاوية أمغار . الا انه على المادة تضمن معلومات تاريخية وجغرافية وسياسية عـــن اقليم دكالة ... وغيره من اقاليم المغرب ... بـل ان به معلومات انفرد بها عن موقف المرابطيـــن من زاويـــة أمغار ورجالها .. !



للأستاذ الشيخ محمد الشاذلي النيفر (تونس)

وردت في الإسلام قواعد اجتماعية ذات أهمية عظمى في تكوين المجتمع واستقامته لكن الكثير ينظر لها نظرة سطحية ولا يعيرها اهتماما ويحسبها من البسائط. ويمر بها كأنها من أتفه الأسباب ولكنها في الحقيقة ذات تأثير بالغ في الحياة ولا تستقيم الحياة بدونها وهذا كالتواصي بالحق.

يحسب من لا يزن الأشياء التواصي من الأمور التي تستغني عنها الحياة. ويمكن أن تقوم بدونها. فما هي إلا من البسائط. وأما الذي يزن الأشياء بميزانها الحقيقي فيدرك ما يحتوي هذا الأمر من أثار في الحياة الإنسانية.

ومن الغريب أن العالم الغربي توصل إلى إدراك مالهذه القاعدة الإجتماعية من قيمة وتذرع لها بذرائع متعددة ومن أهم هذه الذرائع إيجاد الصحف التي هي في مقدمة ما تعنى به مع الأخبار أن تكون منيرة للرأي العام ومحذرة له من المزالق. فالعنصر الأول لتكوين الصحف هو أن تكون مبينة للرأي العام ما يجب عليه أن يأخذ به وما يجب عليه أن يحذر منه.

ولكن هذه الذريعة استغلت استغلالا فاحشا وتكالب أصحابها على المال ونسوا المهمة التي انشئت من أجلها الصحافة فأصبحت الصحف تسير في غير الطريق التي أسست من أجلها وأصبحت توصي بغير ما ينفع وأصبحت من أكبر أسباب إشاعة الفاحشة وذلك في الصحف الخليعة الماجنة التي أضرت برأي الشباب ذكورا وإناثا المستوردة من الغرب وكلنا يدرك ما نقاسي من هذه الصحف الماجنة الخليعة التي بلبلت الأفكار.

وكما استغلت للمجون استغلت لأغراض أخرى فلعبت بالشباب وأصبح ألعوبة في أيديها تذهب به الأهواء في المهالك.

ومن هنا ندرك أن الفوائد الإجتماعية إذا لم تؤخذ على أساس ديني وأخذت على أساس آخر يخرج بها من طريق الإصلاح إلى غيره فتصبح من معاول الهدم لا من آلات الإصلاح.

وقد اتضح أن هذه القاعدة الأساسية الإجتماعية القيمة البالغة والأثر الفعال أول من نادى بها الإسلام في سورة من أقصر سور القرآن وقد أبرزها في أسلوب حكيم موضحا فيه النفسية الإنسانية أتم توضيح فقال عز من قائل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

باسم الله الرحمن الرحيم **«والعصر (1) إن الإنسان لفي خسر (2) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (3)».**

ومن بديع النظم القرآني وحكمته أنه استهل تقرير هذه القاعدة الإجتماعية بتحليل الإنسان المجرد. وذلك أن الإنسان إذا أخلي ونفسه ماذا يكون.

إذا نظرنا إلى الإنسان وقد حيل بينه وبين كل وسائل التعليم فإنا نجده ينشأ على الأمية والجهل الطامس والتعلق بالأوهام والأخذ بالأسباب المضرة بالإنسان.

أليس الإنسان الهمجي هو المثال للإنسان الذي حرم من المعرفة ومنع من الكرع من مناهل العلم حتى أصبح هو والحيوان متساويين ؟ أليس الإنسان الذي لم يتلق المعرفة ولا يحسن القراءة

فضلا عن الكتابة يكتفي في إبلاغ ما عنده من أفكاره البسيطة بواسطة التخاطب، ثم ان اللغة عنده ليس إلا محاكاة للطبيعة في سذاجة تامة قد خلت من كل وسائل التفكير.

ألم تر الإنسان حين لا يعلم كيف يكون في جاهلية طامة وأخلاق منحطة حتى كأن الإنسان مع أخيه الإنسان كالحيوان الضاري يفتك منه قوته بالقوة ويسلبه ما عنده كما كان عليه الإنسان العربي قبل بعثته صلى الله عليه وسلم حتى وصف ذلك العصر بعصر الجاهلية ويكفيهم أنهم يعيرون بخشية الله سبحانه وتعالى كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا فما بعد التاريخ والنظرة إلى الحاضر نشك في كون الإنسان إذا خلي بدون التكوين الصحيح ما هو إلا في خسر.

ففي هذه الآية على قصرها ما حلل الإنسان المجرد تمام التحليل بما هو مؤيد بواقع الإنسان في ماضيه وحاضره وبهذا نعلم أن كنوز القرآن لا تنفد وإنما ظهورها يتوقف على تدبر القرآن.

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ويتذكر أولوا الألباب» فهذه الآية تبين ما هو الإنسان المجرد وتحتاج في توضيحها إلى مؤلف خاص ورحم الله الإمام الشافعي في قوله ، لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم.

ويبدو لي وجه لطيف في أقسام الله سبحانه بالعصر دون غير أراه أولى مما جلبوه من الإختلاف في المراد بالعصر أهو الحصة من الزمن الممتد منذ خلق الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين أم غير ذلك.

وهذا الوجه هو أن الله أقسم بالعصر دون غير لا ليلفت انتباه الإنسان إلى عصوره وينظر كيف كان لما كان إنسانا مجردا منسلخا من التعاليم التي جاء بها آدم أبو البشر، فيرى كيف كان في خسران مبين، لا يعرف من حقائق الحياة شيئا وإنما هو يتعسف في حياته فلم يهتد طريقا رشدا ولم يعرف من أين ينفذ إليها، فتاه تيها جعله في شقاء ونزاع.

ففي الإقسام بالعصر تذكير للإنسان بأن يلتفت إلى ماضي أحقابه ليقايس بين عصر جاهليته وبين عصر اهتدائه بالرسالات.

وهذا أولى مما ذكره الشيخ محمد عبده من أن الأقسام بالعصر لتنبيه الناس إلى أن الله خلق الأشياء وأودع فيها حكما فنسب الناس إليها الشر وظنوا بها السوء وهم مخطئون لأن الشر لم يودعه الله في هذه الأشياء وإنما هو من قبل الناس أنفسهم.

وتعرض لتسمية حكماء العالم السفلي بعالم الكون والفساد وهذه مسألة تحتاج إلى نظر في تحقيق وجه التسمية.

ثم أنه قصد من وراء ذلك الرد على الذين يزهدون الناس في الدنيا وهم المتصوفة وإن لم يصرح بذلك تصريحا كاملا.

وله وجه حين قرر ذلك إذ أن عصره عصر انتشرت فيه الصوفية الكاذبة وأصبح المسلمون يعيشون لا لشيء أما الآن فنحن أمام معضلات هي أشد من المعضلات التي عاشها عصر محمد عبده إذ هي معضلات من نوع آخر ولتوضيح ذلك نذكر ،

أن المسلمين في عصر محمد عبده كانوا قد جمدوا حول أفكار وعادات فهموها من الدين فهما معكوسا فنبذوا العلوم وأحجموا عن المعارف الحديثة وادعوا الزهد، وإن لم يزهدوا حقيقة وإنما كان هناك مجرمون زينوا لهم الزهد المزور وعاش أصحاب الحظوظ في قصورهم ومنازلهم في لهوهم ونصبهم.

أما عصرنا الحاضر فإنا نعيش في عصر انهيار للخلق عاد فيه الإنسان إلى عصره الأول، وهذا كما نراه في الشباب الوافد علينا الذي أطلق لحيته، وشعر رأسه وأصبح الإنسان الأول الهمجي، ولو أن الأمر وقف عند هذا الحد لكان في أكثره، ما يتجرع وإنما أطلق هؤلاء العنان لكل شيء حتى أصبحت حياتهم بهيمية، فكما أطلقوا اللحى أطلقوا سبل الفساد الجارف وهذا من أثر الصهيونية التي تريد أن تقضي على الشباب حتى تتمكن من السيادة العالمية ويصبح زمام الأمور بيد اليهود، فيكون لهم التصرف في الناس كتصرفهم في البهائم لأن اليهودي لا ارب له إلا أن يجعل البشرية جمعاء عبيدا لليهودية.

وعصرنا الحاضر قد صور لنا خسر الإنسان بأتم معنى الكلمة إذا تجرد من الإيمان وتوابعه.

بماذا يكون الإصلاح ؟

بعد هذا الإيضاح لقيمة الإنسان المجرد ذكر القرآن ما يصلحه ويعود به إلى التعاليم الصحيحة التي نادى بها أنبياء الله كلهم وإنما حرف الناس وبدلوا وطال عليهم الأمد ففهموا آيات الله معكوسة.

وفي هذا الأسلوب ما يجعل ما يأتي بعد ذلك له وقعه في النفوس حيث اتضح أن الإنسان إن لم يأخذ بهذه الصفات الإصلاحية فمآله الخسران المبين والسقوط في المهاوي التي لا تؤول بالبشرية إلا إلى الإنقراض والفناء وهو ما نشاهده اليوم فإن التفكير

وإبان هذه الاضطرابات كون الخوارج بالمغرب دولتين مستقلتين هما ، دولة بني رستم (4) بتيهرت (5) وما حولها، ودولة بني مدرار بسجلماسة (6) وانتشرت نحلة الخوارج بهذه المناطق انتشارا كبيرا، ومن المعلوم أن الخوارج بالإضافة إلى آرائهم في الخلافة والسياسة لهم مذاهبهم الفقهية الخاصة بهم، وهي بطبيعة الحال تغاير مذهب السلف، ومذهب الإمام مالك، وغيرهما من المذاهب السنية.

وانتشار مذهب الخوارج بالمغرب تبعه التعرف على آرائهم وعقائدهم ومذهبهم الفقهي وتمكن كثير من المغاربة من الفقه الخارجي وقام بعضهم بالرحلة إلى المشرق للتعمق والتوسع في دراسة هذا المذهب، وعاد هذا البعض مشبعا ومزودا بالأفكار والآراء الخارجية، وكانت مساجد إمارة بني مدرار بسجلماسة، ومساجد إمارة بني رستم بالمغرب الأوسط بمثابة مدارس علمية يقبل عليها الطلاب والدارسون من مختلف الجهات للتعلم والتفقه وكانت تعقد بهذه المساجد حلقات لتدريس عقائد الخوارج وفقههم وآرائهم في التوحيد، والإمامة، والسياسة...

وكان فقهاء الخوارج ينظمون المناظرات العلمية مع مخالفيهم في الرأي وخاصة مع المعتزلة وفقهاء المذهب المالكي (7).

وتمكن مذهب الخوارج من الإنتشار والرسوخ في كثير من أجزاء البلاد وخاصة بالجنوب والمغرب الأوسط، وجبل نفوسة (8).

واشتهر من فقهاء المذهب الخارجي فقهاء كبار، وعلماء بارزون، مثل الأمير عبد الرحمن بن رستم، وولده عبد الوهاب، والشيخ مهدي النفوسي المتكلم البارع، والفقيه المتبحر عبد العزيز الأوز، ويعقوب بن سيلوس قاضي ورجلان (9).

وكان لفقهاء الخوارج مؤلفات، ومصنفات بالعربية والفارسية والبربرية، كما كانت لهم خزائن علمية شهيرة (10).

وكما انتشر مذهب الخوارج بالمغرب، انتشر مذهب أبي حنيفة النعمان الذي دخل مع النفوذ العباسي على شمال افريقيا، وندرك من المصادر التي تحدثت عن هذا الموضوع أن مذهب أبي حنيفة أقبل عليه الناس إقبالا كبيرا واستمر لمدة طويلة، كما صرح بذلك القاضي عياض في المدارك (11).

«وأخذ أهل هذه البلاد بمذهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم امامهم» (12).

وانتشر كذلك بالأندلس مع الشاميين - في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، مذهب الإمام الأوزاعي الذي ظلت بعض الجزئيات منه معمولا بها في الأندلس والمغرب معا (13).

وعندما ورد المولى ادريس على المغرب (14) كان في مقدمة الشخصيات المغربية التي رحبت به، ومكنت له الأمير اسحاق بن

---

4) (دولة بني رستم) لعبد الرحمن بن رستم (ت : 168 هـ) بن بهرام الفارسي كان خليفة لأبي الخطاب والي افريقيا، وبعد هزيمة هذا الأخير أمام ابن الأشعث فر عبد الرحمن إلى المغرب، واجتمعت عليه الاباضية من الخوارج فنزلوا بتيهرت وبنوا مدينتهم وأصبح عبد الرحمن أميرا وإماما لهم، واستمرت الامارة في بني رستم إلى سنة 296 / 908. البيان المغرب، ج ، 1 / 197 والاستقصا، 1 / 24 و 128.

5) تيهرت يقول ابن عذاري أسسها عبد الرحمن بن رستم واجتمعت عليه بها الاباضية، وكانت في الزمان الخالي مدينة قديمة فأحدثها عبد الرحمن، تقع غرب الجزائر العاصمة نحو الداخل في سفح جبل يسمى باسمها، واستمرت عاصمة لدولة بني رستم أكثر من قرن وربع من الزمان.

6) اتخذ الخوارج الصفرية من سجلماسة عاصمة لهم، حيث أجمعوا على مبايعة عيسى بن يزيد بن الأسود بالإمامة، وأسسوا داخل المدينة حصنا سموه (العسكر) وأسسوا المسجد الجامع، ودار الإمارة. ولما لسجلماسة من مكانة تاريخية فقد تكلم عنها البكري وابن حوقل وابن خلدون وغيرهم.
وانظر سجلماسة ، البيان المغرب لابن عذاري ، 1 / 206، ومصلحة المدن والقبائل للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله (حرف السين) ص ، 264. ط ، فضالة ، 1977، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

7) الدكتور محمود اسماعيل ، الخوارج في المغرب الإسلامي ص : 219 ، ط ، دار العودة بيروت ، 1976.

8) اشتهر جبل نفوسة بكونه من أهم مراكز الخوارج ببلاد المغرب العربي، ومنه تخرج عدد كبير من فقهاء الخوارج الاباضيين، وكان يشمله نفوذ بني رستم في كثير من الفترات، وهو يقع جنوب طرابلس بليبيا.

9) من أهم مراكز الخوارج الاباضيين بالصحراء، وكانت ورجلان تابعة لبني رستم وكانت تضم عددا كبيرا من علماء الخوارج.

10) (الخوارج في المغرب الإسلامي) ص ، 218، والملاحظ أنه إبان الصراع بين الخوارج والشيعة في نهاية القرن الثالث الهجري، استعمل الفاطميون معهم كل وسائل العنف، وعملوا على طمس تراثهم ببلاد المغرب.

11) المدارك ج : 1 ، 25 ـ 26. مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب.

12) أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا ج ، 1 ، 137 ط دار الكتاب.

13) عن بقايا مذهب الإمام الأوزاعي، انظر المعيار للونشريسي، ونوازل العلمي ج ، 2 ، 72. باب مسائل الحبس.

14) يقول ابن عذاري المراكشي ، «اتفق جماعة المؤرخين أن دخول ادريس بن عبد الله إلى المغرب كان سنة 170 هـ في إمارة يزيد بن حاتم على افريقية، وإمارة هشام بن عبد الرحمن الداخل بقرطبة، وأول ظهور بني مدرارا بسجلماسة البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) ج ، 1 ـ 82

وقد نبهنا النبيء صلى الله عليه وسلم إلى ما ينفع ويبقى نفعه، ولا ينقطع مدى الدهر ومن هذا القسم ما أشار إلى بعضه الحديث الشريف.

(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). أخرجه مسلم وغيره.

معنى الصدقة الجارية الصدقة الممتدة بعد موت صاحبها وفيه بيان فضيلة الوقف العام.

وأما العلم الذي ينتفع به فإن يقصره شراح الحديث على التعليم والتصنيف وفي الحقيقة إن كل ما كان من قبل العلم المنتفع به طوال العصور يدخل في هذا القسم أشياء كثيرة كالإختراعات المفيدة، وهي لا ينتفع صاحبها بثوابها إلا مع الإيمان.

الثالث التنشئة الصالحة للولد، حتى يكون مدعاة لرحمة والده وأمه سواء كان الترحم بلسان الولد أو بلسان غيره.

الأمر الثالث ، التواصي بالحق هذا العنصر الثالث من الأهمية بمكان وبه تقوم الحياة وهو التواصي ومن أجله تكونت أشياء وأشياء فلا يظن الظان أنه مجرد المصافحة في الطريق وقول القائل أوصيك بالحق بل هو أمر عظيم نبهنا الله إليه وحرضنا عليه ولكننا غفلنا عنه.

فالتواصي بالحق لو اعتنى به المسلمون كما اعتنى به سلفهم لما وصلوا إلى ما عليه اليوم من هذا العجز عن دفع عدو كاشح، وذلك أن التواصي مراد به التواصي بالعمل بالقرآن.

ويكفي أن نقول المبادىء القرآنية التي جمعت كل شيء لمن تدبرها وتفهمها حق التفاهم.

أول من يوصون بالحق ولاة الأمر فعوض أن تتزلف إليهم بما يرضي شهواتهم نوصيهم بما ينفع الأمة.

وهذا ما تفطنت له الأمم الغربية فأوجدت المؤسسات العديدة لتتلقى النصح حتى لا يصدر ما يلزم الأمة إلا بعد أخذ آراء نخبة من الأمة مما يتقدم به هؤلاء من النخبة.

وهاهنا لنا وقفة : في أن المتقدمين لهذه المهمات هل راعوا مصالحهم أو مصالح أمتهم التي أناطت بهم تلك المصالح لأنهم إن قدموا مصالح الأمة رفعوا منار الحق، وأوصوا به، وأن تغلبت المصالح الخاصة ووقع نسيان التواصي بالحق، وهذا ما نكله إلى الواقع وإلى الأيام فإنها الكفيلة بإعطاء الحقائق ثوبها دون إكسائه لغيرها.

ولكن لو أن هذا التواصي كان محققا في الأكثرية منا لكان لنا شأن غير هذا الشأن.

والتواصي بالحق يدخل فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذان بهما تتمايز الأمم وبهما تسعد الأمم أو تشقى، تسعد الأمم إذا قام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشقى الأمم إذا أعرضوا عنهما.

وقد بين لنا تعالى أن الأمة الإسلامية في عصورها الذهبية كانت خير أمة أخرجت للناس حين قامت بهما فقال تعالى :

«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» (110) آل عمران.

وبعد هذا التواصي في هذه الدرجة هناك تواصي آخر بين كل فرد وفرد، ومنه ايصاء أهله وولده حتى يقيهم من النارفإن أولى من نوصيهم أبناؤنا الذين لم تربط بيننا وبينهم صلة الوصاية اما اتكالا على أنهم في المدارس واما غفلة وفي كلا الحالين نخسر أبناءنا فما علينا إلا أن نوصيهم في كل مناسبة وبالأخص المناسبات التي يكون فيها التأثير أبلغ.

قصة اللورد غراي مع جده : جاء في مذكراته أنه تأثر بجده أشد التأثر فإنه حين حرب فرنسا مع ألمانيا سنة سبعين من القرن الماضي الميلادي حدثه جده عن فرنسا متحسرا من هزيمة ألمانيا لها، فكان ذلك سببا في التقارب بين فرنسا وأنجلترا مما أدى إلى دخول الآخرة في الحرب العالمية الأولى.

وبجانب توصية الأبناء يجب علينا أن نوصي بعضنا بعضا بذلك، وهذا ما أغفلناه فأصبحنا إما أن نتواصى بغير الحق كما هو الحال عند أرباب المعاصي الذين يتواصون بالمناكر والفجور واما أن تهمل التواصي ظنا منا أن ذلك يكون سببا في التحبب إلى الناس وفي الحقيقة أن ذلك ضرب من الخديعة المؤدية إلى انحلال الأمة، وانتهاء عزتها.

وقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بمثل من أوضح الأمثال وهو الراكب في السفينة إذا أراد خرقها فإما أن يضرب على يده فينجو، وينجو من في السفينة، وإما أن يتركوه يصنع ما يريد، فيبتلع البحر السفينة ومن فيها.

التواصي بالصبر

هو الأمر الرابع من جوامع الإصلاح في هذه السورة وإنما وصى الله التواصي بالصبر بالتواصي بالحق لأنه لا يتم التواصي بالحق إلا مع الصبر.

ولقيمة الصبر في الحياة الإنسانية جاء ذكر الصبر في الكتاب الكريم المرات العدة ومن أجل ابناء الحياة المركزة عليه وفر الله أجر الصابرين. فقال عز من قائل :

«إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» (10) الزمر.

وقد بشر الله الصابرين بأنواع من الكرامات ومن أعلاها معية الله التي يحظون بها فقال عز من قائل :

«إن الله مع الصابرين» (153) البقرة.

لما في الصبر من توطين النفس على المكاره أخذ الله تعالى بيد الصابرين فكان ناصرهم، ومجيب دعوتهم.

ولولا الصبر لانهارت العزائم، وفترت الهمم، وانتقض كل بنيان فقد جرت سنة العليم الحكيم بأن الأعمال العظيمة لا تتم ولا تخرج إلى الوجود إلا بالصبر. فبه يسهل العسير، وتتابع الخطوات، ويكون الوصول إلى المراد فسنة الله الكونية أن نجاح الأعمال رهين الصبر.

ولا تظن أن الصبر في ملازمة البيوت ووضع الأيدي في الأحضان. وإنما الصبر في توطين النفوس على الأقدام على الأعمال الجليلة بالإستعانة به. قال الله تعالى.

«يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين» (153) البقرة.

وضحت لنا سورة العصر كيف نشق الطريق للوصول إلى مهام الأمور وعظائمها فلنتخذها ديدننا في التوصية أسوة بالسلف.

سدد الله خطانا، ووفقنا لصالح الأعمال.

عقبات على طريق النهضة الإسلامية في مواجهة الحضارة الغربية

للأستاذ أنور الجندي
(القاهرة)

إن حضارة الغرب تمر اليوم بمرحلة الانهيار والهزيمة والتحلل، وهو الدور الذي مرت به من قبل حضارات الرومان والفرس وكل حضارة خرجت عن القيم الدينية والأخلاقية وانحدرت إلى الترف والإباحية والفساد.

ومع أن هذه الظاهرة واضحة تماما في عشرات من الصور والمواقف فإن دعاة التغريب ما زالوا أمثال حسين فوزي ولويس عوض وغيرهم يكذبون على أهلهم وغيرهم بتصوير هذه الحضارة على أنها المثل الأعلى والغاية المرتجاة لكل ثقافة وأمة. ولو أننا تدبرنا قليلا ما يقوله أمثال جيرالد هيدر في كتابه (القيم الخلقية الثابتة)، حين يقول: «إن الغرب تعس ومتخلف يحكمه القانون العلمي في كل شيء حتى غدا الإنسان آلة قابلة للتحكيم والتحكم مادام كل شيء ماكينة فكل شيء لا هدف له ولا أخلاق له ولا قيم له. إن كل ما يملك الغرب هو القدرة على التصنيع والقدرة وحدها قد تدمر والإسلام يحقق لا بالشفاه ولكن بالقلب والعمل معا».

وقد أشار إلى معاني الفساد في الحضارة الغربية باحثون كثيرون في مقدمتهم (والتر شوبارت) الذي يقول: «إن الروح الغربية يتفشى فيها الخوف والقلق وهي شديدة الاثرة نزاعة إلى الفردية محبة للتنافس. صحيح أن الغرب قد جعل الإنسانية ذات تراث واسع بتفوقه في الصناعة ولكنه جرد الإنسان من الروح وسيفقد الغرب زعامته ويصبح لا يمثل الطراز الإنساني في الغالب وكثير من ذوي العقول الراجحة يتوقون إلى أن يروا نهاية الثقافة الغربية البالية وهم يشعرون بفقرها وإفلاسها ويتطلعون إلى ثقافة تخلفها. إن الفرد من خلال هذا النموذج الثقافي - الغربي - لا يعبىء روحه وإنما يهمه فرض سلطانه وتوسيع دائرة نفوذه وقد نجح الفرد في تغيير وجه الأرض ولكن هذه الثقافة أخذت تملأ سماءها السحب وتومض حولها البروق وتقصف بها الأعاصير وأوربا تنزلق إلى الهاوية وتقرب من النهاية ولا شيء يستطيع دفع هذا المصير المظلم».

والحقيقة أن هذا المصير المظلم الذي يواجه البشرية يستطيع شيء واحد رفعه هو «الإسلام» مفهوم العودة إلى الله وربط الأسباب كلها بصانع الأسباب وخالق كل القوى في عالم الطبيعة وعالم الإنسان.

وقد وصف سولجنتين الحضارة الغربية المعاصرة بالهزيمة والتدمير وقال إن أعجب ما يلاحظه المراقبون الأجانب في الغرب هذه الأيام هو الانهيار في روح الشجاعة في مواجهة الشوفينية والشيوعية. إنهم مصابون بالشلل عندما يواجهون القوى المهددة لأمتهم ومنها الإرهاب الدولي ويتساءل: هل انهيار روح الشجاعة هو بداية النهاية. ويقول: إنه مما يساعد على هذا الغزو الذي يثير الاشمئزاز لحياة الفرد الخاصة بواسطة البرامج الغبية في التلفزيون والموسيقى التي لايمكن احتمالها. أن الدفاع عن حقوق الغرب قد وصل إلى أبعاد متطرفة بحيث أصبح المجتمع كله أحيانا يقف عاجزا عن مواجهة أشخاص معينين. إن السطحية والاستعجال هما مرض القرن العشرين. يبدو ذلك واضحا في الصحافة. لقد أصبحت الصحافة أقوى من السلطة التشريعية والتنفيذية ومن سلطة القضاء.

إن المعركة من أجل بقاء كوكب الأرض قد بدأت فعلا. إن قوى الشر قد بدأت فعلا هجومها. ونستطيع أن نتحسس ضغطها في

كل مكان ورغم ذلك فإن شاشات تلفزيونات الغرب وصحفه حافلة بالابتسامات والكؤوس المرفوعة لتبادل الأنخاب. لقد وضعنا كل آمالنا في الغرب على نظريات للإصلاح الاجتماعي والسياسي واكتشفنا بعد ذلك أننا مخدوعون».

وهكذا نجد الأمور قد صارت واضحة لهم ولكن ما بال أهلنا في العالم الإسلامي ما يزالون في خدعة عميقة تجاه هذه الحضارة المنهارة وما زال بريقها يملأ عيونهم وأرواحهم.

إن الغربيين اليوم يبحثون بعد إفلاس الحضارة الغربية عن طريق ، هذا الطريق نشعر نحن المسلمون أن لدينا مفاتيحه. نعم إن فكرنا الإسلامي الأصيل قادر على أن يقدم لهؤلاء ما يبحثون عنه. إن هؤلاء القوم معذورون لأن طبيعة المفهوم الذي جاءهم عن الدين لم يكن كاملا والإنجيل الذي أنزل على نبي الله عيسى عليه السلام لم يكن دينا مستقلا ولذلك فإنه ماكان ليقود حركة الحياة. لقد أنزل الله تبارك وتعالى الإنجيل على عيسى عليه السلام ليكمل النقص الذي وجد في بني إسرائيل حين انصرفوا إلى المادة انصرافا كاملا حتى أنك حين تقرأ التوراة المكتوبة بأيدي الأحبار فلا تجد فيها كلمة واحدة عن اليوم الآخر. لقد أعلوا شأن المادية حتى دعوا إلى أن يروا الله جهرة. من أجل ذلك كان لا بد أن يأتي الإنجيل ليقدم شحنة روحية ويكمل النقص الذي مني به بنو إسرائيل. فلما انفصلت المسيحية عن اليهودية كانت المادية كلها في جانب والروحية في جانب. إن الإسلام قد جمع بين المادة والروح وأمور الحياة ومطامح النفس ولذلك فقد نص القرآن على أن بني إسرائيل أهملوا القيم والروحانيات وأن أهل الإنجيل أهملوا الدنيا أما أهـــل الإسلام فقد جمعوا بين الجانبين.

لقد قدم الإسلام مفهوم الحضارة الإنسانية الجامعة ، حضارة العدل والرحمة والإخاء الإنساني على أساس تحرير الإنسان من عبودية الوثنية ومن عبودية الإنسان وأن يكون الإنسان مستخلفا في الأرض لبناء المجتمع الرباني وأنه مسؤول وملتزم أخلاقيا ويؤمن بالجزاء والبعث والحساب ويؤمن بأن الكون قد خلقه الله تبارك وتعالى وأنه مصدر العلم الشامل والمعرفة الحقيقية لجميع البشر. ولقد أعطت الحضارة الإسلامية البشرية هذا المفهوم العميق كما أعطتها المنهج العلمي التجريبي وإذا كانت قد توقفت عن العطاء فإنها مؤهلة للعودة كرة أخرى إلى أداء واجبها في بناء الإنسانية الراشدة بعد أن أثبتت الحضارة الغربية فشلها في أداء هذه الرسالة.

ولقد هوجمت الحضارة الإسلامية من طرف الغرب هجوما شديدا وتنكر لها بعد أن أحرز زبدة علومها ومعطياتها. ولكن الحق يعلو مهما اشتد التنكر له فقد عاد المثقفون يعترفون بالفضل. ويرون أن البشرية لن تستطيع أن تحقق مجتمع الرحمة والعدل والإخاء إلا إذا عادت إلى الإسلام كرة أخرى

إن الحضارة الإسلامية بمفهوم القرآن تهدف إلى قيام المجتمع الإسلامي الصحيح الذي يجمع بين توفر الحاجيات المادية والحاجات النفسية وضمان تحقيق التوازن بين الأمرين. ولقد أصبحت المبادئ الإسلامية على نحو يجعلها رمزا للضمان الحقيقي للأمن والكرامة. والضوابط التي تحتويها لا تعارض سنن التطور في الحياة البشرية من جهة وتضمن توفير حاجيات البشرية بنوعيها من جهة أخرى

إن على المسلمين الذين ما زالوا مخدوعين في الحضارة الغربية والذين يحاكونها محاكاة عمياء. على هؤلاء أن يتذكروا ما قاله برتراند رسل الفيلسوف الإنجليزي ، من أن الناس في الغرب غير قادرين على تطوير الجانب الإنساني من الحياة بالكمية نفسها التي تتقدم بها الناحية المادية وأن كل خطوة إلى الأمام في المخترعات المادية هي خطوة نحو فناء الإنسان. فعلينا أن نكون دائما على يقظة فلا نلقي بأنفسنا تحت رحمة هذه الحضارة. إن علينا أن نأخذ منها ما ينسجم وإسلامنا ونلقي عن كواهلنا عفنها وفسادها. وهذا أمر ميسور حين نؤمن بالإسلام عن بينة وهدى والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أو كما يقول المسلم الألماني محمد صديق من أن الحضارة الغربية لا تضع حلا لغير مشكلات الحياة المادية ونحن نشاهد أثرها المدمر على الحياة الإنسانية فقد تحطمت الأسرة كما جمدت صلات المودة بين الأفراد ولذا فإذا شئنا أن نكون بشرا بحق ونتصرف تصرفات إنسانية أن نعرض إعراضا كاملا عن التفكير الأعمى للحضارة الغربية.

القاهرة - **أنور الجندي**

قدم الإسلام مفهوما للحضارة الإنسانية الجامعة :
حضارة العدل والرحمة والإخاء الإنسانـــي

لماذا تهمل الجامعات تاريخ الأندلس؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

●● تحت هذا العنوان كتب الأستاذ المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان مقالا في العدد شهر ديسمبر 1981 (صفر 1402) من مجلة (العربي) الكويتية تعليقا على كتاب الأستاذ محمد قشتيليو عن : (محنة الموريسكوس في اسبانيا) الذي نشره في المغرب في السنة الماضية.

ولأهمية المقال، وحيوية الموضوع ننقله عن الزميلة (العربي) فيما يلي :

وقع في يدي خلال وجودي بالمغرب، كتاب من نوع خاص عنوانه «محنة الموريسكوس في اسبانيا» (سنة 1980) لمؤلفه الأستاذ محمد قشتيليو، والموريسكوس هم بقية الأمة الأندلسية المغلوبة، الذين ارغموا على التنصر ثمنا لبقائهم، في الوطن القديم، وأطلق الاسبان عليهم هذا الاسم los Moriscos اعني «العرب الاصاغر» ونفضل نحن ان نسميهم الموريسكيين أو «العرب المتنصرين» ومؤلف هذا الكتاب حسبما يخبرنا في كتابه هو مغربي من مدينة القصر الكبير ومن أصل أندلسي أو بعبارة أخرى من أصل موريسكي حسبما يدل على ذلك اسمه. وقد كانت ثغور المغرب الشمالية، ولا سيما مدينة تطوان، والمناطق القريبة منها جنوبا وغربا حتى القصر الكبير وغيره، منزل أعداد كبيرة من المهاجرين الأندلسيين، قبل سقوط غرناطة النهائي في يد الاسبان في سنة 1494، أو بعده حينما تحولت بقايا الأمة الأندلسية، بعد التنصر المفروض إلى طائفة الموريسكيين. وقد تلقى المؤلف في مدريد تربية إسبانية. ونحن نعرف انه مازال حتى اليوم في مدينة تطوان، وفي منطقتها، عدد كبير من الأسر الموريسكية المحترمة. ومنها الكثير ممن لا يزالون يحملون أسماءهم الموريسكية القديمة، مثل مليقة ومدينة، ومرثين، ومراريش (موراليس) والطريس، وبرمنجو، ومرشينة وقشتيليو، وركينة وراغون وغيرها.

ويقدم إلينا الأستاذ قشتيليو في كتابه عرضا وافيا لحياة الأمة الموريسكية، وما توالى عليها منذ سقوط غرناطة في سنة 1492

حتى نفيها النهائي من اسبانيا في سنة 1609 من ضروب الاضطهاد والمطاردات والمحن المروعة. ويشرح لنا كذلك موقف المدجنين الأندلسيين في شرقي الأندلس، وهم الذين سبقوا الموريسكيين في تحديد أوضاعهم مع الملوك النصارى، عقب سقوط أوطانهم في أيدي الاسبان. وكانوا لظروفهم واعتماد النبلاء والسادة على جهودهم وأعمالهم في الزراعة والصناعة، أسعد حظا وأقل شقاء من الموريسكيين في منطقة غرناطة. وهو يعتمد قبل كل شيء على المصادر الاسپانية، ولا سيما مارمول فيما كتبه عن ثورة الموريسكيين الكبرى، وفلوريثيو خانير في كتابه «الوضع الاجتماعي للموريسكيين». وهو ينقل إلينا معظم الأسماء التاريخية والجغرافية بصورها الاسپانية، ولا يقدم إلينا منها سوى القليل بأسمائها العربية. ويقدم إلينا كتابا في أسلوب متواضع ولكنه مؤثر بالرغم من ذلك، لروعة الأحداث والآلام التي يقصها علينا.

ومع ذلك فإن صدور هذا الكتاب في موضوعه، يعتبر حدثا أدبيا وتاريخيا، فإنه لم يصدر في هذا الموضوع باللغة العربية في العصر الأخير سوى كتابي «نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، منذ نحو ثلاثين عاما وظهرت طبعته الثالثة في سنة 1966. والمصادر الإسپانية هي وحدها عمدتنا في هذا الموضوع، لأنه بالرغم من كثرة ما كتب بالعربية عن تاريخ الأندلس، وعن آدابها وحضارتها، فانه لم يكتب عن تاريخ الموريسكيين سوى القليل، وهو عبارة عن شذور أوردها إلينا المقري في كتاب «أزهار الرياض في أخبار عياض» وعن فصل كتبه محمد بن عبد الرفيع الأندلسي الموريسكي عن أحوال الموريسكيين ضمن مخطوط بالمكتبة الكتانية (مكتبة الرباط العامة) عنوانه، الأنوار النبوية في آباء خير البرية». وأما المؤرخون الإسپان فإنهم تتبعوا تاريخ الموريسكيين، منذ سقوط غرناطة حتى نهايته بصدور قرار النفي، ومن بعد ذلك في مؤلفات عديدة متوالية تاريخية ووصفية ونقدية. وقد كانت مأساة الموريسكيين تجرى تحت أعينهم تباعا، ولديهم كل ما يريدون الوقوف عليه من الأحداث والوثائق والقرارات الملكية. ومن ثم فإنه يوجد لدينا كل ما يجب الرجوع إليه من مختلف المصادر ومنها مصادر كثيرة تسغ عطفها على الموريسكيين وتأييدها لقضيتهم ونقد السياسة الإسپانية في اضطهادهم ومطاردتهم، وتشيد بجميل خلالهم وبراعتهم وبالرغم من محنهم المتوالية. ومن ثم فإن كتابا يقدم إلينا قصة الموريسكيين ملخصة عن هذه المصادر الإسپانية يعتبر تصويرا حسنا لأدوارها وأسبابها ونتائجها.

ولقد قلنا أن صدور هذا الكتاب يعتبر حدثا أدبيا وتاريخيا، لأنه يعالج موضوعا أندلسيا قلما عولج بالعربية. وهذا هو الأمر الذي نريد أن نلفت إليه النظر. فإن تاريخ الأندلس، وجغرافيتها وآدابها وجمال مدنها، ومحاسن أهلها، وحضارة الأندلس، وروائع علومها وآدابها، كل هذه قد لقيت من الأقلام العربية أعظم الجهود، وعولجت بالعرض والدرس على أوسع نطاق، وفي سائر العصور، ولكن الموضوع الجوهري، وهو موضوع سقوط الأندلس، لم يلتفت إليه البحث، ولم تتناوله الأقلام والبحوث الغربية بأية صورة جدية، وكذلك لم تتناوله الأقلام العربية بأية صورة وافية، وهذا مما يدعو إلى أشد الاسف. فكثيرا ما نتمثل بمحنة الأندلس ونهايتها المحزنة، ولكنا لم نبذل اية جهود للبحث عن أسباب هذه النهاية، التي تعتبر أعظم مآسي التاريخ الإسلامي ومآسي التاريخ الحديث.

لقد عرض علينا المقري في «نفح الطيب» صورا من أروع وأمتع الصور عن جغرافية الأندلس، وعن حواضر التالدة، قرطبة وإشبيلية وبلنسية، ومرسية، وطليطلة، وغرناطة وغيرها وعن مروجها وحدائقها، وعن أهلها وشعوبها ومحاسنهم، وعن آدابها وشعرها، حتى ليكاد الإنسان يعتقد أن المقري قد عاش في تلك الوديان والمروج والحواضر العظيمة والأمر بالعكس فإن المقري بالرغم من كونه قد عاش بالمغرب، في الضفة الأخرى من بحر الأندلس، لم ير الأندلس، ولم يحاول أن يراها، ولم يكن قد بقي من جنة الأندلس عندئذ سوى الذكريات المؤلمة، وسوى العرب المتنصرين (الموريسكيين) يعيشون محنتهم الغامرة. ولم يحاول المقري، بعد أن حدثنا طويلا عن جنة الأندلس، أن يحدثنا عن أسباب محنتها وسقوطها، ولم يحاول أي كاتب أو مؤرخ آخر ممن كتبوا عن الأندلس وعن تاريخها العظيم، أن يقترب من هذا البحث. وأما الذين كتبوا عن تاريخ الأندلس من كتاب الغرب أمثال كوندى ودوزي وسكوت ولاين بول، وغيرهم، فانهم تناولوا هذا الموضوع بصفة عابرة، ولم يحدثنا أحد منهم عن أسباب سقوط الأندلس بصورة واضحة مقنعة. وأما نحن الكتاب المشارقة، فلم نحاول أن نعالج هذا الموضوع بأية صورة وما زالت جهودنا تقف عند كتابة التاريخ الأندلسي والاداب الأندلسية.

وانه لمن المؤسف ألا يوجد في اية جامعة من جامعاتنا كرسي خاص لتاريخ الأندلس وحضارتها. وان دراسة هذا الفرع توضع دائما تحت كرسي التاريخ الإسلامي أو تحت كرسي تاريخ العصور الوسطى. ولعل هذا القصور في العناية بتاريخ الأندلس وحضارتها، لا يمكن أن يؤدي إلى تهيئة أكابر العلماء المختصين في تاريخ الأندلس، الذين يمكن أن يعهد إليهم بالدراسات العميقة المتخصصة، التي يمكن أن نستخرج في ظلها النتائج والحقائق العلمية المرغوبة.

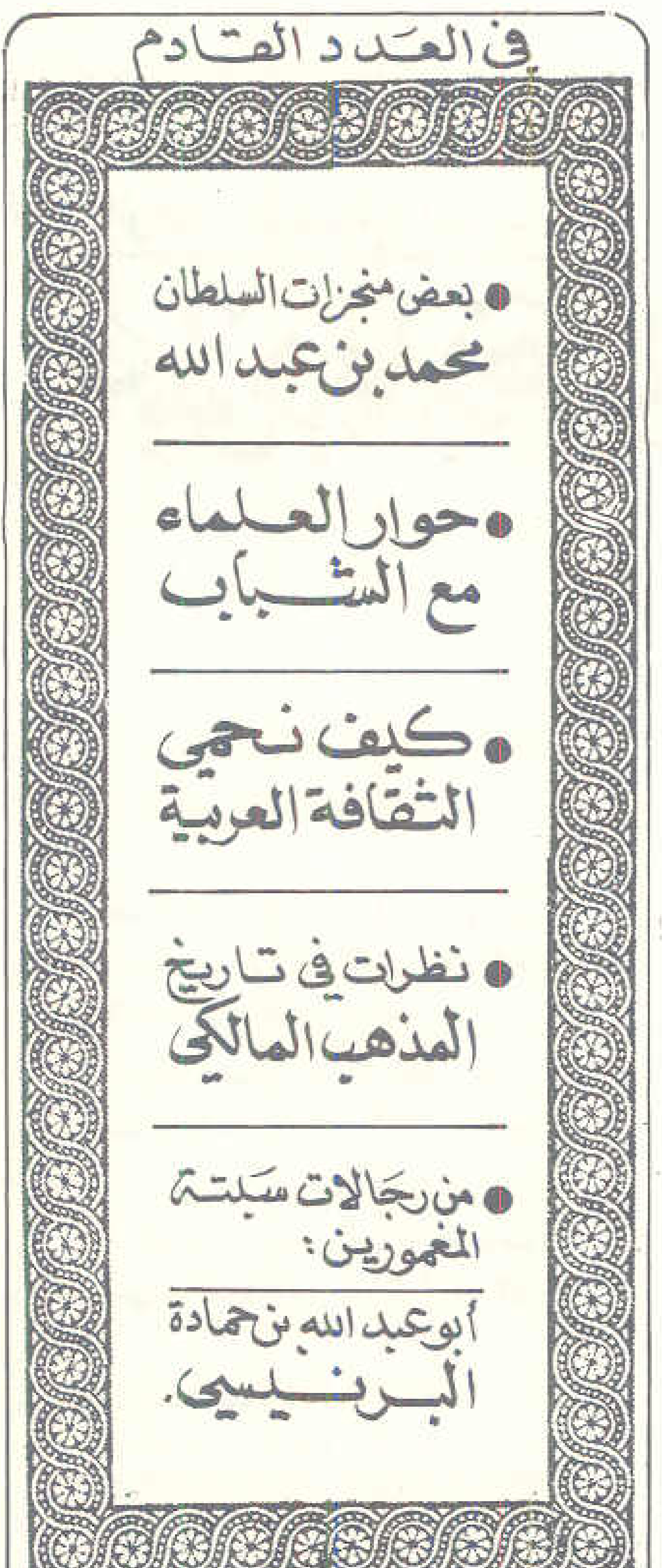


ان مثل هذا البحث في عوامل سقوط الأندلس وظروفها، جدير بأن يملأ كتبا، وأن يستغرق أعواما، وهو موضوع غزير المادة، غني بالأصول والتفاصيل والمهم هو أن نبدأ المحاولة، والمراجع لدينا وفيرة بين مطبوع ومخطوط، ووثائق تاريخية لانهاية لها، تشمل سائر عصور التاريخ الأندلسي.

ولما كانت هذه المهمة العلمية الخطيرة تفوق طاقة المجهود الشخصي، فإنه من الممكن أن تندب لها لجنة خاصة من العلماء المتخصصين في تاريخ المغرب والأندلس، تعمل تحت رعاية إحدى الهيئات العلمية الجامعية تتولى إمدادها بالاعتمادات والبرامج اللازمة، وتنظيم رحلات أعضائها إلى المغرب وإسبانيا للقيام هنالك ببحوثها ودراستها العلمية والطبوغرافية.

ويجب أن يكون لهذه اللجنة طابع دولي عربي إسلامي، وأن تقوم بمهمتها العلمية، لحساب الأمم العربية والإسلامية، التي كانت الأندلس المسلمة خير ممثل لها لدى الأمم الغربية والنصرانية، والتي كانت حضارتها الزاهرة أغزر مستقى لأمم الغرب، وعالم العصور الوسطى، وما زالت أمم الغرب تشيد حتى اليوم بدينها العلمي والحضاري للأمة الأندلسية، وما زالت أسماء ابن زهر وابن رشد، وابن طفيل وغيرهم من أقطاب الحضارة والعلوم الأندلسية تثير لديهم أعظم الإجلال والتقدير.

محمد عبد الله عنان



أصول الوحدة الوطنية في المغرب :

صمود المذهب المالكي واستمراريته

للأستاذ عبد القادر العافية

منذ دخل الإسلام إلى هذه البلاد والإرتباط قويا بين المشرق والمغرب، وكان المغرب عبر تاريخه الطويل يتطلع بشوق زائد لما يروج في الشرق من آراء، وأفكار، ونظريات...

وكان الرحالة والحجاج، والسفراء، وطلاب العلم... يتنقلون بين المشرق والمغرب، فينقلون الأفكار، والمناهج والآراء والنظريات..

وعرف المغرب بعد تفتحه على الإسلام مذهب السلف، والاتجاه السلفي في الفقه والعقيدة، ذلك الاتجاه الذي كان يأخذ به كبار الصحابة، وأئمة التابعين (1) إلا أن هذا الاتجاه السلفي ما لبث أن زاحمته المذاهب والنحل المختلفة، المتطرف منها، والمعتدل.

وكان في طليعة المذاهب التي انتشرت بالمغرب مذهب الخوارج من صفرية (2) وأباضيه (3)، وغيرهما.

واستطاعت المذاهب المتطرفة أن تجلب إليها عددا وافرا من الناس، خاصة وأن الداعين لترويجها اغتنموا فرصة الاضطرابات السياسية التي كانت بلاد المشرق مسرحالها في أواخر الدولة الأموية، وبداية ظهور الدولة العباسية ـ

1) في ولاية اسماعيل بن أبي المهاجر بعث الخليفة عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين أهل علم وفضل، منهم : عبد الرحمن بن نافع، وسعد بن مسعود التجيبي، وغيرهما. (البيان المغرب، لابن عذاري المراكشي، ج : 1 /48 ط دار الثقافة بيروت نشر كولان وليفي بروفنسال، والناصري في الاستقصا ج : 1 /101 ط : الدار البيضاء : 1954.

2) الصفرية فرقة من فرق الخوارج تنتسب إلى عبد الله بن الصفار، وتقول بعض كتب الفرق : انها تنسب إلى زياد بن الأصفر، وقال بعضهم ترجع تسميتهم لصفرة وجوههم من كثرة العبادة، أو لأنهم (خرجوا من الدين صفرا) حسب زعم أعدائهم من فقهاء الاباضية، ولا صحة للقول الذي ينسبهم إلى المهلب ابن أبي صفرة أعدى أعداء الخوارج.

3) الاباضية : فرقة من الخوارج تنسب إلى عبد الله بن اباض المري التميمي، ومن فرق الخوارج المشهورة (النجدات)، و (الأزارقة) ويؤكد مؤرخو الفرق أن الاباضية، هي أكثر الفرق الخارجية اعتدالا، إذ أنهم يحرمون دماء المسلمين، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، انظر : ابن الأثير ج 5 : 222. ط : القاهرة 1303 هـ.

والإختراع وما أوتيه الإنسان مصروفة للتدمير والخراب، وها إننا كل يوم نشاهد من التسابق في هذا المضمار ما ترتعد له الفرائص وتخشى من عاقبته.

الإيمان طريق الإصلاح :

والذي يصلح الإنسان جمعه الله تعالى في أربعة أمور أولها الإيمان أرانا الله جل جلاله أن الإيمان هو المصدر الأول لإصلاح الإنسان السائر في طريق الخسران فلا إنقاذ للإنسانية إلا بالإيمان، فبدونه تيه وأي تيه.

إننا بعدما أرانا الله أن الإيمان هو الإصلاح ولا معدل عنه لا نحتاج إلى شيء آخر ولكن هناك نفوس لم تروا من الإيمان حق الري وتشك في هذه الحقيقة الثابتة وتذرعت إلى إصلاح الإنسان بطرق سلكها الغرب فحسبت أنها هي الطرق الموصلة للإصلاح الحقيقي الذي يسعد به الإنسان.

والغريب أننا قلدناهم ونريد أن نقلدهم مع أن أرباب هذه الطرق لم يؤمنوا بجدواها ومع أنهم أخذوا بها لم يغفلوا الجانب الآخر وهو جانب الإيمان، ولهم في هذه المجالات تسابق كبير فبجانب تقدمهم العلمي لم يهملوا هذا الجانب وهم يعملون له جادين إلا أنهم سلكوا له من منفذ غير موصل وهو المسيحية المنسوخة، ولو سلكوا له طريق الإسلام دين الله الخالد لحققوا شيئا مذكورا.

وها أن الكثير اليوم أدرك أن الإصلاح الإجتماعي لا يكون إلا بالدين، وقد سبق لي أن قلت قصيدة منذ سنوات نشرتها جريدة الصباح :

بغير الدين لايرجى صلاح
بغير الدين لا يرجى صفاء
فهذا العالم المنكوب منا
به الأقوام بالخسران باءوا
ولو عرفوا المحجة لم يضلوا
وجاء السلم واشتد البناء (1)

وإنما كان الدين هو الطريق الوحيد لإصلاح الإنسان لأنه يعتمد فيما يعتمده أولا إصلاح الضمير وتنقيته من الادران ولهذا نجد الكثير من دعاة الإصلاح وأن عملوا للإصلاح لم يعملوا له إصلاحا لذاته وإنما لغايات، ولهذا تنهار هذه الإصلاحات بمجرد ذهاب أصحابها لأن الغايات لا تعمر طويلا فما بين أيدينا نزوات إنسانية باسم الإصلاح مثل الثورة الفرنسية التي جاء نابليون وداوى جراحها بامبراطوريته لم تعمر إلا قليلا وأدت بمصلحها إلى المنفى وهذا هتلر وهذا موسوليني وغيرهما من كل ما لا يقوم على الدين سيفلح بعضها بعضا، وتتقطع نفسها بنفسها منقسمة إلى شرق وغرب.

فالإصلاحات كلها مبنية على غايات نفسية ومطامع شخصية أما الإسلام فإنه لا يجعل المحور ذلك بل يجعل المحور فيما هو اسمى من ذلك، هو ما جاء في الحديث الشريف ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار (2).

معنى الحديث :

وهذا الحديث حديث عظيم وأصل من أصول الإسلام كما قاله الإمام النووي وهو إشارة إلى الآية الكريمة.

«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين» (24) التوبة.

والحديث عن الإيمان طويل ويحتاج الفرق بين الإصلاح فالإيمان وغيره إلى بحوث عدة وفيما أشرنا إليه كفاية.

ثانيها عمل الصالحات :

الصالحات تعم كل صالحة وهي ما يعود بالنفع على الإنسان نفسه أو عليه وعلى غيره فاحق ذلك وأولا بالرعاية أن يعمل الإنسان الصالحات التي تنقذ مهجته من الخسران الدنيوي والأخروي، وأول ذلك طاعة الله سبحانه فإنه ما خلقنا إلا للعبادة فإصلاح المرء ما بينه وبين خالقه هو الركيزة الأولى في الخروج من الخسران.

ويأتي بعده ماكان فيه نفعه ونفع غيره وهذا من الأهمية بمكان فالعاقل البعيد النظر لا يقتصر في الأمر الصالح على نفسه بل يتعدى به إلى غيره، وهذا المتعدي إلى الغير منه ما هو باق نفعه ومنه ما هو محدود بحياة صاحبه.

1) أذكر أنه لما نشرت القصيدة في جريدة الصباح لقيني أحد الوزراء فوجدته حفظ هذه الأبيات لشدة تأثره بها.
2) حديث متفق عليه وأخرجه بقية أصحاب الصحاح الستة إلا أبا داود.

محمد بن عبد الحميد الأوربي، صاحب وليلة، وكان معتزلي المذهب، متأثرا بمذاهب الاعتزال، وذلك لأن المعتزلة أو (الواصلية) (15)، كانوا قد شكلوا أقليات لها وزنها بالمغرب وكانت سجلماسة تضم عددا كبيرا منهم، وتمتعوا بحرية وتسامح في إمارة بني مدرار بالرغم من تطرف المذهب (الصفرى) الذي يعتنقه الأمراء بسجلماسة.

وفي تيهرت وما حولها كان يقيم ما يزيد عن ثلاثين ألفا من (الواصلية) وحظوا في إمارة بني رستم بتسامح كبير، بالرغم من دورهم العدائي لأئمة هذه الإمارة، وكانت تجري بينهم وبين فقهاء الخوارج مناظرات صاخبة في كثير من الأحيان أو بكيفية مستمرة. ومن أشهر المناظرين مع المعتزلة قطب الاباضية عبد الله بن اللمطي الذي له معهم مواقف مشهودة أشار إليها ابن الصغير المالكي (16) في كتابه رياض النفوس.

ومعنى هذا أن المغرب قبل دخول المولى إدريس الأول كان قد عرف كثيرا من المذاهب والنحل، عرف الخوارج وفرقهم، والمعتزلة وآراءهم، ومذهب أبي حنيفة، ومذهب الشاميين للإمام الأوزاعي.

ومن المعلوم أن المولى إدريس بن عبد الله الحسني كان من المعجبين بالإمام مالك ابن أنس، وتناقل المؤرخون عنه قوله ، «نحن أحق بأتباع مذهب مالك، وقراءة كتابه» وذلك لرواية المولى إدريس الموطأ عن والده عبد الله الكامل ولما كان يراه الإمام مالك، ويفتي به من خلع الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وصحة البيعة لمحمد النفس الزكية أخي ادريس، مما سبب لحوق الأذى بمالك (17).

ومنذ البداية عمل الأدارسة على توحيد المغرب سياسيا وعقائديا ومذهبيا، وحاربوا مختلف المذاهب، والنحل المتطرفة، وقضت الدولة الادريسية على بقايا اليهودية والنصرانية، والمجوسية،

وناهضت الخوارج، وبرغواطة (18) والمعتزلة، ودعت إلى عقيدة السلف، وإلى الإقتصار على مذهب مالك ودعت إلى العناية بالموطأ (19).

وبقي على عهد الأدارسة بالمغرب مذهبان ، الحنفي، والمالكي، وعرفت كذلك المذاهب الأخرى بقلة، واستمر مذهب الكوفيين سائدا بالمغرب إلى أواخر القرن الثالث الهجري (20).

انتشار المذهب المالكي بالمغرب والأندلس :

أشرنا إلى أن الدولة الإدريسية مهدت الطريق لترسيخ المذهب المالكي بالمغرب، ومن المعلوم أن المذهب المالكي على عهد الدولة الإدريسية كان قد انتشر في الأندلس على يد الفقهاء الذين اتصلوا بالإمام مالك مباشرة مثل ، الغازي بن قيس (ت ، 814/199) الذي كان يستظهر الموطأ (21) وزياد شبطون (ت ، 819/204) الذي رحل إلى المشرق للمرة الثانية بعد عودة الغازي بن قيس، وأتى بكتاب الموطأ للأندلس، بعد مانقحه ملاك وأعاد النظر فيه، وذلك على عهد إمارة هشام بن عبد الرحمن الداخل (22) ثم يحيى بن يحيى الليثي (ت ، 827/212) الذي اشتهرت روايته للموطأ أكثر من سائر الروايات، ويعتبر سنده عند المحدثين من أصح الأسانيد.

وهؤلاء الثلاثة على يدهم رسخ المذهب المالكي بالأندلس (23).

وبالإضافة إلى هؤلاء الفقهاء، كان أمراء الأندلس يعطفون على إمام دار الهجرة، ومما يروى في هذا الصدد ، «أن حجاج المغرب والأندلس قدموا على مالك رضي الله عنه بالمدينة، فسألهم عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل فقيل له ، إنه يأكل الشعير، ويلبس الصوف، ويجاهد في سبيل الله، فقال مالك ، «ليت الله زين حرمنا بمثله، فنقم عليه بنو العباس هذه المقالة...

(15) الواصلية ، نسبة إلى واصل بن عطاء إمام المعتزلة بالبصرة.

(16) المالكي عبد الله بن أبي عبد الله ـ رياض النفوس في طبقات القيروان وإفريقية، ج ، 1، منه بتحقيق د. حسين مؤنس بالقاهرة ، 1951.

(17) ابن خلدون ج ، 4 ، ص ، 3، ط ، بولاق ، 1284 / 1867.

(18) عن برغواطة ، انظر البكري ـ إفريقيا والمغرب ـ 136، والبيان المغرب لابن عذاري، 1 / 223، فقد تكلما عنهم وعن نحلتهم، وكذا في ، ص ، 56.

(19) الاستقصا ، 1 / 136، وتاريخ الجزائر العام ، 1 / 231.

(20) الاستقصا ، 1 / 137.

(21) شجرة النور الزكية ، 97 ع ، 230، وفي المدارك يقول القاضي عياض ، «والغازي ابن قيس هو أول من أدخل موطأ مالك، وقراءة نافع إلى الأندلس، وشهد مالكا وهو يقرأ الموطأ» المدارك ، ج ، 3 / 114 ط ، الرباط.

(22) المدارك ، 3 / 116.

(23) نفس المصدر ص 117.

وبلغت مقالته صاحب الأندلس فسر بها، وجمع الناس على مذهبه فانتشر في أقطار المغرب من يومئذ» (24) ومهما يكن من أمر هذه الرواية فإن أمراء الأندلس من بني أمية، عاش في ظلهم المذهب المالكي معززا مكرما.

وإلى جانب ميل كبار فقهاء الأندلس، وأمرائها إلى مالك ومذهبه، فإن مذهب الإمام مالك نفسه يحمل من الخصائص والمميزات ما يجعله منسجما مع طبيعة أهل الغرب الإسلامي، الذين يؤثرون البساطة والوضوح، وقد تكلم الناس عن أسباب انتشار المذهب المالكي بالأندلس والمغرب، ونقلت في ذلك عدة أقوال في مصادر متنوعة (25).

-المذهب المالكي على عهد الشيعة العبديين»

يقول ابن خلدون ، «ومذهبهم ـ أي الشيعة ـ أن الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، بل هي ركن الدين، وقاعدة الإسلام لا يجوز لنبي اغفاله، ولا تفويضه، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر.. وينقلون نصوصا في تعيين علي رضي الله عنه، لا يعرفها جهابذة السنة، ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع، ومطعون في طريقة، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة» (26).

وكان أول من نشر الأفكار الشيعية بالمغرب الأوسط، منيب بن سليمان المكناسي، الذي نزل بأعمال تيهرت، ونواحي وانشريس، فنشرها هناك بين العامة (27)، ثم جاء بعده ، السفياني، والحلواني بعث بهما جعفر الصادق سنة ، 145 هـ/762 م وقال لهما إن المغرب أرض بور لم تحرث قط، فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البند» (28).

واستمرت الدعوة الشيعية في عملها سرا إلى أن جاء أبو عبد الله الصنعاني فأفشاها.

واجتمع أبو عبد الله داعية العبيديين بمكة بحجاج كتامة من أهل المغرب فتعرف عليهم، ووعدهم بظهور المهدى من آل البيت على يدهم، ويكون له بهم الملك والسلطان فتبعوه على رأيه، وصحبهم إلى بلادهم وتمسكوا به... وغزا بهم... إلى أن صار المغرب الأقصى في مملكة العبيديين، واندرجت دولة الأدارسة في دولتهم (29).

وعندما بسط الشيعة العبيديون نفوذهم على المغرب العربي أخذوا ينشرون مذهبهم في الفقه والعقيدة، وبطبيعة الحال كانت هناك معارك بينهم وبين فقهاء المذهب المالكي ويشير إلى ذلك ابن خلدون فيقول ، «وشذ بعض أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به، وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح، وعلى قولهم بعصمة الأئمة، ورفع الخلاف عن أقوالهم، وهي كلها أصول واهية، وشذ بمثل ذلك الخوارج ولم يحفل الجمهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار والقدح...» (30).

ومما أحدثه الصنعاني الشيعي «قطع صلاة التراويح في شهر رمضان، وأمر بصيام يومين قبله، وقنت في صلاة الجمعة، وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة، وأسقط من الأذان في صلاة الصبح» الصلاة خير من النوم» وزاد «حي على خير العمل، محمد وعلى خير البشر» (31).

ومن فقه الشيعة أنهم لا يقنتون إلا في الركعة الثانية من صلاة الجمعة، ولا يجيزون القصر في الصلاة للمسافر إلا لمن كان قاصدا الحرمين، أو الكوفة، أو كربلاء، والخمر عندهم طاهر، وهم لا يحتمون طهارة مكان الصلاة ما دامت النجاسة لا تعلق بالثوب، وشهر رمضان عندهم دائما شهر كامل.. (32).

«وفي سنة ، 349 هـ وجه أبو تميم المعز لدين الله الفاطمي إلى أئمة المساجد والمؤذنين يأمرهم ألا يؤذنوا إلا ويقولوا «حي على خير العمل» وأن يقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة، ويسلموا تسليمتين، ويكبروا على الجنائز خمسا، ولا يؤخروا العصر، ولا يبكروا بالعشاء الأخيرة، ولا تصيح امرأة وراء جنازة، ولا يقرأ العميان على القبور إلا عند الدفن» (33).

(24) الاستقصا ، 1 / 139، نقلا عن الديباج المذهب لابن فرحون.
(25) حكى الناصري في الاستقصا بعض هذه الأقوال ، ج ، 1 / 136، وما بعدها.
(26) ابن خلدون، المقدمة ، ص ، 148، ط ، ابن شقرون بمصر.
(27) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي (تاريخ الجزائر العام) ج ، 1 ، 301 منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ط ، 2 / 1956.
(28) نفس المصدر نقلا عن ابن الأثير والمقريزي.
(29) الاستقصا ، 1 / 182 ـ 183.
(30) المقدمة ، ص ، 334، ط ، ابن شقرون.
(31) أخبار ملوك بني عبيد الله لابن حماد ص ، 10 ـ 16، ط ، الجزائر 1346 هـ.
(32) نفس المصدر.
(33) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب ، 1 ، 223.

ونفهم من هذه النصوص أن العبيديين كانوا يعملون على نشر مذهبهم بمختلف الوسائل لا بمجرد بث تعاليمهم ونحلتهم بوسائل الدعاية المختلفة. بل كانوا يصدرون أوامر عليا، تحتم على الناس العمل في الدين بكذا، والكف عن كذا... وأكثر من ذلك أنهم كانوا يعاقبون عقابا شديدا كل من يظهر مخالفة مذهبهم، وحرموا على العلماء المالكيين أن يفتوا أو يقضوا بغير مذهب الشيعة العبديين.

وسنرى فيما يأتي ما يدل على أن العبيديين كانوا يكرهون الناس على اعتناق مذهبهم وذلك باضطهاد المخالفين لهم في الرأي، ومتابعتهم، ومعاقبتهم... وقتلهم، ومصادرتهم...

وإذا كانوا قد أظهروا بعض التسامح في بداية أمرهم وقبل توطد حكمهم، فإنهم بعد ذلك أخذوا يعاقبون كل من يجهر بمخالفتهم أو يحاول الادلاء برأي ليس على رأيهم.

ولقد وهم الأستاذ عبد الرحمن الجيلاني المؤرخ الجزائري حيث قال : «والملاحظ أن مذهب الشيعة لم ينتشر هنا بالمغرب - وهو يقصد المغرب الكبير - عن طريق الإرغام أو العنف والإكراه، كلا وإنما اعتنقه من اعتنقه عن طواعية وموافقة» (34).

قال ذلك اعتمادا على النص الآتي نقلا عن النويري : «لما وصل أبو العباس الشيعي إلى أرض المغرب أراد أن ينفي عن القيروان من يخالف مذهبه، فقال له أخوه أبو عبد الله : ان دولتنا دولة حجة وبيان، وليست بدولة قهر واستطالة، فاترك الناس على مذاهبهم» (35).

ومن المعلوم أن آراء العبيديين في معاملتهم للشعوب المحكومة بحكمهم، كانت تختلف من حين لآخر وبحسب أمزجة الحاكمين منهم، وهم على العموم : قساة، مستهترون... ومنهم من كان يظهر بعض التسامح عندما يرى أن الظروف ليست لصالحه، وأبو عبد الله وأخوه هما من الدعاة لا من الحاكمين.

قال القاضي عياض في المدارك : «ومنع عبيد الله - الشيعي - في هذا الحين الفقهاء أن يفتوا بمذهب مالك، وأمرهم ألا يفتوا إلا بمذهبهم الذي ينسبونه إلى جعفر بن محمد، ويسمونه مذهب أهل البيت. من سقوط طلاق البتة، وإحاطة البنات بالميراث، وغير ذلك. وغلظ الأمر على المالكية من هذا الحيز، ومنعوا من التحليق - أي القاء الدروس - والفتيا فكان من يأخذ منهم، ويتذاكر معهم، إنما يكون سرا وعلى حال خوف ورقبة...» (36).

لا شك أن هذا النص يصور لنا مبلغ الاضطهاد الذي تعرض له المخالفون لرأي بني عبيد.

وجاء في البيان المغرب لابن عذارى وهو يتكلم عن عبيد الله المهدي الشيعي «وولى على قضاء مدينة رقادة أفلح بن هارون الملوسي، وأقر على عمالة القيروان الحسن ابن أبي خنزير، وعلى القضاء بها المروزي» «ومنع المروزي الفقهاء أن يفتي أحدهم إلا بمذهب زعم أنه مذهب جعفر بن محمد، منه : سقوط الحنث عمن طلق بالبتة، وإحاطة البنات بالميراث، وأشياء كثيرة يطول ذكرها» (37).

وذكر المقريزي في حوادث سنة : 416 هـ «أمر الظاهر - العبيدي (411 - 427 هـ) بنفي من وجد من الفقهاء المالكية وغيرهم... وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس (دعائم الإسلام) (38).

وكتاب الوزير يعقوب بن كلس (39) في الفقه على مذهب آل البيت وجلس الدعاة بالجامع للمناظرة (40) : «وكانت أيمان

---

34) عبد الرحمن بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام ج : 1 : 303.

35) نفس المصدر، ص : 304 .

36) المدارك ، ج 5 ، 121، ط ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط.

37) ابن عذاري ، في أحداث : سنة 296 هـ / ج : 1 : 159 - 160.

38) كتاب (دعائم الإسلام) هو لمحمد بن النعمان الفقيه الداعي الشيعي، نشره السيد آصف علي فيضي بالقاهرة سنة 1951م، ويقول عنه صاحب النجوم الزاهرة في ثنايا الحديث عن سنة 414 هـ وفيها توفي محمد بن محمد النعمان أبو عبد الله فقيه الشيعة، وشيخ الرافضة وعالمها، ومصنف الكتب في مذهبها قرأ عليه الرضي، والمرتضي، وغيرهما من الرافضة، قلت : كان ضالا مضلا هو ومن قرأ عليه ومن رفع منزلته، فإن الجميع كانوا يقعون في حق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين عليهم من الله ما يستحقون «النجوم الزاهرة، ج 4 : 258.

39) يعقوب بن كلس، كان يهوديا من أهل بغداد ثم انتقل إلى الرملة بفلسطين عمل بها سمسارا ثم انتقل إلى مصر زمن الأخشيديين، وتولى الوزارة بها، ثم هرب إلى المغرب، وعاد إلى مصر في ركاب الفاطميين العبيديين، وترقت أحواله، حتى تولى الوزارة للعزيز، وألف كتابه : (الفقه على مذهب آل البيت) والدعوة إلى التشيع، وأنشأ في قصره مكتبة ضخمة لخدمة مذهب العبيديين، وعقد به المجالس التعليمية لنشر هذا المذهب، وعندما مرض مرض الموت بكاه العزيز قائلا : وددت أنك تباع فاشتريتك بمالي وولدي..! ودفنه في قبة كان ابتناها ليدفن هو فيها، وعطل الدواوين اياما لوفاته.

40) اتعاظ الحنفا ج : 2 : 175.

كتامة أول دخولهم لافريقية : «وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدى الذي برقادة» (41) استخفافا بالدين.

ولقد عانى الفقهاء المالكية من تسلط بني عبيد، القتل والتشريد والمصادرة، والضرب، والإهانة... وتعرض لذكر بعض ذلك القاضي عياض في المدارك، وابن عذارى في البيان المغرب، والمقريزي في اتعاظ الحنفا، وابن الصغير المالكي وغيرهم، ومما جاء في المدارك قول القاضي عياض : «كان أهل السنة بالقيروان أيام بني عبيد في حالة شديدة من الاهتضام، والتستر، كأنهم ذمة تجرى عليهم في أكثر الأيام محن شديدة. ولما أظهر بنو عبيد أمرهم ونصبوا حسينا الأعمى السباب ـ لعنه الله ـ في الأسواق للسب بأسجاع لقنها يتوصل منها إلى سب النبي صلى الله عليه وسلم، في ألفاظ حفظها كقوله ـ لعنه الله ـ : «العنوا الغار وما حوى، والكساء وما حوى» وغير ذلك، وعلقت رؤوس الحمر والأكباش على أبواب الحوانيت عليها قراطيس معلقة مكتوب فيها أسماء الصحابة، اشتد الأمر على أهل السنة فمن تكلم أو تحرك قتل، ومثل به...» (42).

وأورد القاضي عياض أخبار الملحمة الكبرى التي قتل فيها عدد من كبار علماء المالكية بالقيروان، وذلك عند ثورتهم مع أبي يزيد بن كيداد الخارجي، على اسماعيل المنصور العبيدي الشيعي، وحصارهم له بالمهدية إلى أن خدعهم أبو زيد الخارجي وانصرف عنهم بجموعة، وتركهم وجها لوجه أمام جيش العبيديين فقاوموا بسالة نادرة إلى أن استشهد عدد كبير منهم، ولحق من بقي منهم على قيد الحياة بالقيروان ليقوموا بواجبهم في المساجد (43).

وكان من نتائج هذه الثورة أن استعمل العبيديون شيئا من اللين واصطنعوا بعض التسامح مع أهل السنة، وتولى قضاء القيروان قاض من الفقهاء المالكية وهو : أبو عبد الله محمد بن أبي المنظور وذلك سنة 334 هـ بعد أن اشترط عليهم هذا القاضي شروطا منها : أن لا يأخذ للعبيديين صلة، ولا يركب لهم دابة، ولا يقبل شهادة من أقاربهم ولا يركن اليهم، فأجابوه لذلك... قال عياض : «وكان صليبا في قضائه سالكا طريق العدل...» (44).

وبطبيعة الحال ان هذا الإجراء كان مؤقتا ريثما يستعيد العبيديون أنفاسهم ويتمكنون من جديد...

والملحمة بين العبيديين وعلماء السنة كانت معاركها محزنة حيث فقد المالكيون فيها راحتهم وأمنهم، وعرضوا لأنواع التقتيل والتنكيل، وصودرت بيوتهم وممتلكاتهم ومكتباتهم، وتآليفهم، ومدخراتهم.. إلا أنهم بالرغم من كل ذلك، صمدوا صمودا لا مثيل له، وكان لهم من العزة والنخوة ما جعلهم يتحملون ايذاء العبيديين ـ المتجبرين المتغطرسين، المتألهين، المستهترين... في شمم، وثقة بالنفس وعزيمة لا تلين، وبذلك أعطوا أروع الأمثلة عن التضحية والصبر والثبات من أجل نصرة السنة، والحفاظ على نقاوة العقيدة.

ولم تكن معركة المالكيين مع العبيديين وحدهم، بل كانت مع كثير من الفرق الضالة، والنحل المبتدعة، وبذلك قاوم العلماء المالكيون في عدة جبهات فبالإضافة إلى مقاومتهم لضلال الشيعة العبيديين قاوموا الخوارج، من اباضية، وصفرية، والمعتزلة على عهد بني الأغلب بإفريقية، وتعرضوا لمحنة القول بخلق القرآن، تلك المحنة التي عذب فيها كثير منهم، واستشهد من استشهد.

وقاوموا أصحاب الأهواء والنحل المختلفة... (كالبرغواطيين أتباع صالح بن طريف البرغواطي) (والحاميميين) أتباع حميم المتنبيء بجبال غمارة، والمتسلطين الظالمين من مختلف الألوان والأنواع.

وكان لهذا الصمود المثالي نتائج هامة، فما لبث أن ضاق الناس ذرعا بأعمال العبيديين، وسئموا جبروتهم وطغيانهم، وعمل العلماء المالكيون على بث روح الاستياء من جرائمهم، ومبتدعاتهم، فملهم الناس بل ملهم حتى اخلص المخلصين لهم المعز بن بادس الصنهاجي (45) أمير افريقية وبلاد المغرب (406 هـ ـ 455) حيث أعلن هذا الأمير سخطه على مذهبهم وتعاليمهم، وأمر بأبطال سب الصحابة (ض)... وبذلك انتعش فقهاء المالكية، وبدأوا يعملون في نوع من الحرية، إلا أن مكر العبيديين كان خبيثا للغاية، وذلك أن وزير المستنصر بالله (427 ـ 487 هـ) دبر مكيدة حيث بعث عرب

(41) ابن عذاري : أحداث : 296 / 159 ـ 160.

(42) ترتيب المدارك للقاضي عياض : ج : 5 / 303.

(43) المصدر السالف ص : 304.

(44) المدارك ج / 5 : 329.

(45) عن المعز بن بادس الصنهاجي انظر البيان المغرب لابن عذاري ج / 1 من 267 ـ 295.

زغبة ورياح إلى إفريقية ليقذف بهم المعز بن بادس، وأغراهم بعبور النيل إلى بلاد المغرب وأن لهم مطلق الحرية فيما يفعلون، فانطلقوا كالجراد المنتشر، لا يقف في وجههم شيء وكان المعز في جيوش عظيمة ورياسة كبيرة، وملك عريض، ومع ذلك تغلب عليه هؤلاء الأعراب (46).

وبهذا الفصل الأخير من فظائع بني عبيد، انتهى النفوذ العبيدي على المغرب العربي، وبسبب زحف الاعراب على شمال افريقيا خربت مدينة القيروان ورقادة (47) وتونس، وكل مدن القطر التونسي، وعاث الاعراب في البلاد فسادا وتدميرا، وبسبب ذلك تعرض الفقهاء المالكية لمحنة جديدة، ومع ذلك صمدوا في وجه هذا الزحف إلى أن استقرت الأوضاع، وساد المذهب المالكي بسبب صمود رجاله وثباتهم على الحق.

وفي النصف الثاني من القرن الخامس الهجرى ازدهر المذهب المالكي في بلاد المغرب العربي كلها، وخاصة في المغرب الأقصى على يد فقهاء كبار مثل أبي عمران الفاسي وزلو اللمطي ثم عبد الله بن ياسين، وكان المذهب المالكي بالأندلس قد عرف ازدهارا لا مثيل له، وبذلك تمذهبت بلاد المغرب العربي وبلاد الأندلس بمذهب مالك من أقصاها إلى أقصاها، واعترف الناس جميعا بمقدار صمود رجال المذهب المالكي وبمالهم من فضل في نشر السنة ومحاربة البدع.

وكون أحد رجال هذا المذهب الدولة المرابطية العتيدة تلك الدولة التي بسطت نفوذها على المغرب الكبير، وعلى بلاد الأندلس، وعرف المذهب المالكي في هذا الابان عنفوان ازدهاره (48) وتلاقحت أفكار المغاربة والأندلسيين وبذلك عرف المذهب المالكي عصره الذهبي في هذه الفترة، وتضخمت مكتبة الفقه المالكي، وظهر الفقهاء الكبار، بكل من المغرب والأندلس : كابن رشد، وابن الجد، وابن العربي، المعافرى، والقاضي عياض، وغيرهم...

المذهب المالكي في عهد الموحدين :

شاء القدر أن تسقط الدولة المرابطية وهي في عنفوانها، حيث قام المهدى بن تومرت (49) على الدولة المرابطية، ينتقد عليها بعض مظاهر التحلل والتفسخ، وينتقد عقيدة فقهاء المذهب المالكي المبنية على عقيدة السلف، التي لا تميل إلى تأويل بعض الصفات، ولا تستعمل الفلسفة اليونانية في البرهنة والاستدلال... وبذالك اعتبر ابن تومرت الفقهاء المالكية مجسمة، وأقام الدنيا وأقعدها، وشنع عليهم ما شاء له هواه، وسماهم مجسمة كافرين، وقاتلهم قتال كفر، وحصر التوحيد في أصحابه وأتباعه، (50) فأتباعه في نظره هم الذين يوحدون الله توحيدا حقيقيا لا أثر فيه للتجسيم والتشبيه.

هذا من ناحية العقيدة أما ناحية المذهب الفقهي فإنه بالرغم من كونه ألف لأصحابه كتاب (أعز ما يطلب) فإنه لم يخرج فيه عن المذهب المالكي، ولذلك قال بعض الدرسين لدعوة الموحدين : «ابن تومرت نشأ مالكي وعاش مالكيا» (51).

46) تفاصيل هذه الأحداث الأليمة ذكرها المقريزي في (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) ج / 2، في أحداث سنة 443، وابن عذاري المراكشي ج / 1 / 177 وغيرهما.

47) (رقادة) مدينة جنوب القيروان على بعد تسعة كيلومترات، أسسها ابراهيم بن الأغلب - (265 - 289 هـ) سنة : 286 واتخذها العبديون عاصمة لهم قبل المهدية، وعندما حل بها عبيد الله المهدي الشيعي، مدحه أحد المتزلفين (محمد البديل) بهذه الأبيات :

حل برقادة المسيح	حل بها آدم ونوح
حل بها أحمد المصطفى	حل بها الكبش والذبيح
حل بها الله ذو المعالي	وكل شيء سواه ريح

علق ابن عذاري على هذه الأبيات بقوله : «لعنه الله وغضب عليه، وأخزى القائل والمقول فيه ج / 1، 160، وتكلم ابن عذاري عن رقادة بالجزء الأول ص : 207.

48) يذكر صاحب المعجب أن الفقهاء المالكيين أدركوا حظوة عظيمة في عهد المرابطين ص : 252 وما بعدها ط : 7 بتصحيح وتعليق : محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي. - دار الكتاب بيروت.

49) ابن تومرت هذا هو : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت، اشتهر بالمهدي بعد إعلانه لدعوته، اختلف في تاريخ : مولده : قيل 469 هـ وقيل 480، أصله من هرغة من بطون المصامدة، شب محبا للعلم، رحل في طلبه إلى المشرق سنة : 501 هـ ورجع سنة 510 هـ ولقي المشايخ وسمع منهم، ونبغ في علم الأصول وعلم الكلام بالطريقة الأشعرية، وكان له إلمام بعلم الحديث، والتفسير، زار بغداد ومكة ومصر، رجع إلى المغرب وأنشأ الدولة الموحدية، وبدأ عمله مصلحا اجتماعيا.
أظهر دعوته سنة : 515 هـ ودعا الناس إلى بيعته، توفي سنة : (524 / 1129م) ودفن بتنملل. - ترجم له ابن خلكان : 2/ 52، وسائر الذين تكلموا عن الدولة الموحدية وأبو العباس المراكشي في الاعلام 2 / 376.

50) مقدمة المدارك الجزء الأول بتقديم وتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي - مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط - 1964.

51) عبد الله علام (الدعوة الموحدية) ص : 303، ط 1 ط : المعرفة، القاهرة.

ويبدو أن الهدف من قيام الدولة الموحدية كان سياسيا صرفا وانما اصطنع القائمون على المرابطين ما يبرر قيامهم.

كان المهدي يبغض الفقهاء المالكية. ويذيع عنهم ما ينقص من قدرهم. ومن المعلوم أن ابن تومرت ادعى المهدوية. وادعى الامامة. والعصمة لنفسه. وألزم أصحابه بتصديقه. واعتناق مذهبه... ومثل هذا لم يكن أمرا سهلا بالنسبة للفقهاء المالكية الذين يرون في أنفسهم أنهم حراس الشريعة والذابون عن العقيدة. ومن أجل ذلك خاض أسلافهم معارك ضارية مع الغالين والمتحرفين... وكان من الطبيعي أن يتصدى كثير منهم للنيل من بدعة المهدي، والتشنيع على معتقداته.

وكانت الإنتصارات الموحدية متوالية في هذه الفترة. وما لبث الموحدون أن قبضوا على زمام الأمور بيد من حديد. ومع ذلك أظهر فقهاء المذهب المالكي استنكارهم لأراء المهدي ومعتقداته... ومن هؤلاء. القاضي عياض (476 ـ 544 هـ/1083 ـ 1149م) رحمه الله الذي ثار بستة على الموحدين (*).

وعبد الحق الاشبيلي (510 ـ 582 هـ/1116 ـ 1186م) الذي امتنع كل الامتناع من التعامل مع الموحدين. وبقي تابعا لبني غانية. وتولى لهم الخطابة والقضاء ببجاية وعرض نفسه للموت من أجل ذلك (52).

وشنع على المهدي كثير من فقهاء المالكية. (54) وهناك نصوص كثيرة في هذا المجال لم أنقلها اكتفاء بالإشارة إليها.

الفقهاء المالكية على عهد عبد المومن بن علي وخلفائـــه

اتخذت كراهية الفقهاء المالكية من قبل أمراء الموحدين أبعادا جديدة في عهد الخليفة عبد المومن (524 ـ 558 هـ) حيث انتقل الجدل من موضوع المهدوية والعصمة، إلى موضوع (الأصول، والفروع) ولعل القصد من ذلك. كان هو تهميش الموضوع الأول. لينصرف الناس إلى الموضوع الثاني وليصبح هو محور الجدال والمناقشة.

ويبدو أنه عندما رأى الموحدون أنفسهم محجوجين في موضوع (المهدوية والعصمة) نقلوا القضية إلى موضوع الفروع والأصول. وبالفعل خلق هذا الموضوع الأخير مجالا للكلام. وتركزت حوله اهتمامات الناس. خاصة وان مذهب ابن حزم الأندلسي كان صاحبه قد أثار جدالا عنيفا مع فقهاء المذهب المالكي. وبذلك أصبحت قضية طرح المذهب الحزمي ورقة في يد أمراء الموحدين.

وبطبيعة الحال كان خلق موضوع مثل هذا يسيء تمام الإساءة لفقهاء المذهب المالكي. الذين درسوا الفقه المالكي دراسة تمحيص وتدقيق.. والذين كانوا يرون أن الاعراض عن هذا التراث والتنكر له يعد خسارة كبيرة للفقه الإسلامي. ويرون في أبعاده عن مجال التطبيق تخريبا لما جادت به القرائح والعقول عبر الأزمان والأحقاب. خاصة وأن عملية استنباط الأحكام من الكتاب والسنة ليست عملية سهلة وسريعة بالقدر الذي يتصوره بعض الناس. وإنما هي عملية تحتاج إلى ممارسة وإلى سنين طويلة من العمل المتواصل.

أحس الفقهاء المالكية بصدمة عنيفة عندما طرحت قضية الاستغناء من جميع كتب الفروع بما فيها الأمهات. لأنهم قدروا الجهد المبذول في تحليل المسائل والقضايا الفقهية... ولم يكن من السهل عليهم أن يتعرض عمل أسلافهم وأشياخهم للضياع بجرة قلم. وبذلك كان الموضوع الذي اختلقه الموحدون كارثة أليمة نزلت بفقهاء المذهب المالكي الذين كانوا يعتزون بتراثهم أيما اعتزاز.

(طرح عبد المومن بن علي خليفة الموحدين فكرة الاستغناء عن كتب الفروع. وعقد اجتماعا مع الفقهاء المالكية في هذا الموضوع. وحاول أن يقنعهم بالرجوع إلى الكتاب والسنة. ونبذ كتب فروع فقه المالكية. وتكلم عن عبد المومن في هذا الاجتماع وبمحضره. وزيره أبو جعفر ابن عطية وقال : «بلغ سيدنا أن قوما تركوا الكتاب والسنة وصاروا يفتون بفروع لا أصول لها. وقال : من نظر فيها عاقبته. وأن عندهم كتابا يقال له المدونة. لا يرجعون إلا إليه...» ـ وبعد مهلة من الصمت والسكوت ـ تكلم الفقيه ابن زرقون قائلا : ياسيدي جميع ما في هذا الكتاب ـ يعني المدونة ـ مبني

(52) عبد الواحد المراكشي. المعجب : 391 ط : 7 دار الكتاب بيروت.

(*) عن قيام القاضي عياض ضد الموحدين انظر الاستقصا للناصري ج : 2 / ص : 102 و 103 و ص : 93 ط : دار الكتاب : 1954 م.

(53) الاعلام للمراكشي : 4 / 26 : ط : الرباط.

(54) الشاطبي . الاعتصام ج 1 : 205 ـ 206. وبيوتات فاس الكبرى لابن الأحمر. ص : 20. ط : الرباط.

على الكتاب والسنة، وأقوال السلف، والاجماع. وعمل الفقهاء تقريب لمن ينظر فيه، من المتعلمين والطالبين. «وبهذه الكلمة للفقيه ابن زرقون - الذي قال، إنه فاه بها بدافع من الغيرة - انفسح المجال ليتكلم الفقهاء الآخرون فانطلقت ألسنتهم. وأجمعوا على تأييد ابن زرقون. فلما لاحظ ذالك عبد المومن ختم هذا المجلس بقوله، «اللهم وفقنا يارب العالمين» ونهض وغادر المجلس إلى منزله.. فلما بقي الجمع ومعه علية القوم، قال الوزير لابن زرقون،، «أقدمت على سيدنا اليوم - أي تجرأت عليه - فأجابه ابن زرقون، «لو سكت للحقتني عقوبة الله تعالى (55).

ومن خلال هذا الحوار نرى أن وزير عبد المومن الذي تكلم باسمه قال، «ومن نظر فيها عاقبته» أي في كتب الفروع. وهذا تهديد مباشر إلا أن تدخل ابن زرقون جعل الخليفة يفكر في الموضوع. ومعناه أن القضية مطروحة ولم تنته بعد.

ومثل هذا الحوار جرى بين الخليفة يوسف بن عبد المومن. وبين الحافظ أبي بكر بن الجد (56) إلا أن تهديد أبي يعقوب يوسف كان أشد من تهديد أبيه. وفي هذا الموضوع يروى عن الحافظ ابن الجد انه قال، لما دخلت على أمير المومنين أبي يعقوب. (558 - 580 هـ) أول دخلة دخلتها عليه. وجدت بين يديه كتاب ابن يونس. فقال لي، «يا أبا بكر، أنا انظر في هذه الاراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله. أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا. فأي هذه الأقوال هو الحق. وأيها يجب أن يأخذ به المقلد؟ فافتتحت أبين له ما اشكل عليه من ذلك. فقال لي. وقطع كلامي يا أبا بكر ليس إلا هذا. وأشار إلى المصحف. أو هذا. وأشار إلى كتاب سنن أبي داود، وكان عن يمينه. أو السيف (57).

ومعنى هذا أن الفكرة التي طرحها عبد المومن. تبناها ولده يوسف. وعندما فتح فيها ابن الجد وأراد هذا أن يوضح له ما اشكل عليه. قاطعه يوسف مستبدا برأيه. والحافظ ابن الجد هو أكبر علماء المالكية في هذا العصر.

وبعد يوسف بن عبد المومن جاء ولده يعقوب المنصور (580 595 هـ) وفي عهد يعقوب تطور الموقف ولم يبق الأمر محصور في الحوار والجدال. لأن الموحدين في هذا العصر كانت قد توطدت لهم الأمور. وقضوا على كثير من ثورات الخارجين عليهم. وتمهد لهم سبيل الحكم. وكان عصر يعقوب هو عصرهم الذهبي الذي تمثلت فيه عظمة الامبراطورية الموحدية الممتدة من شمال الأندلس إلى حدود برقة. وفي هذا العهد من ازدهار الدولة وعظمتها. أعلن يعقوب حربالا هوادة فيها على كتب فروع الفقه المالكي. ونفذ ما فكر فيه أبو وحده من قبل. يقول عبد الواحد المراكشي، «وفي أيام يعقوب خافه الفقهاء. وانقطع علم الفروع. وأمر بإحراق كتب المذهب... وأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون. وكتاب ابن يونس. ونوادر ابن أبي زيد. ومختصره. وكتاب التهذيب للبراذعي. وواضحة ابن حبيب. وما جانس هذه الكتب ونحا نوحها. لقد شهدت منها يومئذ وأنا بمدينة فاس. يؤتى منها بالاحمال فتوضع ويطلق فيها النار (58).

وهكذا عانى المالكية الأمرين على عهد الموحدين. ونالهم من العذاب. والتهديد ما نالهم. وأحرقت كتبهم. ومصادرهم... وهم ينظرون. بعد أن صودرت منهم. وهددوا بالعقاب الشديد إن هم أخفوا شيئا منها.

إن جسامة هذه الأحداث قد لاندركها على حقيقتها في الوقت الراهن. خاصة وان المؤرخين الذين كتبوا عن الموحدين لم يظهروا لنا إلا الوجه المشرق من تاريخهم الفكري والحضاري. ومهما كان من صحة ذلك فإن محنة فقهاء المذهب المالكي كانت شديدة وقاسية. لأنهم أصيبوا في رأس مالهم. وفي أعز بضاعة يملكونها. وهي كتب فروع الفقه بمسائله وقضاياه واجتهادات فقهائه. وما إلى ذلك من اجتهادات قضائية. وفتاوي. ونوازل فقهية.

---

55) عبد الله بن خضراء السلاوي. ورقة 3 / وحسب ترقيم (المجموع) ورقة 60. واسم الكتاب الرد على من يقبض في صلاة الفرد. ضمن مجموع. رقم، 1724 د المكتبة العامة بالرباط. والأداب والعلوم والفنون على عهد الموحدين للأستاذ محمد المنوني ص 116 متنا وحاشية.

56) ابن الجد، هو أبو بكر بن عبد الله بن يحيى ابن الجد الفهري الاشبيلي، ولد بلبلة من أحواز شبيلية (سنة 496 وتوفي سنة 586 هـ. تلقى دراسته الاولى ببلده. ثم انتقل إلى قرطبة. ودرس على كبار علمائها. قال عنه ابن السلجوم، هو حافظ أهل المغرب غير مدافع. أحفظ من ابن القاسم صاحب مالك. إليه انتهت الرياسة في العلم والفتوى... انظر عنه الذيل والتكملة ج 6 / 323 بتحقيق إحسان عباس. والتكملة لابن الابار، 358. ط، مورين.

57) عبد الواحد المراكشي المعجب. ص، 401.

58) عبد الواحد المراكشي المعجب. ص 400.

لقد أمر السلطان بإحراق هذا المجهود العظيم، وهذه الثروة الفقهية الضخمة ليبدأ القوم من الصفر، وهيهات..!

فكانت الكارثة، وكان الامتحان عسيرا، إلا أنه لم يكن بأول امتحان صمد فيه فقهاء المذهب المالكي، وقد عبر كثير منهم عن لوعة ما أصيبوا به، وصبوا جام غضبهم على المهدي وآرائه، ومذهبه في المهدوية، والعصمة، وعلى مبتدعاته وتشريعاته، كما يتجلى ذلك من انتقادات الإمام الشاطبي، وابن الأحمر، وغيرهما (59).

وإذا كان الموحدون في آخر عهدهم، قد أدركوا هذه الحقيقة وتنكروا لتعاليم إمامهم المهدي، بل منهم من أمر بلعنه وسبه... فإن هذا الإدراك جاء متأخرا، لأن صبر الناس كان قد استنفد، وشوقهم إلى عودة سيادة المذهب المالكي، كان قد أخذ من قلوبهم كل مأخذ.

وفي آخر الدولة الموحدية، وابان ضعفها ظهرت الدولة المرينية لتصحح الأوضاع ولتعيد إلى المذهب المالكي وإلى رجاله الاعتبار الجديرين به.

ومن أجل تحقيق هذه الغاية، أكثر المرينيون من تأسيس المعاهد والمدارس، ومآوي الطلبة، وكان ذلك كرد فعل ضد الحركة الدينية للموحدين وبذلك انفسح المجال من جديد أمام فقهاء المذهب المالكي، وعاد إليهم نشاطهم، عاد لجامعة القرويين أنسها وبهجتها وعادت إليها حلقاتها، وسرت فيها روح جديدة بما أسس حولها من مدارس وأحياء جامعية، وبما جد فيها من كراسي في مختلف العلوم والفنون... وصارت بذلك كما كانت قلعة شامخة في عنان السماء تنير وتضيء وتشع بنور العلم والعرفان.

وكان الازدهار الثقافي الذي عرفه العهد المريني، والذي شمل ربوع المغرب من أقصاه إلى أقصاه، وانتشرت المدارس العلمية . في البوادي والقرى والصحاري والجبال والسهول... وفي مختلف جهات المغرب.

وفي العصر المريني نبغ علماء مغاربة كبار، من علماء المذهب المالكي كأبي الحسن الصغير الزرويلي، وأبي الضياء مصباح اليلصوتي، والإمام القباب، وابن عبد المالك المراكشي، وابن رشد، وابن الحاج صاحب المدخل، والشيخ زروق وأبي العباس أحمد الونشريسي، وأبي عبد الاه التالي، وابن غازي، وابن بري، والخراز، وابن مرزوق وابن البناء المراكشي... وغيرهم، والقائمة طويلة جدا (60)، ولهؤلاء مؤلفات وإنتاج فكري، كل ذلك جاء نتيجة لانهيار الحصار الذي كان مضروبا على الفقهاء المالكية في العصر الموحدي، وبذلك سجل العصر المريني أوج الازدهار الفكري بالمغرب.

وفي العهد الوطاسي الذي كان امتدادا للعهد الأخير من دولة بني مرين، نجد المدارس العلمية تعمل في نشاط دائب ومستمر (61) وتضم مجموعة من خيرة فقهاء المذهب المالكي، كأسرة الونشريسي، وأسرة الملجوم، وأسرة ابن غازي، وأسرة الزقاق، وأسرة ابن ابراهيم المشترائين، وأسرة المصيمدى، والمصمودي، والنيجي، وغيرها من الأسر العلمية لهذا العهد (62) وذلك سواء برحاب القرويين بفاس، أو في مختلف الأقاليم المغربية حيث نجد مجموعة من كبار العلماء ، كأبي عبد الله محمد التالي بجبال غمارة، وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي بمدينة تازة، وأبي الحسن علي السكتاني بمدينة مراكش، ومحمد الحساني من علماء درعة، وأبي العباس الوجدي من وجدة ، وأسرة ابن القاضي آل العافية بمكناس، إلى غير ذلك من كبار العلماء، بفاس، وسوس، والأطلس، والصحراء وجبال الريف، ومختلف أقاليم المغرب (63).

وإذا كان العهد الوطاسي قد عرف انحدارا سياسيا، وعرفت سواحل البلاد احتلالا أجنبيا، فإن دور الفقهاء المالكية في الدفاع عن حوزة البلاد، وقيادتهم ومشاركتهم في عملية التحرير... ليعد بحق صمودا من أجل الحفاظ على العقيدة وتثبيت السنة القويمة، لأنه من أروع الأمثلة على قيادة العلماء لمعارك التحرير، ومشاركتهم في ميدان القتال بحد السيف (64).

59) (الاعتصام) 1 ـ 205 ـ 206 وبيوتات فاس : 20.

60) الأستاذ عبد الله كنون ـ النبوغ المغربي ج ، 1 ، 206 ـ 215 حيث ذكر معظم هؤلاء ، ط ، 2 ، بيروت سنة 1961. محمد بن شقرون مظاهر الثقافة المغربية (من ص ، 13 ـ ص ، 15) ط ، الرسالة الرباط ، ص ، 60 ـ 123.

61) علي بن ميمون الغماري ـ الرسالة المجازة في معرفة الإجازة ـ خ ، القرويين، وميكرو فيلم ، 1343. خ.ع. الرباط.

62) رسالة الاخوان من أهل الفقه وحملة القرآن لابن ميمون أيضا ، مخ. خ.ع. ر 1780 د.

63) انظر الدوحة ودرة الحجال، وجذوة الاقتباس وغيرها.

64) الدوحة ترجمة عبد الله الورياغلي، وترجمة محمد البهلولي وغيرهما.

وفي العهد السعدي كان دور العلماء كبيرا في تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية لأن معظم ملوك الدولة السعدية هم من أهم فقهاء عهدهم.

وفي هذا العصر برز علماء كبار مثل : عبد الرحمن سقين وأحمد المنجور شيخ السلطان أحمد المنصور وأبي عبد الله محمد القصار، ورضوان الجنوي وغيرهم...

وعلى عهد الدولة العلوية نرى المولى رشيد يكرم العلماء والطلبة لأنهم كانوا من السابقين إلى المكرمات، وإلى مواقع الجهاد، وظل مهرجان سلطان الطلبة رمزا لذلك التكريم.

وفي عهد المولى محمد بن عبد الله بالرغم من صدور الأمر الملكي بتدريس التفسير وكتب الحديث، وأمهات الفقه المالكي، وتجنب بعض كتب الفروع المشحونة بسرد الخلافات الفقهية فإن صدور مثل هذا الأمر لم يكن حطا من قدر علماء المذهب المالكي وإنما كان قصد تنبيههم إلى وجوب العناية بالمصادر الأساسية للشريعة الإسلامية.

وبالفعل أسند تدريس الحديث الى نفس العلماء الذين كانوا يدرسون كتب فروع الفقه بمختصر خليل وشراحه.

وفي ذلك يقول سليمان الحوات (ت : 1231 هـ) وهو يتحدث عن الشيخ العلامة أبي عبد الله سيدي محمد التاودي بن سودة : «لم ينقطع شيخنا عن قراءة المختصر إلا ما كان آخر أيام أمير المؤمنين سلطان السلاطين مولانا أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين الحسني فإنه صدر عنه الأمر إذاك بتأكيد قراءة التهذيب، والرسالة والاقتصار عليهما دونه ـ أي دون مختصر خليل ـ فامتثل رضي الله عنه ـ ثم عاد إليه بعد ذلك (65).

ويذكر سليمان الحوات بعد ذلك، بأن الشيخ بن سودة رحمه الله، كان يدرس الكتب الست، وممن أخذ عنه (بجبل العلم) الشيخ محمد بن الحسن بناني محشي الزرقاني (68).

ومن الباحثين من يختلط عليه الأمر فيظن أن أمر سيدي محمد بن عبد الله كان مثل أمر يعقوب المنصور الموحدي مع أن القضية تختلف تمام الاختلاف.

فأمر سيدي محمد بن عبد الله كان يحث على تدريس أمهات كتب الفقه المالكي كالتهذيب للبراذعي، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وكتب الحديث، وبذلك لم يجد الفقهاء في عهده أي حرج في تدريس ما أمر بتدريسه، وهذا يخالف تمام الاختلاف ما أمر به يعقوب المنصور الموحدي من إحراق كتب الفقه.

وعمل المولى سليما على احياء سنة والده، ودعا إلى العناية بتدريس كتب التفسير والحديث، وإلى محاربة البدع، ولم يكن الفقهاء المالكية يجدون أي حرج في تنفيذ هذه الأوامر الملكية بل كانوا ينسجمون معها، ويرون أنها منهم وإليهم.

وبهذا العرض الموجز عن صمود فقهاء المذهب المالكي في وجه الزوابع والعواصف ، ندرك أن المذهب المالكي لم يتوطد في هذه البلاد بالعفوية والصدفة، ولا بمساندة السلطة في كل الظروف والأحوال، وإنما اعتنقه أهل هذه البلاد عن ايمان ومبدأ، وضحوا من أجل استقراره وتمكنه براحتهم، وأنفسهم وبكل غال، ونفيس.

وبفضل ذلك عرف المغرب وحدة مذهبية في الفقه والعقيدة، قل نظريها بين أقاليم العالم الإسلامي، وهي وحدة مشرقة، يغبط المغرب عليها، وهي بدون شك كانت من عوامل استقراره وتحضره وازدهار الحركة الفكرية به.

سلا : عبد القادر العافية

---

65) الروضة المقصودة في مآثر بني سودة مخ. م. م. بالرباط رقم : 10923 نسخة مصورة ورقة : 307.

66) نفس المصدر.



الإسلام
دين التطوّر

للأستاذ الحسن السائح

إن الإسلام إذا كان يرى في التغيير لتعاليمه سيرا إلى الدونية، فإنه يقر التطور (فالله خلقكم أطوارا) (بل هم في لبس من خلق جديد).. ولا يختلف أصحاب التطور في الغرب سواء الطبيعيون أو الإجتماعيون مع الإسلام في طبيعة التطور.. بل أن الإسلام يقر حتمية التطور.. **(والسماء خلقناها بايد وانا لموسعون)**، ويعتمد في ذلك على طبيعة المادة والفكرة وتحسنهما. أما الماديون الجدليون فيقرون التطور والتغير على أساس الشك الديكارتي الذي يطبع المزاج النقدي المعاصر في كل شعب المعرفة.. ولذلك يرون أن المعتقدات هي ايديولوجيات وليست بواقع وعلى أساس ذلك يتخذون موقفا نقديا اتجاه الايديولوجيات ذاتها، لأنها في نظرهم تخفي أغراضا اقتصادية خاصة. بينما الحقيقة تنبثق من الواقع الذي يبدو واضحا في التركيب الإقتصادي، والذي ينعكس بدوره على المجتمع لا العكس.

وفي نظرهم أن الإنسان يستطيع أن يبدل الواقع عن طريق إزالة سلطة الإيديولوجية لأن الحقيقة تنكشف عن طريق الشك والتحليل، أي الشك في القيم ذاتها.. والقدرة على تحليل الواقع حتى يتغير تبعا له مستوى الفرد والجماعة.

ولكن مهما حاول الماديون أن يبحثوا عن عالم واقعي، فهم سيظلون يبحثون عن قيم.. وإذا كانت الإيديولوجيات قد حرفت، فإن الواقع سيكشف عن ايديولوجيات أخرى لربط الواقع والتلاحم معه في صورة أحسن. ومفاسد الإديولوجيات ناتجة عن انحرافها، وأية جامعة تنتظم طبقة ما تكون عن طريق الإيديولوجيات التي تنشأ مفاسدها ناتجة عن انحرافها. وهم بهذا يقعون في صميم الفكرة الإسلامية ، «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم».

فالقيم الإسلامية ليست فلسفة ولا اديولوجية ولا ما ورائية، ولكنها واقع معاش منطقية وفطرية ومتطلعة للمستقبل عن طريق الجزاء في الآخرة.. وهي التي تشد أعضاء المجتمع على أساس الحق والعدل.. والإنحراف في المجتمع انحراف عن القيم لا موت للقيم أو نهاية لها..

فالايديولوجيات في الإسلام لا تخفي وراءها مصالح اقتصادية. بل أن المصالح الإقتصادية تخضع لتوجيهاتها. فالزكاة والصدقة والوقف والإرث أحكام شرعية لأحداث تغييرات اقتصادية جذرية في المجتمع.

والإنحراف عن القيم الإسلامية ليس نهاية لها. ولكنه دعوة جديدة إلى مناهضة الإنحراف حتى لا تتغير القيم تبعا لتغير السلوك الإنساني.. فالإفلاس الإقتصادي نتيجة للإنحراف العقائدي، بل هذا ما تؤيده حركة بعض الماديين في الصين أثناء الثورة الثقافية التي أثبت كذلك عجزها لأنها من تصميم مصلحين، لا من تصميم شمولي.

ويعرض (التغيير) على الشعوب بأجهزة الإعلام (والمديا) حيث تسلبه ثقافته (أولا) ثم تحمل إليه عطاآت وتوجيهات مضللة. وقد ظهرت دراسات حديثة في التضليل بوسائل الإعلام والترويج للمصالح الإقتصادية كالدعايات والإغراآت، وعملية ترسيخ الموضوع

بالصورة والصوت والتكرار والملاحقة. كما تعمل الصحافة على اصطناع مواقف فكرية مضللة تخلق معركة بين الجيل والجيل، والشباب والشيوخ، والتقدميين والمحافظين، والقديم والحديث، وتسخير الأقلام المأجورة للدعايات لأفكار معينة وأشخاص معينين، وفلاسفة جدد.. وهكذا مما يعمق (التغيير). ومن الغريب أن يوافق شبابنا على (قراءة) انتاجات سطحية غربية دون أدنى اعتبار للإنتاج الوطني. ويبقى أن نتساءل عن مضاعفات التغيير وأثره على الشعوب.

ماذا ينتج عن التغيير من أعراض في مختلف المجتمعات ؟ إن التغيير المنحرف سواء كان باطنيا أو لعوامل خارجية يفضي إلى الإغتراب، الذي يعني الإنخلاع وانعدام السلطة سواء الذاتية أو الإجتماعية، والإنفصام عن الذات، والاستياء العام والتدمر والعداء والعزلة والإحباط وانعدام مغزى الوجود والحياة.

فالاغتراب الجماعي يفقد علاقة المجتمع بقيمه وتراثه، ويفضي إلى انعدام الصلة بين الفرد وجزء حيوي من ذاته، ويضعف التفاعل بين أفراد المجتمع فكريا وعاطفيا، والتفاعل بين أفراد المجتمع وعملهم، مما يخفض الإنتاج ويعرض الجماعة للإضمحلال.

(فالتغيير) بالسير على غير سنن الطبيعة ونواميس الكون ليس إلا مرضا اجتماعيا خطيرا لا يقف ضرره إلا بالرجوع إلى الطريق السوي.. وارجع بعض علماء الإجتماع خيبة الإنسان إلى ثقته في العقل وحده وإقامة علاقاته مع الطبيعة بدل علاقاته مع القوى الغيبية مما عرضه للإنفصال عن خصائصه الفطرية.

إن الإغتراب يقود المجتمعات إلى فقدان شخصيتها، وضعف انتاجها، وتضاؤل العلاقات بين أفرادها مما يجعلها سهلة للغزو والإحتلال والإستعمار.. ومما يجعل من أفرادها خصوما متعادين، يحسد بعضهم بعضا، ويكرس أحدهم ثروته على حساب غيره، دون أي وعي بالتضامن الإجتماعي، مما يعرض المجتمع للهزاء، ويعرض التغيير الإجتماعي للإغتراب الديني.

فالمؤمن الحق من رزقه الله بصيرة في دينه، وفقها في سنة رسوله، وفهما في تشريعاته.. فيصبح غريبا لفساد مفهوم الدين الذي يصبح شكلا لا مضمونا، وإطارا بدون روح، وعوائد ومألوفات وفتنة بالشبهات والشهوات. جاء في صحيح الإمام مسلم قال عليه السلام، كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم، أي قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف، نقول كما أمرنا الله. قال ، أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتباغضون.. وفي البخاري قال (ص) مالفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان من قبلكم فتتنافسون كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم.

ولذلك كان الصحابة يخشون الإغتراب عن دينهم، ويؤثرون (الغربة) في دينهم، فيعتزلون ويزهدون، وهذا هو منشأ التصوف الإسلامي الذي آثر الزهد مع التزام العمل الصالح، والجهاد المضني، وعدم تحريم زينة ما خلق الله، جاء في مدارج السالكين أن عمر بن الخطاب دخل المسجد، فوجد معاذ بن جبل جالسا إلى بيت النبي (ص) وهو يبكي، فقال له عمر ، ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن هلك أخوك.. قال ، لا، ولكن حديثا حدثنيه حبيبي رسول الله وأنا في المسجد، فقال ما هو ؟ قال ، إن الله يحب الأخفياء، الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة عمياء مظلمة..

هذا هو الإغتراب.. وهذا ما ينتج عن التغيير، ولكن في حضارتنا مناعة وفصل لصيانة المجتمع والحيلولة دون التغيير، فكيف نستفيد من حضارتنا مما يعضنا على مواجهة الأخطار ؟

الحسن السائح

في العدد القادم

آراء وأبحاث علمية عن يوم القيامة

للأستاذ الحسن السائح

دراسات في الادب المغربي : 7

(ج) الاوضاع الثقافية والادبية لعهد المرابطين
أبو زكرياء يحيى بن الزيتوني

للأستاذ عبد الكريم التواتي

...أما وقد ألقينا أضواء على بعض المظاهر أو الظواهر لهذا العهد، في بحثنا قبل هذا، فإننا سنحاول الآن - تجسيما لتلك الظواهر وإبراز بعض معطياتها، حيث أن الماهية لاتتحقق خارجيا إلا في أفرادها كما يقول المناطقة - تقديم شخصيتين من مثقفي ومفكري هذه الحقبة، كنموذجين لشعراء وأدبائها، تمثل أحداهما الصورة العامة لشخصية الفقيه الأديب في نظر رجالات تلك العصور، أو بتعبير آخر، تمثل الظاهرة الثانية مما كنا أشرنا إليه في الحديث قبل هذا ، من أن المجالات الأدبية شعرا ونثرا تحتل من الحركة الثقافية العامة المرتبة الثانوية... بينما تمثل الشخصية الثانية المدرسة الموسوعية التي انبثقت أو نشأت في الأندلس، وترعرعت واستطالت بالمغرب لعهد المرابطين.

ثم هاتان الشخصيتان المختاراتان معا كانت احتضنتهما مدينة فاس العاصمة العلمية الفكرية لما قبل وبعد تاريخ الوجود العربي في المغرب، واحداهما من مواليد هذه المدينة ومن دفنائها وأعني بها شخصية أبي زكرياء يحيى بن الزيتوني، وثانيتهما وإن لم تكن من مواليد فاس، فهي بها قضت نحبها، بعد أن ترعرت عبقريتها بها بالإضافة إلى أن شهرتها العلمية الأدبية بل والفكرية عامة، لم تكتمل أو لم يتوفر لها البروز والظهور إلا حين قدر لها أن تقيم بفاس، ويتعلق الأمر بأكبر فيلسوف عقلاني مغربي لعهدئذ وأعني به أبا بكر محمد بن الصائغ المعروف بابن باجة التجيبي السرقسطي الذي حاول في فلسفته التوفيق بين العقل والدين كما سنرى.

وبالمناسبة أود أن أثير هنا السؤال الآتي حول مفهوم مواطنة الأدباء ورجال الفكر، ولمن تكون رعويتهم، ألمساقط رؤوسهم حتى ولو لم ينشأوا فيها ولم تشهد تلك المساقط بالتالي مختلف التطورات المتعاقبة عليهم والمؤثرات المتباينة التي تعاورت أحداثهم وحياتهم، وساهمت في تكوين شخصيتهم وبلورت أهدافهم، أم يجب أن تنسب تلك الرعوية لمناشئهم ومقاماتهم، حيث شبوا وترعرعوا، وتفتحت عقولهم الواعية على الحياة، وتذوقت نفوسهم طعومها، وبوتقت، اتجاهات هذه العقول لتتخذ هذا النوع من الاشكال دون ذلك ؟.

ومن الواضح الجلي أن لكل من المواطنين على الادب والفكر حقوقا وعليهما تجاههما واجبات، ومن الصعب إنكار آثار كل منهما على حياة الفرد، وربما حتى في اختيار اتجاهاته الواعية الإرادية.

بله اللاواعية واللإرادية. ثم إذا كان أبو تمام قد أصاب كبد الصواب، ودغدغ منطقة الاحساس لدى كل إنسان حين أرسل هذه النفحة العاطفية التي أودعها بيتيه بل نفسيه الشاعرين هاتين.

نقل فؤادك، حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبدا لأول منزل

وإذا كان ابن الرومي بدوره، قد أصاب المحز، حين أبرز بعض أسباب مضمون بيتي الطائي في قطعته أي ابن الرومي الخالدة التي منها :

وحبب أوطان الرجال إليهم

مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو

عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

ثم إذا كان قد بسط هذه العاطفة المشوبة لدى كل الكائنات من ذوات الاحساس والتميز الواعيين أو الغريزيين صاحب هذا البيت الشعري الذي غاب عني الآن صاحبه.

بلاد بها نيطت علي تمائمي

وأول أرض مس جلدى ترابها

إذا كان ذلك في جملته وتفصيله حقا وإلى أبعد الحدود فإن حقوق مقام الأديب والمفكر عليهما، وخاصة إذا كانا ذوي آثار بارزة وقوية في تكوين الشخصية التي من أجلها سلطت عليهما الأضواء، وفي تكامل الذاتية التي بسبب هذا التكامل أصبحا ممن يشار إليهما بالبنان.

وإذا كانت بالإضافة إلى ذلك تتواجد أهداف هذه الشخصية وتلك الذاتية، وتتغيا رغبة واحدة وتنشد نفس المصائر وتسعى لإيجاد الجو الملائم والمناسب لإبراز عبقرية هذا الأديب أو ذاك المفكر، ثم بلورة هذه العبقرية ومميزاتها، ان هذه الحقوق ربما كانت أسمى بكثير من العاطفة الأخرى لأن هذه تربط الأديب والمفكر بواقعهما، وتعطى عواطفهما وأحاسيسهما صورا مرئية مجسمة قد تكون مصداق ذلك الواقع أو تكون متجانفة معه، بينما تظل عواطف المولد ومسقط الرأس مجرد أحاسيس معتمة باهتة، قد تشد الأديب أو المفكر إلى الأرض دون أن تجعله يحس مواقع إقدامه فوق هذه الأرض، فعواطفه نحوها هي إذن مجرد غوالم للطفولة التي تظل تراود الإنسان إلى حين مفارقته هذه الحياة، وهي عواطف - في الحقيقة المجردة - لا تعني سوى الانسياب والهروب...

ولكن - ومع ذلك - فهناك جوانب لاتخلو من جاذبية في غوالم الطفولة هذه، وهذا ماحملنا على اعتماد العاطفتين معا، واعتبار النسبتين معا، ولذلك فسنعتبر في عداد شعراء وأدباء المغرب كل من احتضنته مولدا أو مقاما وتنشئة ووفاة... وبناء على هذا الأساس انبهنا في اختيارنا لشعراء المغرب وأدبائه لعهد المرابطين إلى خصوص هاتين الشخصيتين الزيتوني وابن باجة.

وإذا كنا لم ندرج سواهما ضمن أدباء هذا العهد - على الرغم من وجود هذا السوى من أمثال ابن حبوس الفاسي الذي عاش فترة غير وجيزة من حياته الأدبية في هذه الحقبة، فلأننا راعينا نصوص أولئك الذين عاصرت شهرتهم هذه الدولة، لامجرد الذين أبصروا نور الحياة في عهده، ولما تتفتح شخصياتهم الفكرية إلا بعد أفول نجم المرابطين وبزوغ أعلام الدولة الموحدين.. وهؤلاء في الحقيقة هم جل شعراء وأدباء ومفكري دولة الموحدين... ونقتصر في هذا المقال على تناول شخصية ابن الزيتوني، على أن نخصص بحثنا المقبل إن شاء الله لابن باجة نظرا لتعدد مناحي شخصيته وتباين مجالات تفكيره واختصاصاته الموسوعية.

والفقيه الأديب الشاعر أبو زكرياء يحب ابن الزيتوني أحد الذين تتجسم فيهم ظاهرتا تاريخ الأدب العربي أنتروبولوجيا، ظاهرة انعدام تحديد تاريخ الولادة، إذ هو مجهول تاريخها، وظاهرة ضياع الآثار.

وظاهرة اهمال تاريخ الولادة، ظاهرة عامة - تقريبا - في كل تراجم رجالات الفكر العربي والإسلامي، لما قبل عصر النهضة الحديثة، فإنه إذا كان مؤلفو الطبقات، ومؤرخو الآداب قد اعتنوا عناية غير قليلة بتاريخ الوفيات، وإلى الدرجة التي أفردوا لها المجلدات الضخمة، كوفيات الأعيان وأبناء الزمان لابن خلكان أحمد البرمكي الاربيلي (1211م - 1281م)، فإنهم فيما يخص تاريخ الولادة درجوا على أن يعرجوا عليه إلا في الأقل النادر، وعندما يتعلق الأمر بخصوص الأباطرة والملوك والولادة ورجال الحكم غالبا... ولعل ذلك يرجع :

أولا : لعدم اهتمام الأسر العربية قديما، بتسجيل تاريخ مواليدها لدى وفادة أولئك المواليد على الدنيا.

وثانيا : يرجع إلى عدم التيقن مما ستؤول إليه حياة أولئك المواليد من حيث تحقيقهم لشهرة تثير الانتباه وتستحق الاهتمام، ومن خمول ذكر وانكفاء ذاتية ينتهيان بصاحبهما إلى اهماله واللامبالاة به.

ومنطلق التاريخ إنما كان أصلا وأساسا لتسجيل الظواهر غير العادية التي من شأنها أن تثير الانتباه. **ومن ثمة تدعو إلى التمحيص** الدرس والسؤال. أو لتسجيل المواقف المثيرة الحاسمة التي قد تصبح معالم ومصابيح يهتدى بها أو مشاعل نورانية تأخذ بيد السارين في **مضارب الجهل ومتاهات الحياة**.

وما كان للناس في تلك العهود القديمة أن يتنبأوا - منذ **الولادة - بمخايل الذكاء**، وملامح العبقرية اللتين تجعلان من الأفراد العاديين اعلاما مرموقين... ومن هنا أهمل تاريخ ولادة مترجمنا ابن الزيتوني كما أهمل تاريخ ولادة الكثيرين من أمثاله.

أما ظاهرة ضياع آثار أدبائنا ومفكرينا - وبالأخص نحن المغاربة - ومعها ضياع الوثائق والمراجع والمستندات، فإنها عامة فاشية في كل أطوار تاريخنا وفي مختلف مناحيه السياسية والعسكرية والاجتماعية والعلمية والأدبية أيضا ولا سيما في الحقبة الواقعة ما بين بداية الوجود للسكان الأصليين أو الأول أعني البربر وقيام دولتي الموحدين وبني مرين اللتين ترجع أرومتهما أيضا إلى الأصول البربرية الزناتية.

وهذه الظاهرة انطقت جميع من تناولوا تاريخنا الأدبي بالدرس بالشكوى من هذا الضياع والغموض ثم من الغريب أن هذه الشكوى رافقت حركة التدوين في المغرب، فمنذ القرن السابع الهجري سجلها ابن عبد المالك المراكشي (634 هـ 703 هـ) صاحب كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة. حيث قال في هذه الكلمات الصارخة : (... وكان بفاس من الفقهاء والاعلام الأجلة أعيان الأنام، ما ليس في غيرها من بلدان الإسلام. إذ هي قاعدة المغرب، ودار العلم والأدب، لكن أهلها اهملوا ذكر محاسن علمائها وأغفلوا تخليد مفاخر فقهائهم...) (1).

وهكذا يحيط الغموض بتاريخ ولادة يحيى بن الزيتوني، كما أحاط الغموض بآثاره ووفاته. وصاحب الجذوة الذي من الممكن القول بأن عنه استقى كل من تناولوا حياة هذا الرجل بالذكر لم يزد في تحليته عن قوله : (أبو زكريا يحيى بن الزيتوني الأديب)... ثم نقل نص ابن بسام : (وفد على اشبيلية أيام ملوك الأندلس. وله شعر بديع. وتصرف مطبوع. وكان حاضر الجواب ذكي الشهاب) وأورد القصة التي يقال أنها حدثت بين ابن الزيتوني وأبي الوليد بن زيدون وامام وبين يدي المعتمد بن عباد. وعلق عليها بجملة واحدة. دون الإشارة لا إلى تاريخ ولادته ولا إلى تاريخ وفاته.

وكان المنتظر من صاحب كتاب النبوغ المغربي أن يبذل جهودا أكبر لالقاء أضواء على حياة الرجل لا أن يكتفي هو الآخر بمجرد إيراد كلمات الجذوة بالنص والحرف مع الإشارة إلى أنه كان أديبا اريحيا، خفيف الروح، رقيق الحاشية، متظرفا، حسن المذهب دون الاتيان بأي دليل على هذه الأوصاف من آثار الرجل الأدبية شعرا أو نثرا .

وإذا صحت المناظرة المشار إليها توا، وافترضنا انها حدثت - والمعتمد بقصره باشبيلية، فإن من المؤكد أن ابن الزيتوني كان حيا ما بين سنة (464 هـ وهي سنة تتويج ابن عباد وسنة 484م سنة إزعاجه من طرف المرابطين من ملكه إلى أغمات حيث فرضوا عليه هناك الإقامة الجبرية كما هو معلوم.

وإذا فرضنا أن تاريخ معدل النبوغ لتلك العهود كان يتراوح ما بين الثلاثين والأربعين سنة من **عمر الفرد ففي الإمكان تقدير** سن ولادته في العقد الرابع من القرن الخامس الهجري. سيما وقد ورد ما يؤكد أن صاحبنا كان من **مادحي المعتمد ابن المعتمد وانه** قد استنجزه الوعد في قوله :

سفينة الوعد في بحر الرجا وقفت
فأمنن بريح من الانجاز يجريها

اما آثار الرجل الأدبية فكل ما أمكن العثور عليه هو أولا هذا البيت الشعري الذي رووه مفردا والمذكور قبله ثم قصة المناظرة التي قالوا عنها وعن تأثيرها انها اخجلت أبا الوليد وجعلت الحاضرين يستخفهم الطرب (2).

وهي في نظرنا لا تستحق هذا الوصف وان كان من الممكن **الاستدلال بها على ذكاء الرجل ومعرفته لما وراء الحروف في مقام** الغمز واللمز.

ثم ثالثا وأخيرا نجد له هذه الأبيات التي رواها صاحب الذخيرة ونقلها ابن القاضي على أنها مطلع قصيدة لم أعثر عليها انا وقد جاء فيها :

فقت الهلال بذا الجمال برأسه
وجرحت باللحظ الغزال بأسه

1) مجلة دعوة الحق صفحة 28 العدد 6، السنة الثانية.

2) انظر الجذوة صفحة 337 الطبعة الحجرية الفاسية. فقد اورد ابن القاضي المناظرة هناك.

لم أبق دمعا في سواها ولا جرى

قلم بغير ثناه في قرطاسه

فلقيت من كلفي به مالم يكن

يلقى سحيم من بنى حسحاسه

ما البحترى وان أرق نسيبه

وأجاد في أوصاف عين (طماسه)(3)

بارق من شعرى منه موقعا

وادق منه في حلى أنفاسه

وهذه النبذ التي أثبتوها من شعره لا توحي بما أطلقوه عليه من أوصاف صفاء الطبع، وبراعة شاعرية وإنما نرى ألفاظا رصفت لتكون نظما مهلهلا يساق أو يقال في محاولة شبيهة بشعر البحتري ولكنها محاولة فاشلة . إذ لا يقال السيف امضى من العصى ولا الثريا كالثرى إذ شتان بين شعري الرجلين . وانه لاقياس مع وجود الفارق.

إلا أن إيراد ترجمته في الجذوة ضمن تراجم الفقهاء وكان الوصف الفقهي في تلك العهود اسمى ما يطمح إليه رجال الثقافة والفكر قد يشعر بأن الرجل كامن ذا آثار أدبية وشعرية قد تكون رائقة من غير هذه الأبيات كان يعرفها مرافقوه ومعاصروه بما استحق عليها ما أطلقوه عليه من نعوت العبقرية والنبوغ ثم قد تكون أتت عليها يد النسيان أو الاهمال بسبب التحاشي بالظهور بمظهر الشعر في عصر لم تنفق فيه سوى سوق الفقه بفروعه ولم ينل فيه حظوة سوى المنضوين تحت لواء هذه العلوم واضرابها من علوم الدين والشريعة.

ولعل الحركة الاحيائية والبعث للثرات التي تباشرها مختلف الشخصيات المهتمة بتاريخ هذا الجناح من العالم العربي والإسلامي ستقض غبار الاهمال عن كنوزها المخبوءة وتعمل على تسليط مزيد الأضواء على المخزون من ذخائر الأدب المغربي في كافة مجالاته ومختلف فروعه وما هذا على همة الطامحين بعزيز.

فاس : عبد الكريم التواتي

---

(3) طماس : هو ابن أخي ابراهيم ابن العباس وكان البحتري يتولع بوصف عوره... (الجذوة).

ندوة فكرية دولية تحت شعار : "عالمية الاسلام"

●● عقدت في كولومبو عاصمة سيرلانكا في الفترة من 24 إلى 25 مارس الماضي ندوة فكرية دولية حول موضوع (عالمية الإسلام) نظمها مؤتمر العالم الإسلامي. وشارك من المغرب في هذه الندوة الأستاذ الكبير أبو بكر القادري عضو اللجنة التنفيذية لمؤتمر العالم الإسلامي الذي يوجد مقره في كراتشي.

وقد عقد على هامش هذه الندوة التي دعي لها مفكرون وعلماء من مختلف دول العالم لقاء ديني كبير في إطار الحوار الإسلامي المسيحي تحت شعار الآية الكريمة (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله).

وشارك في هذا الحوار من الجانب المسيحي ممثلون عن المجلس العالمي للكنائس.

وقد اختيرت سيرلانكا مقرا للحوار الإسلامي المسيحي باعتبارها نموذجا للدولة الاسيوية التي تتعايش فيها الأديان في محبة وسلام.

ومن المعلوم أن دولة سيرلانكا احتفلت مؤخرا رسميا بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ●●

منهج الإمام البخاري في علم الحديث

للدكتور يوسف الكتاني

لقد قسم أندريه لالاند مؤرخ المنهج التجريبي علم المناهج العامة إلى أقسام أربعة :

1) المنهج الإستقرائي
2) المنهج الإستنباطي
3) المنهج التكويني أو الإستردادي
4) المنهج الجدلي.

أما المنهج الإستقرائي فقد كان طريق الحضارة الحديثة ومبدعها وميزتها، عليه سار علماؤها، فأبدعوا لنا الحياة العصرية بمخترعاتها ووسائل الحضارة فيها، غير أن العلماء المسلمين، توصلوا قبل أوروبا بقرون طويلة إلى جميع عناصر هذا المنهج، وسبقوا إلى ابتكاره وإنشائه وكذلك كان شأنهم مع المنهج الإستنباطي، فقد سبقوا إليه وعرفوه قبل الأوروبيين وعصور النهضة فيها ولكنهم عرفوه بإسم آخر وهو ما أسموه بالمنهج القياسي، غير أنهم هاجموا هذا المنهج واعتبروه عقيما لا يؤدي إلى نفع، ولا يصل إلى نتيجة، وقد كان موقفهم مغايرا مع المنهج الإستردادي الذي أقاموه على أسس علمية صحيحة ودقيقة، فيما يعرف بعلم مصطلح الحديث أن طرق تحقيق الحديث رواية ودراية كما عرفه المسلمون وأبدعوه هي منهج البحث التاريخي الحديث كما عرفه فلنج وسنيوبوس ولانجلو وقد سبق المسلمون وتوصلوا إلى كل ما توصل إليه علماء مناهج البحث التاريخي من نقد النصوص الداخلي والخارجي كما عرفوا طرق التحليل والتركيب التاريخية كذا فحص الوثائق ومنهج المقارنة. والتقسيم والتصنيف وهو ما عرف عند علماء الطبقات والرجال كالتاج السبكي وابن خلدون والسخاوي وسواهم.

لقد كان ابن خلدون في القرن الثامن الهجري عالم المنهج التاريخي الذي استخدم المنهج الإستقرائي بعبقرية نادرة وبراعة فائقة حيث فسر الظواهر العرضية التي شاهدها تفسيرا يرتكز على التحليل والتركيب مستخدما قياس الغائب على الشاهد ومستقرئا الحوادث العارضة في المشاهدة للتوصل إلى أحكام عامة مما جعل عمله الباهر في نطاق التاريخ يساوي عمل فقهاء الأشاعرة وعلماء أصول الفقه.

وكذلك الأمر بالنسبة للمنهج الجدلي نجد المسلمين كانوا السابقين إليه والمبتكرين له نجد أصوله في كتب آداب البحث والمناظرة والجدل نجده عندهم منهجا كاملا يماثله ويضارعه المنهج الجدلي الحديث كما هو نفسه وكما يطبق في المجامع والأكاديميات العلمية الحديثة اليوم (1).

•) محاضرة ألقيت بكلية الشريعة بفاس بمناسبة افتتاح السنة الدراسية 1980 ـ 1981.

1) مناهج البحث عند مفكري الإسلام للدكتور النشار ص 270 ـ 271.

لقد سبق علماء المسلمين ومفكروهم إلى ذلك كله وكانوا رواد العبقرية الإنسانية في الفكر والمعرفة والإبتكار مما جعل نهضة العصور الحديثة تقوم على أفكارهم ومعارفهم ونظرياتهم وهو ما حمل المنصفين من علماء أروبا ومفكريها على الإعتراف بفضلهم وريادتهم وإعلانه بمزيد الإعجاب والثناء إننا نذكر هنا في مقدمة هؤلاء العلماء الأفذاذ جميعا رائدا عظيما وإماما كبيرا هو الإمام البخاري رحمه الله فقد وضع لنفسه وللعلم وللناس منهجا علميا فريدا وأسلوبا مبتكرا في علم الحديث لم يسبق إليه ولم يلحق فيه.

وكان فيه أستاذ الأساتذة وطبيب الحديث في علله كما وصفه تلميذه ومعاصره الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (2).

لقد شمل منهج البخاري طريقة أخذ الحديث وكتابته وجمعه واختيار الشيوخ ورجال الإسناد.

أما طريقة أخذ الحديث فقد اتخذ البخاري لنفسه منهجا لاختيار شيوخه وفي بحثه وتأليفه فلم يكن يأخذ إلا عن الثقات وفي ذلك يقول :

«كتبت ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر إسناده (3) وهو من أجل ذلك كان اهتمامه البالغ بمعرفة حال الرواة وكيفية تلقيهم للحديث حتى يطمئن إلى أخذه عنهم قال : «لم يكن كتابتي للحديث كما كتب هؤلاء كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث إن كان الرجل فهما فإن لم يكن سألته أن يخرج إلى أصله ونسخته أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون» (4).

لقد كان منهجه في رجال الإسناد وشيوخه ودرجة من يأخذ عنهم أنه لا يأخذ إلا عن الثبت الراجح الثقة عنده وعند المحدثين كما كان متحريا إلى أقصى درجات التحري حتى نشأ عن هذا التحري فيمن يأخذ عنهم تركه الأخذ، عن كل من فيه نظر مهما كانت كثرة حديثه وقد قال في ذلك جوابا عن خبر حديث : «يا أبا فلان أتراني أدلس ؟ تركت أنا عشرة آلاف حديث لرجل فيه نظر وتركت مثله أو أكثر لغيره فيه نظر» (5).

ولذلك كان يبالغ ويتشدد في التحرى فيمن يروي عنهم بما لم يسبق إليه فلا يكتب إلا عن الورع الذي يقول الإيمان قول وعمل يقول البخاري في ذلك :

«إن الدين قول وعمل وإن القرآن كلام الله لقد لقيت أكثر من ألف رجل من أهل الحجاز والعراق والشام ومصر وخرسان وما رأيت واحدا منهم يختلف في هذه الأشياء» (6).

وقد التزم الإمام البخاري هذا التحري والتثبت في شيوخه ورجال إسناده وعمن روى عنهم في كل رواياته ومصنفاته وخاصة الجامع الصحيح والتاريخ الكبير ولذلك لا نجد تعارضا بين هذا التحري وبين ما روى أنه كان يحفظ أحاديث غير صحيحة كما يحفظ أسماء الضعفاء من الرجال وإلا فكيف يصفي تروثه الحديثية ويتجنب الضعفاء ؟

فلنستمع إليه يحدد منهجه الفريد في تلقي الحديث وحمله ويحدد طبقات الرواة ورجال الإسناد الذين كان يأخذ عنهم والذين ينبغي للمحدث أن يروي عنهم يقول البخاري :

«لا يكون المحدث كاملا حتى يكتب عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه» (7).

ولذلك كان منهج البخاري أن يحدث مرة بالإسناد نازلا ومرة عاليا حتى يفهم أن الإسناد العالي حذف منه أو أن الإسناد النازل قد زيد فيه وقد علق على ذلك أبو طاهر بقوله :

«لئلا يظن من لا معرفة له إذا حدث البخاري» (8) فقد حدث البخاري في مواضع كثيرة عن رجل عن مالك.

وحدث في موضع عن عبد الله بن محمد المسندى عن معاوية بن عمرو عن إسحاق الفزاري عن مالك وحده في مواضع عن رجل عن الثورى وحدث في موضع عن ثلاثة عنه.

فحدث عن أحمد بن عمر عن أبي النصر عبيد الله الأشجعي عن الثورى.

---

2) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي 2 / 9.
3) مقدمة شرح البخاري للنووي 1 / 8.
4) تاريخ بغداد 2 / 25.
سير أعلام النبلاء 8 / 238.
5) تاريخ بغداد 2 / 25.
6) الكمال في أسماء الرجال للمقدسي 1 / 82.
سير أعلام النبلاء 2 / 8.
7) هدى الساري ص 48.
8) مقدمة النووي ص 9.

وأعجب من هذا كله أن عبد الله بن المبارك أصغر من مالك وسفيان وشعبة وقد تأخرت وفاته كما حدث البخاري عن جماعة من أصحابه عنه وحدث عن جماعة من أصحابه عنه وتأخرت وفاتهم ثم حدث عن سعيد بن مروان عن محمد بن عبد العزيز بن أبي زرعة عن أبي صالح سلمويه عن عبد الله بن المبارك.

أما منهجه في كتابة الحديث فقد تميز في كتابة الحديث والتأليف فيه بمزايا كثيرة منها المكاني ومنها الزماني فقد توخى في تأليف جامعه الصحيح الروية والإناة رغم حفظه الكبير واتساع مداركه ومعرفته العميقة للرجال حيث صنفه في ستة عشر عاما وكان يعد نفسه لكل حديث بالغسل والصلاة وفي ذلك يقول البخاري : «أخرجت هذا الكتاب يعني الجامع الصحيح من نحو ستمائة ألف حديث وصنفته في ستة عشر سنة وجعلته حجة بيني وبين الله» (9).

وقال أيضا :

«ما وضعت في الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين».

أما مكان تصنيفه فبين الحرمين الشريفين فقد صنفه في المسجد الحرام ووضع تراجمه بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره وفي ذلك يقول :

«صنفت كتاب الجامع في المسجد الحرام وما ادخلت فيه حديثا إلا بعد ما استخرت الله تعالى وصليت ركعتين وتيقنت صحته» (10).

إن طول زمان تأليفه يؤكد تحرى البخاري وطول بحثه وكبير استيعابه كما أن اختيار الحرمين الشريفين يدل على تقدير المسؤولية في اختيار الصحيح وانتقائه مما يوحى جلال المهمة التي تصدى لها البخاري وكان يقدرها حق قدرها فقد بلغ من حرص البخاري وعنايته أنه أعاد النظر فيه مرات لكثرة ما تعهده بالتهذيب والتنقيح قبل أن يخرجه للناس ولذلك صنفه ثلاث مرات (11).

منهج البخاري في رواية الصحيح وشروطه فيه :

يمكن استيعاب منهج الإمام البخاري في الحديث الصحيح وشروطه فيه من أمرين :

1) من الإسم الذي سمى به الجامع الصحيح.
2) ومن الإستقراء من تصرفه.

فهو قد سماه كتاب الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه وهو الجامع بمعنى أنه لم يختص بصنف دون صنف ولذلك أورد فيه الأحكام والقضايا والأخبار المحضة والآداب والرقاق.

وهو الصحيح أي أنه ليس فيه شيء ضعيف عنده لقوله : «ما أدخلت في الجامع إلا ما صح».

وهو المسند أي أنه خرج فيه الأحاديث المتصلة الإسناد ببعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم سواء من قوله أو فعله أو تقريره (12).

وهكذا يمكن حصر شروط البخاري في صحة الحديث فيما يلي :

أن يكون الحديث متصلا.
وأن يكون رواته عدولا.
وأن يكونوا متصفين بالضبط.

وأن يخلو الحديث من العلة أي ليس فيه علة قادحة ولا شاذا بأن يخالف رواية من هو أكثر عددا منه واشد ضبطا. وقد أوضح البخاري منهجه في الإتصال بدقة متناهية لا تجدها عند غيره حيث اشترط في المعنعن شرطين وهما : اللقاء، المعاصرة. وفي ذلك يقول :

« الاتصال عندهم أن يعبر كل من الرواة في روايته عن شيخه بصيغة صريحة في السماع منه كسمعت وحدثني وأخبرني أو ظاهرة كعن وأن فلانا قال أي أن يكون الرواي قد ثبت له لقاء من

---

9) طبقات الشافعية للسبكي 2 / 7.
الوفيات 1 / 650.
التهذيب لابن حجر 9 / 495.
شرح البخاري للنووي ص 7.
10) هدى الساري ص 11.
11) طبقات الشافعية 2 / 7.
12) النكت (مختصر الفتح) لابن حجر.

حدث عنه ولو مرة واحدة مع اشتراط أن يكون ثقة فإذا ثبت عنه ذلك حملت عنه عنعنته على السماع، وعلة ذلك أنه إن لم يثبت لقاؤه له وإنما كان معاصرا له احتمل أن روايته عن طريق الإرسال وأما إذا حدث عن شيخه بما لم يسمعه منه كان مدلسا وبذلك كان شرط البخاري في الإتصال أقوى وأتقن عند غيره وخاصة مسلم وابن حنبل وغيرهما الذين اكتفوا بالمعاصرة دون اللقاء. إن طريق ثبوت اللقاء عند البخاري تدور على التصريح بالسماع في الإسناد فإذا ثبت السماع عنده في موضع يحكم به في سائر المواضع ومن أجل ذلك كان البخاري يثبت في الرجال الذين يخرج عنهم ينتقي أكثرهم صحبة لشيخه وأعرفهم بحديثه وإن فعل فإنما يخرج في المتابعات بشرط أن تقوم قرينة وأن يكون ذلك مما ضبطه الراوي (13).

قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه في علوم الحديث عن منهج البخاري «وجاء محمد بن اسماعيل البخاري أمام المحدثين في عصره وخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه».

كما روى عن أهل الرى وواسط وخراسان ومرو وبلغ وهراة ونيسابور وبخاري وغيرها بخلاف غيره الذين لم يرحلوا إلى تلك البلاد.

وفي الجرح والتعديل كان للبخاري منهج دقيق وأسلوب فريد كان فيه كثير من التحري والتثبت فإذا أنكر السماع من روى كان يقول ، «لم يثبت سماع فلان من فلان» ولا يقول ورعا» أن فلانا لم يسمع من فلان» كما أكد ذلك صاحب فيض البارى نقلا عن ابن حزم (14).

كما كان أكثر ما يقول في الرجل المتروك أو الساقط «سكتوا عنه» أو «فيه نظر» أو «تركوه».

وقل أن يقول كذاب أو وضاع بل يقول ،
«كذبه فلان» أو «رماه فلان» يعني بالكذب.
وكان أبلغ تضعيفه للمجروح قوله «منكر الحديث» (15).

هذا ولم تقف ريادة البخاري ومنهجيته عند هذا الحد بل تجلت في مواضع كثيرة من صحيحه في تراجمه وتقطيعه للحديث واختصاره وإعادته ومكرراته وتجريد الصحيح مما ميزه عن غيره وسجل له الأفضلية والأسبقية.

تراجم صحيح البخاري

لقد صدق من قال ، «إن فقه البخاري في تراجمه» ذلك أن تراجم الصحيح تعطى الصورة الواضحة والدليل القاطع على مقدرة البخاري وسعة علمه وقوة حفظه ودرجة تفوقه في فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما والإستدلال لأبواب أرادها من الأصول والفروع والزهد والرقائق واستخراج فقه الحديث وما له صلة بالحديث المروى فيه فكان فيها كما قال عنه ابن حجر ،

استخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منها الدلالات البديعة وسلك في الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة» (16).

كما كان (في تراجمه) سباق غايات وصاحب آيات في وضع تراجم لم يسبق إليها ولم يستطع أن يحاكيه أحد من المتأخرين فنبه على مسائل مظان الفقه من القرآن بل أقامها منه ودل على طرق التأنيس منه وبه يتضح ربط الفقه والحديث بالقرآن بعضه مع بعض فكانت تراجمه صورة حية لاجتهاده وعبقريته ومنهجيته.

ولزيادة التوضيح نورد أمثلة من تراجمه تدليلا على نبوغه وريادته وتفوقه وتمكنه وقوة استنباطه المعاني واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله صلة بالحديث المروى فيه.

لقد كان منهجه عجيبا وفريدا في تراجمه فقد يكون منها ما هو ظاهر والترجمة فيه دالة بالمطابقة لما ترجم له أي عنوان لما ترجم له كقوله (باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم علمه الكتاب) كما جاء في الحديث المتصل عن ابن عباس قال ،

---

(13) هدى الساري ص 7.
مقدمة الفيض 35.
(14) فيض الباري للكشميري.
(15) طبقات الشافعية 2 / 9.
(16) هدى الساري ص 6.

ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم علمه الكتاب (17).

وقد تكون الترجمة تعبيرا للمعنى المراد من كلمة في الحديث مثاله. (باب الاغتباط في العلم والحكمة وقال عمر تفقهوا قبل أن تسودوا) كما جاء في الحديث المسند عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها (18).

فبين في هذه الترجمة أن المراد بالحسد هو الغبطة لا الحسد وبذلك كانت ترجمته هنا بيانا وتأويلا لمعنى الحديث وقد يترجم بآية ويأتي بعدها بالحديث مثاله من كتاب العلم (باب قول الله تعالى) (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).

وساق السند المتصل عن علقمة عن عبد الله قال ، بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه شيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال ،

يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت فقلت ، إنه يوحى إليه فقمت فلما انجلى عنه فقال ، (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتوا من العلم إلا قليلا) قال الأعمش هكذا في قراءتنا. يريد البخاري أن يقيد أثبات الحكم بالمصدرين الكريمين الكتاب والسنة (19).

إلى غير ذلك من المعاني الدقيقة في تراجم البخاري التي يحفل بها صحيحه والتي خصها ولي الله الدهلوي بكتاب سماه «شرح تراجم أبواب صحيح البخاري».

منهجه في إعادة الحديث واختصاره وتقطيعه

وهذا مظهر آخر من منهجية البخاري وبراعته وعبقريته استعاض به عن هذا العدد العديد من الأحاديث التي ضمها الجامع الصحيح على كثرتها حتى يجمع هذه الثروة الحديثية الشاملة وإلا احتاج إلى مجلدات حتى يوفي أبواب صحيحه وكتبه مراعاة لشروطه في الصحيح والتي ألزم نفسه بها وهو يدون الحديث الصحيح في جامعه متحريا خالصه لذاته وحسب شروطه وفي ذلك يقول الكشميري ،

«ان المصنف لما شدد في شروط الأحاديث قلت ذخيرة الحديث في كتابه ولما أراد أن يتمسك منها على جملة أبواب الفقه اضطر إلى التكرار والتوسع في وجوه الاستدلال وذلك من كمال بداعته ومن لا دراية له بغوامضه ولا ذوق له في علومه يتعجب من صحيحه ولا يدري أن التوسع فيه من أجل تضييقه على نفسه في مادة الأحاديث فيستدل بالإيماءات ويكتفي بالإيماضات» (20) وكان ذلك مصداق ما قيل ،

اعيا فحول العلم حل رموزما   أبداه في الأبواب من أسرار

فإذا صح أن البخاري أعاد الحديث الواحد وكرره في صحيحه أكثر من مرة فإنما يلجأ إلى ذلك لمرامي وأمور تتعلق بالإسناد أو بالمتن أو بهما معا على أن الصحيح في الأمر أنه لا تكرار بل هو أسلوب إتخذه الإمام البخاري لما كان يرومه ويقصده من ترجمة أو معنى أو استدلال إذ ليس هناك حديث ورد في صحيحه أكثر من مرة كما هو دائما وإنما يختلف من حيث راويه أو اختصاره أو الاستدلال به كاملا ولنورد على ذلك أمثلة لتوضيح مقاصده في هذا الباب من ذلك أحاديث يرويها بعض الرواة تامة ويرويها بعضهم مختصرة فيوردها هو كما جاءت تحريا للدقة وإزالة للشبهة عن ناقلها وليصل المنقطع منها على أصله فيقوى بعضها بعضا ويذكر الروايتين مثال ذلك ما أورده في «باب ليبلغ الشاهد الغائب» رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكنه أسنده في كتاب الحج في باب الخطبة أيام منى عن علي بن عبد الله عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال ، «يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام إلى أن قال ،

اللهم هل بلغت هل بلغت» قال ابن عباس فوالذي نفسي بيده انها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي

---

17) شرح الكرماني للبخاري ، كتاب العلم 2 / 47 ـ 49.

18) المصدر السابق 2 / 41 ـ 43.

19) المصدر السابق 2 / 149 ـ 150.

20) فيض الباري ص 4.

كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض (21). ومن ذلك أنه كان يخرج الحديث عن صحابي ويورده عن صحابي آخر وقصده أن يخرج به عن حد التفرد والغرابة وكذلك يفعل في أهل الطبقة التالية للصحابة فمن بعدهم إلى مشايخه كما هو واضح في المتابعات وأورد في هذا الباب حدثنا عبد الله بن يوسف قال حدثني الليث قال حدثني سعيد بن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة أئذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي صلى الله عليه وسلم. الخ الحديث ذكره مطولا ثم ذكر في كتاب الحج باب فضل الحرم بإسناد مغاير ومتن مختصر قال ،

حدثنا علي بن عبد الله حدثنا جرير بن عبد الحميد عن منصور عن مجاهد عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أن هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها (22).

وليس في هذا الحديث الجزء الذي بوب له في الباب السابق ويرمي البخاري من ذلك إلى أن ترك بعض المتن أو السند اختصارا لا يضر اطلاقا وإنما يزيل الشبهة عن الناقل.

ومن ذلك أحاديث تعارض فيها الوصل والإرسال ورجح عنده الوصل وأورد الإرسال للتنبيه على أنه لا تأثير له لأنه عنده في الموصول ومنها أحاديث زاد فيها بعض الرواة رجلا في الإسناد ونقصها بعضهم فيوردها البخاري على الوجهين إذ صح عنده أن الراوي سمعه من شيخ حدثه به عن آخر ثم لقي الآخر فحدثه به فكان يرويه على الوجهين.

وقد يورد البخاري الحديث لتسمية راو أو للتنبيه على زيادة في الرواية فيراعي تقديم الحديث الأول.

ومن أجل ذلك يتضح أن الإمام البخاري لم يكن يورد الحديث الواحد في صحيحه أكثر من مرة إلا لفائدة ولغاية من ترجمته قال ابن حجر «وبهذا يعلم أن البخاري لا يعيد الا هادفا للفائدة حتى لو لم تظهر لاعادته فائدة من جهة الإسناد ولا من جهة المتن لكانت الفائدة لاعادته من أجل مغايرة الحكم الذي تشتمل عليه الترجمة الثانية موجبا أنه لا يعد مكررا بلا فائدة وهي تعدد الطرق فضلا عن إبراز الأحكام المتعددة» (23).

وما ألطف ما قاله في هذا المعنى ابن الديبع ،

قالوا لمسلم فضـــل   قلت البخاري أعلـــى
قالوا المكرر فيــــه   قلت المكرر أحلـــى

لقد كان هدف البخاري دائما استخراج المسائل واستنباط الفوائد والنزول إلى أعماق الحديث والتقاط درره.

فقد روى حديث بريرة عن عائشة أكثر من اثنين وعشرين مرة لاستخراج أحكام وقواعد جديدة منه في كل مرة يرويه وروى حديث جابر أكثر من عشرين مرة قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة فأبطأ بي جملي واعيا... الحديث.

وروى حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعاما من يهودي إلى أجل ورهنه درعا من حديد في أحد عشر موضعا وعقد له أبوابا وتراجم وروى قصة موسى والخضر في أكثر من عشرة مواضع وأخرج حديث كعب بن مالك بن علقمة عن غزوة تبوك في أكثر من عشرة مواضع.

وروى حديث أسماء في كسوف الشمس وخطبته صلى الله عليه وسلم في عشرة مواضع.

ونجد أطول سند فيه سند اسماعيل بن ادريس من باب ياجوج وهو تساعي.

وأعلى سند فيه الثلاثيات وقد بلغت ثلاثة وعشرين على ما ذهب إليه الشبيهي في شرحه للجامع الصحيح (24).

وأكثر سند ذكرا للصحابة سند أبي سليمان في باب رزق الحكام من كتاب الأحكام فإن فيه أربعة من الصحابة السائب ومن ذكر بعده.

وأطول حديث فيه حديث عمرة الحديبية المذكور في كتاب الصلح.

وأكثر أبوابه أحاديث باب ذكر الملائكة.

وأكثر من روى عنه من الصحابة أبو هريرة رضي الله عنه.

أثر منهج البخاري في المنهج العلمي الحديث

لقد استخلصنا وبينا بإيجاز منهج الإمام البخاري في كتابة الحديث وتلقيه وأخذه ونقد الرواة وتمحيص النقل مما جعله ينفرد

---

21) شرح الكرماني للبخاري 8 / 201.

22) شرح الكرماني للبخاري 8 / 107.

23) الإمام البخاري محدثا وفقيها للدكتور الحسيني ص 203.

24) الفجر الساطع على الصحيح الجامع المجلد الأول ص 13 وما بعدها.

بأستاذيته وريادته في هذا الميدان إلى اليوم ومما جعل الذين جاءوا بعده سواء من الشرق أو الغرب يقتبسون من منهجه ويسيرون على هديه ويأتمون برأيه وهذا ما يلاحظه الباحث المتعمق المدقق في سهولة ويسر من مجرد المقارنة البسيطة بين المنهج الأروبي الحديث ومنهج البخاري والمحدثين من بعده كما يلاحظ الفرق الكبير والافضلية المطلقة للمنهج الإسلامي.

لقد بدأت تراود علماء ومفكري أوروبا بعد البخاري ومنهجه بألف عام فكرة تحديد منهج تاريخي حديث وأحيطت الفكرة بهالة من التقدير والإكبار وتلقاها المحدثون بمزيد من الإفتتان وأخذوا الأمر على أنه حدث جديد وكأنه من صنع أيديهم وعبقرية مفكريهم وما دروا أن الأمر بأكمله مستمد ومقتبس من منهج البخاري والعلماء.

لقد قام المنهج الحديث على نوعين من التحليل، خارجي وداخلي والتحليل الخارجي يتكون من مرحلتين رئيسيتين هما نقد الوثائق.

والتحقق من شخصية صاحب الوثيقة.

أما التحليل الداخلي فيقوم على نوعين، إيجابي وسلبي أي تحليل داخلي إيجابي. وتحليل داخلي سلبي.

ولكن إذا نظرنا إلى هذا المنهج الحديث ودرسنا تفصيلاته بتدقيق فإننا نجده لا يعدو منهج المحدثين وفي مقدمتهم البخاري كما نجده لا يبلغ ما وصله منهج المحدثين عرضا وموضوعا.

اما عرضا وبالنسبة للرواة وهو ما سمي حديثا بالتحليل الداخلي.

فقد أوجزه علماء الحديث في كلمات يسيرة شاملة حيث اشترطوا في الراوي أن يكون،

مسلما. ثقة. عدلا. ضابطا. غير متبع لبدعة يدعو إليها واما موضوعا فهذه الكلمات الموجزة تشتمل على ما قيل في الرواة وتفوقها باشتراط الإسلام الذي هو أصل في المقاييس كما يضفي عليها الثقة.

وكذلك بالنسبة لطرق التلقي فأين ما شرطه أصحاب المنهج الحديث في توثيق الوثائق من الإعتماد على الحفريات والأوراق المتناثرة التي لا يعترف بها المحدثون وقد تكون قديمة من عهد سحيق فأين هذا من صيغ الأداء كالسماع والعرض والمناولة.

كما تزداد دهشة الباحث المحقق حين يقول أصحاب المنهج الأروبي الحديث لا بد من الشك حتى يتحقق الباحث من صدق جميع تفاصيل الوثيقة أو كذبها وهذا يحتاج إلى تحليل الأصول التاريخية.

ثم بعد ذلك يكون الإستدراك الذي يخفف من شأن المسألة وهو قولهم أن العادة والدربة تخففان من مشقة الحل ويكسبان المؤرخ نوعا من الحدس الذي يعينه على إصابة مواطن الريبة دون عناء وهنا نرجع إلى منهج البخاري لنلاحظ قوله في هذا الباب وهو أسبق وأدق بقول، «كتبت عن ألف ثقة من العلماء وزيادة وليس عندي حديث لا أذكر إسناده (25) وأين ذلك من منهج البخاري في كتابة الحديث إذ يقول، «لم تكن كتابتي كما كتب هؤلاء كنت إذا كتبت عن رجل سألته عن اسمه وكنيته ونسبه وحمل الحديث إن كان رجلا فهما فإن لم يكن سألته أن يخرج إلى أصله ونسخته أما الآخرون فلا يبالون بما يكتبون وكيف يكتبون».

ومن أجل ذلك كان البخاري يختلف مع المنهج الحديث في تحكيم حدسه إذ لم يكن يرضى هذا المنهج أساسا للبحث العلمي.

أما التركيب التاريخي بمعنى أن يبيح المؤرخ لنفسه استعمال خياله لسد فجوات التاريخ شريطة أن يكون مقيدا بنتائج التحليل فذلك ما لم يرضه المحدثون لأنفسهم ولا يوافقون على الحرية التي يعطيها الباحثون لأنفسهم في تطبيق منهجهم بينهم وبين أنفسهم مستخرجين معلوماتهم التاريخية وما عليهم إلا أنه يخبروك بمنهجهم لاتباعه وتطبيقه دون أن يلزم الباحث نفسه بتوقيفك على خطوات بحثه ومنهجه.

فالمحدث يعرض عليك المتن بروايته حتى تستوثق به أو تبحث عنه فتراه موصولا في مكان أو تجده عند ثقات آخرين فضلا عن قرب زمن التدوين من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى البخاري ومن بعده مع مراعاة أهمية الحديث.

وقد أسه في الدين والدنيا ومقاييسهم مما بهر العلماء المحدثين وفي مقدمتهم مرغليوث الذي قال في وضوح، ليفتخر المسلمون ما شاؤوا بعلم حديثهم» وهكذا لم يسلم المنهج الأروبي الحديث من الخلط في الدراسة والتحقيق بين التاريخ وبين فن القصص فقد كانوا يجمعون الوثائق والروايات كيفما اتفق (26) مما يحتفظ لمنهج الإمام البخاري والمحدثين بالإصالة والدقة والتمحيص

(25) تاريخ بغداد 2 / 19 . مقدمة شرح البخاري للنووي 1 / 6.

(26) المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور محمود قاسم ص 368.

في النقل نجد ذلك مفصلا عند ابن خلدون الذي حدد قواعد البحث التاريخي والدراسات التاريخية وقواعدها بما يفوق ماهو عند أصحاب المنهج الحديث بكثير رغم فارق الزمان واتساع الدراسات التاريخية وتطور فن التحقيق.

وقد شهد المنصفون من علماء أوربا ومفكريها بفضل المسلمين في مجال العلم والفكر والبحث وتأثيرهم الأساسي فيما توصل إليه المعاصرون من علماء أوربا ومفكريها معترفين بفضل علماء الإسلام ومفكريه يقول بريفول «أنه ليست هناك وجهة نظر من وجهات العلم الأوروبي لم يكن للثقافة الإسلامية تأثير أساسي عليها ولكن أهم أثر للثقافة الإسلامية في العلم الأوروبي هو تأثيرها في العلم الطبيعي والروح العلمي وهما القوتان المميزتان للعلم الحديث والمصدران الساميان لازدهاره» (27) ثم يزيد موضحا قوله :

«ان ما يدين علمنا لعلم العرب ليس هو ما قدموه لنا من اكتشافهم لنظريات مبتكرة غير ساكنة أن العلم يدين للثقافة العربية بأكثر من هذا أنه يدين لها بوجوده وقد كان العلم كما رأينا ـ عالم ما قبل العلم ـ ان علم النجوم ورياضيات اليونان كانت عناصر أجنبية لم تجد لها مكانا ملائما في الثقافة اليونانية فقد نوع اليونانيون المذاهب وعمموا الأحكام ولكن طرق البحث وجمع المعرفة الوصفية وتركيزها ومناهج العلم الدقيقة والملاحظة المفصلة العميقة والبحث التجريبي كانت كلها غريبة عن المزاج اليوناني أن ما ندعوه بالعلم ظهر في أوربا كنتيجة لروح جديد في البحث ولطرق جديدة في الإستقصاء طريق التجربة والملاحظة والقياس وهذه الروح وتلك المناهج أدخلها العرب إلى العالم الأوروبي» (28). ثم يختم بريفول قائلا :

لم يكن روجر بيكون في الحقيقة إلا واحدا من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوربا المسيحية ولم يكف عن القول بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحق لمعاصريه وإن مصدر الحضارة الأوروبية الحق هو منهج العرب التجريبي في عصر بيكون فقد تعلمه الناس في أوربا تحدوهم إليه رغبة ملحة (29).

ان المنهج الإسلامي العلمي أغنى وأقوى مما دونه المؤرخون واعترف به الباحثون وما زال بكرا يحتاج إلى مزيد من البحث والإستقصاء والتعمق في الدراسة والتحقيق ومن أجل ذلك خص هذا الكتاب صحيح البخاري بإجماع العلماء على أنه قد بلغ أقصى درجات الصحة والدقة والتحري في جمع الحديث الصحيح الثابت والإحتياط الذي يبلغ إليه اجتهاد المجتهد دائما عن النقلة والرواة وأن البخاري راعى فيه أدق الشروط التي عرفت في هذا المجال والتزم فيه التزامات لم تعرف عن أي مؤلف في هذا الموضوع كما أكد ذلك العلامة أبو الحسن الندوي (30) وحتى كان المقدسي يصف الرجل الذي يخرج عنه البخاري بقوله : هذا جاز القنطرة».

ولذلك لم يكن بدعا أن تتفق الأمة جمعاء بعلمائها وأفرادها على صحة هذا الكتاب ومنهجيته وفضله على سائر كتب الحديث على الإطلاق وبقائه واستمراره.

وقد وفقني الله للبحث في هذا المجال والتخصص في هذا الميدان فأقبلت على هذا التراث العظيم ووقفت حياتي وجهدي على التفقه فيه ودراسته فأرخت لمدرسة الإمام البخاري في المغرب ووضعت حولها أطروحتي في الدكتوراه التي تشرفت بالفوز بها.

لقد كان شأن الجامع الصحيح عظيما في المغرب فقد تعلق به المغاربة وأحبوه واهتموا به وأقبلوا عليه منذ وصوله إليهم فعنوا به أعظم عناية وأحلوه بعد كتاب الله المقام السامي والمكان العالي وقد شملت عنايتهم به واهتمامهم مظاهر حياتهم السياسية والفكرية والإجتماعية في سائر المجالات فقد حفظوه ودرسوه وكتبوا حوله الشروح والتعاليق واختصروه وبحثوا في مشكلاته وألفاظه ووضعوا له التكملات وبحثوا تراجمه وعرفوا برجاله وإسناده وانشأوا حوله الإفتتاحيات والختمات ونظموا القصائد والأشعار حول ترجمة صاحبه وفضائله ومزايا صحيحه وكتبه إلى غير ذلك من مئات الكتب والمؤلفات التي وضعها المغاربة حول كتاب الجامع الصحيح وبذلك وحده تدحض دعاوى باطلة وأقاويل ملفقة تزعم للناس أن المغاربة تركوا الأصول وتعلقوا بالفروع فلو نشر ما كتب المغاربة حول صحيح البخاري وحده لتأكد الناس أن المغاربة كانوا دوما في المقدمة في هذا الميدان والسابقين في هذا المجال وأن ما كتبوه وألفوه حول الجامع الصحيح قد يفوق بكثير ما وضعه غيرهم.

---

27) ابداع الانسانية لبريفول.

28) المصدر السابق ص 196.

29) المصدر السابق ص 292 مناهج 276 و 277.

30) الجامع الصحيح للامام البخاري لابي الحسن الندوي مجلة منار الاسلام ص 8 ع 10 س 3 1398 / 1978.

وجدير بالذكر أن من بين الوثائق التي عثرنا عليها وثائق لم تنشر من قبل ووثائق أخرى غير معروفة وهذا ما أهلنا أن نقدم ولأول مرة ـ على حد علمنا ـ أول شروح البخاري على الإطلاق وهو كتاب «إعلام السنن» لأبي سليمان أحمد الخطابي البستي المتوفي سنة 388 هجرية وهو خير ما نعتز به ونحن نستقبل قرنا جديدا من مسيرة ديننا الخالد وقد لا حظنا أن ثاني شروح البخاري كتبه المغاربة ممثلين في أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي المتوفي سنة 402 هجرية ولكن البحث والتنقيب قد طال بنا دون أن نعثر على هذا الشرح ونأمل في مستقبل الأيام بفضل الجهود المكثفة أن نوفق للعثور عليه وتحقيقه ونشره.

كما استطعنا أن نعثر أيضا عند علمائنا بالصحراء المسترجعة على تراث حديثي عظيم وخاصة حول هذا الكتاب فقد وجدنا أعظم شروح البخاري في هذا العصر وهو كتاب «النهر الجاري في صحيح البخاري» للشيخ محمد سالم المجلسي المتوفي في مطلع هذا القرن سنة 1302 وهو في سبعة أسفار ضخام وقد عرفنا به وبصاحبه وسلطنا عليه بعض الأضواء عساها تبلغ المسؤولين عن الثقافة والفكر في بلادنا فيمدوا إليه يد العناية والرعاية ليخرج من الظلمات إلى النور.

وكذلك عثرنا فيما عثرنا عليه من النفائس المغربية كتاب «الفجر الساطع على الصحيح الجامع» في ست مجلدات للشيخ المحدث خطيب الحرم الإدريسي بزرهون ومفتيها أبي عبد الله محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي المتوفي سنة 1318 هـ وهو من أنفس ما كتبه المتأخرون من المالكية على الصحيح مطلقا وقد قادنا البحث والتنقيب للعثور على الكثير من التراث العلمي المغربي في الحديث وحول البخاري بعضه مما ينفرد به المغاربة ويمتازون كافتتاحيات البخاري وبعضه شاركوا فيه غيرهم ونبغوا فيه كالختمات وأدبها إلى غير ذلك من الأسانيد العالية والإجازات السامية التي تنشر لأول مرة في أطروحتنا من موضوعات ووثائق وتراث.

لقد استهدفت هذه الدراسة العلمية تقديم موسوعة حديثية تشتمل على تبويب واستيعاب جل ما كتبه المغاربة حول الصحيح وما أبدعوا من تراث قل نظيره عند غيرهم مما يقارب المائتي مؤلف كانت في أغلبها مغمورة إن لم تكن غير معروفة في بطون المكتبات وثنايا المجامع والمخطوطات.

إن خير ما نعتز به في دراستنا حول مدرسة الإمام البخاري ومنهجه الحديثي هي أنها جاءت كاسهام في الفكر الحديثي الإسلامي في المغرب تدعمه وتزكيه في نهاية قرن هجري وبداية آخر لتؤكد استمرارية العطاء الإسلامي وخاصة في مغربنا العزيز راجين أن يساعد مجهودنا على تطور الدراسات الحديثية وتركيزها ويدفع الدارسين والباحثين للعمل على احيائها وبعثها والعناية بها إلى المزيد من العطاء العظيم الذي أبدعته أجيالنا الماضية من هذا التراث المغربي الذي يحملنا على الاعتزاز به.

شيخ المغرب العربي:

الفاضل بن عاشور مؤرخ التشريع الإسلامي

للدكتور محمد أبو الأجفان
(تونس)

في هذه الذكرى العاشرة التي نقيمها للعلامة مفخرة الإسلام الشيخ محمد الفاضل بن عاشور يشرفني أن أؤدي بعض الحق المناط بذمتي نحو الشيخ الذي تدين له أجيال وتعترف له بالفضل، ولا تنسى له كليتنا الزيتونية أياديه البيضاء.

وموضوع كلمتي أوحته إحدى مواد منهاج الدراسة بالكلية الزيتونية، وهي مادة كان الشيخ الفاضل فارس ميدانها، يتجول بنا عبر محاضراتها في آفاق رحبة من المعرفة العميقة المفيدة ويأخذ بأيدينا في دروب بحثها، إنها مادة تاريخ التشريع الإسلامي، التي كان لأسلوب الشيخ في تدريسها أثر يحببها إلى نفسي... وبعد أن قرأت له ماكتب في هذا الموضوع وسمعت بعض أحاديثه الإذاعية فيه، وقارنت بمؤلفات غيره في تاريخ التشريع، تكاملت عندي صورة عن منهجه في هذا التأريخ واتجاهه في تخطيط مراحله، وابتكاره في تنظيم معلوماته، وهدفه من تدريسه، وأرجو أن يحالفني التوفيق في التعبير عن هذه الصورة وإبرازها، وإذا تحقق لي ذلك فإني أكون قد ساهمت في استجلاء جانب من جوانب النبوغ المتعددة لدى شيخنا، ذلكم النبوغ الذي بهر أجيالا من تلاميذه وقرائه ومستمعيه في مختلف المجالات التي تناولها بعض أساتذتي وإخواني في هذه المناسبة التي ستعرف بملامح شخصية الفاضل، وتشعر شبابنا وتحسسه بعطاء تونسي للثقافة الإسلامية المعاصرة، يبعث الفخر ويثير الاعتزاز.

وستكون كلمتي متناولة للعناصر التالية :

- نشأة علم تاريخ التشريع الإسلامي
- منهج الشيخ الفاضل بن عاشور في تأريخه للتشريع.
- موارده في إثراء هذا العلم.
- مميزات النظرة العاشورية إلى تاريخ التشريع.
- خاتمة.

نشأة علم تاريخ التشريع الإسلامي :

من مواد الدراسات الإسلامية مادة علم تاريخ التشريع الإسلامي، وهي إحدى المواد الخادمة لثقافتنا الإسلامية المعرفة بجوهرها، ولكنها حديثة العهد بالنسبة إلى المواد الأخرى التي كانت قديمة النشأة وبحثت وأثريت عبر العصور، وكانت من مظاهر ازدهار الحضارة الإسلامية مثل التفسير والحديث والعقيدة والكلام والفقه وأصوله. ففي القرن الماضي الميلادي لم يكن من عناصر المعرفة الإسلامية علم قائم الذات مستقل عن غيره حامل لاسم تاريخ التشريع.

وإزاء الحرص الشديد من قبل رجال الإصلاح في العالم الإسلامي على الأخذ بأسباب النهضة، وتقليد الغرب في بعض مظاهر تقدمه، وخاصة في المجال العلمي وفي تنظيم الدراسات العليا، ظهرت فكرة مضاهاة مادة تاريخ الحقوق التي تدرس في كليات الحقوق بالبلدان الأوربية، وذلك بإيجاد مادة تاريخ التشريع الإسلامي، لكن بإقامتها على أساس إسلامي ولما أنشئت في أوائل هذا القرن مدرسة الحقوق بمصر كانت هذه المادة الجديدة ضمن مناهج التدريس بها. وتأثر الشيخ محمد الخضري بطريقة البحث الغربية، واندفع يجمع المعلومات المرتبطة بهذا العلم الناشىء، وألف في ذلك كتابه الشهير الموسوم بتاريخ

التشريع الإسلامي، وهو أول من أطلق هذا الاسم على هذا المولود الذي كان من نتائج الاقتباس عن الغرب ومحاكاة أسباب نهضته كما أفادنا المرحوم شيخنا الفاضل (1).

وكان استمداد مسائل هذا العلم من فنون موجودة من قبل معهودة لدى الدارسين ومن مواد قديمة هي من عناصر ثقافتنا الإسلامية الواسعة الثرية، وتتمثل خاصة في أصول الفقه بكتبه المختلفة، وفي الفقه الإسلامي بمدوناته العديدة، وفي كتب الحديث الشريف والسنة النبوية، وفي كتب التراجم والطبقات التي عرفت بمن خدموا الثقافة وساهموا في إثراء التشريع الإسلامي وفي كتب التاريخ العام عبر العصور الإسلامية وهي الكتب التي تغطي أنحاء العالم الإسلامي ومراكزه العلمية الكثيرة.

وبهذه المصادر كان علم تاريخ التشريع الإسلامي متميزا عن تاريخ الحقوق في منهجه ومادته، رغم قيامه على روح محاكاته، فهناك معطيات تجعل للتشريع الإسلامي خصائصه وعوامل تكيف أطواره، وهناك تنظيم لمسائل هذا العلم الجديد تقتضيه أحداث التاريخ وأطوار الاجتهاد في مختلف العصور.

ولئن شارك شيخنا الفاضل بن عاشور في إقامة صرح هذا العلم وإثراء مسائله بالاستمداد من المصادر المذكورة، فإن ثقافته المتسعة واطلاعه العميق هيأ له أن يضيف مصادر أخرى، وأن يكون له نظرة أسمى وتحليل أدق واستقصاء أشمل واجتهاد شخصي في تفسير مواقف الفقهاء، واستنتاج أهم، يعتمد أدلة مقبولة ويجعل النفوس تقتنع والعقول تفهم وتستسيغ. وهذا ماسنراه في العناصر الموالية.

منهج الشيخ الفاضل بن عاشور في تأريخه للتشريع :

لقد كتب في علم تاريخ التشريع الإسلامي بعد نشأته كثيرون، وكان هناك من أفرده بالتأليف في كتاب مستقل مثل الشيخ الخضري المذكور (2)، والأستاذ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي صاحب (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي) (3) والدكتور محمد يوسف موسى الذي ألقى محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي بمعهد الدراسات العربية العالية، ونشرت في أجزاء والأستاذمناع القطان مدير المعهد العالي للقضاء بالرياض صاحب كتاب (التشريع والفقه في الإسلام تاريخا ومنهجا) والدكتور محمد فاروق النبهان مؤلف المدخل للتشريع الإسلامي.

وبالإضافة إلى هؤلاء تناول كثيرون جوانب من هذا العلم، وبعض أطوار من تاريخ التشريع الإسلامي في بحوث خاصة أو في فصول من مؤلفاتهم أو في مقدمات كتب حققوها مثل الدكتور أحمد أمين في موسوعته، وفضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر في تقديمه لتحقيق ماوجد من موطإ علي بن زياد، والمحامي صبحي محمصاني في كتابيه مقدمة في إحياء علوم الشريعة وفلسفة التشريع في الإسلام، والدكاترة أحمد الكبيسي ومحمد السامرائي ومصطفى الزلمي في كتابهم المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية.

وكانت الفكرة السائدة لدى أغلب الذين استعرضوا أطوار التشريع الإسلامي أنه مر من الطفولة إلى الشباب والازدهار ثم إلى الانحدار والشيخوخة والضعف مع الاغراق في عزو ذلك إلى الأسباب التي حتمته وأبعدت سلطانه عن حياة المسلمين، ثم يعلق البعض آمالا على الحركات الإصلاحية ودورها في تجديده وفتح باب الاجتهاد للنهوض به وإعادة مكانته في المجتمع الإسلامي.

أما الشيخ الفاضل فله منهج في تاريخ التشريع الإسلامي نابع من روحه وعقله المستوعب لأطوار تاريخ حضارتنا، وقد سلك هذا المنهج - بعد تخطيط محكم - في محاضراته بمدرسة الحقوق العليا وبشعبة الشريعة في الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين وفي محاضراته المغربية وفيما نشره بالمجلات الإسلامية مثل (مجلة المسلمون) و (جوهر الإسلام) وفي أحاديثه التي بثت على موجات الأثير من الإذاعة التونسية.

ويمكنني إعطاء الملامح العامة لهذا المنهج وتقديم بعض عناصره فيما يلي :

- مدخل للتمهيد.
- استعراض أطوار الاجتهاد الفقهي.
- دعوة الإصلاح وتجديد الأوضاع.

ففي المدخل يمهد به الشيخ لهذا العلم ويضع به طلبته وقراء بحوثه في إطاره يعرف بالمدلول الخاص للتشريع الإسلامي المستمد من الخصوصيات المنهجية والأساسية التي يختلف بها الإسلام عن غيره من الأديان، ويباين بها تشريعه غيره من

---

1) المحاضرة الأولى من محاضراته في تاريخ التشريع بشعبة الشريعة (السنة الثالثة) بالكلية الزيتونية سنة 1963.
2) طبع كتابه أكثر من مرة، ومن ذلك طبعة دار الفكر ببيروت سنة 1967، وهي الثامنة.
3) صدرت طبعته الأولى في أربعة أجزاء بتونس (مطبعة النهضة) بدون تاريخ ثم أعيد طبعه أخيرا.

القوانين. ويعرف بالفقه الإسلامي وشمول تعلقه. فيقول : (الفقه الإسلامي كما يتعلق تعلق القانون بالصلات التي بين الإنسان فإنه يتعلق بما للإنسان من صلات بينه وبين نفسه، وما للإنسان من صلات بينه وبين العناصر العالمية غير الإنسانية. ثم ما بين الإنسان من صلات بينه وبين خالقه.

ومن هنا كان الفقه الإسلامي أو التشريع الإسلامي مرتكزا على العقيدة ومبتدئا منها لأن نظرياته العامة لا يمكن أن تتصور ولا أن تتقرر إلا مبنية على ما أرادت العقيدة أن تقرره للإنسان، وأن تطالبه بالاقتناع به من معرفة الإنسان لحقيقة نفسه.

فالأديان إنما جاءت ليعرف الإنسان حقيقة وجوده. والدين الإسلامي إنما جاء ليكشف الغموض الذي بقي من الأديان الماضية، أو الذي علق بالأديان الماضية مما يرجع إلى تصور الإنسان ولحقيقة معنى الإنسانية (4).

ويوغل الشيخ بعد ذلك في بيان الفوارق القائمة بين الشريعة الإسلامية الإلهية وبين القوانين الوضعية البشرية، رابطا هذه الشريعة بالهيكل الكبير، هيكل الثقافة الإسلامية التي أقيمت على الدعوة المحمدية، موضحا أن أحكامها أثريت بحركة الاجتهاد الديني التي أعطى الإسلام انطلاقتها في نطاق تحريره للعقل وتكريمه له وإنارة سبيله بالوحي الإلهي النازل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا يبدأ استعراض الشيخ لأطوار الحركة الاجتهادية التي تنشأ على يد الرسول نفسه عليه الصلاة والسلام، ثم يتحمل عبأها القراء من أصحابه وهم على مراتب من حيث قلة الفتاوى وكثرتها كما أوضح السيوطي وتبعه شيخنا الفاضل. ثم ينتقل العبء إلى جيل التابعين الذين يفيض في الحديث عن أثرهم وانتشارهم في الأمصار وتكوينهم للمدارس الاجتهادية (5) التي تدخل بالاجتهاد عهودا يرتبها الشيخ على النحو التالي :

دور التأصيل وفيه عرفت المذاهب التشريعية استقرارها وتميزت مصادرها وقواعدها وبرزت مدارسها، وذلك في القرنين الثاني والثالث، واجتهاد أيمة المذاهب يعرف بالاجتهاد المطلق، وهو لا يتقيد بأصول إمام آخر.

- دور التفريع، وفيه عرفت المذاهب فقهاء مجتهدين يلتزمون أصول مؤسس المذهب ويفرعون الكثير من الأحكام باجتهادهم الذي يؤدي بهم في كثير من المسائل إلى مخالفة الإمام المؤسس، ويعرف اجتهادهم بالمقيد.

- دور التطبيق من منتصف القرن الرابع إلى أواخر الخامس، وأكثر عمل المجتهدين فيه منصب على : إحصاء الأقوال وتدقيق مجال اتفاقها واختلافها والتخريج عليها فيما لم تشمله من المسائل، والتمحيص والترتيب والتهذيب للفروع الفقهية الموروثة عن الدورين السالفين.

- دور التنقيح الذي ملأ رجاله القرنين السادس والسابع، وكانوا (لا يحدثون في الفقه قولا جديدا ولو تخريجا، ولكنهم يعللون ويحتجون ويناقشون وينصرون قولا على آخر لقوة سنده أو قوة دليله أو ملاءمته لأحوال الناس في ذلك العصر... وقد أدى هذا الاختيار إلى نهاية ضيق المذاهب لأن ما كان فيها من سعة بالخلاف الداخلي قد آل إلى اختصار واقتصار فألغيت الأقوال غير المرجحة ووضعت الكتب المختصرة على قاعدة الإكثار من المسائل والاقتصاد في الألفاظ والأعراض عن الأدلة والاكتفاء في كل مسألة بقول واحد هو الذي أخذ به رجال التنقيح) (6).

ويلاحظ شيخنا الفاضل أن الاجتهاد في هذه الأدوار الثلاثة كان يضيق شيئا فشيئا وأن من الفقهاء من كان لا يساير اتجاهه نحو الضيق ويندد بالتعصب والتقليد مثل القاضي أبي بكر بن العربي الأندلسي المتوفى سنة 543 ومنهم من لا يقتصر على عرض أحكام مذهبه مثل ابن رشد الحفيد المتوفى في سنة 595 هـ في كتابه «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» ومثل الشيخين عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة 660 وتقي الدين بن دقيق العيد المتوفى سنة 702 هـ اللذين أظهرا نزعة. إلى الاجتهاد في علمهما وكتابتهما (7).

- دور التقنين الذي يزداد الاجتهاد فيه ضيقا وتتواصل فيه حركة الاقتصار والاختصار وشرح المختصرات والمتون والتعليق

---

4) المحاضرات المغربيات ص 51 طبعة الدار التونسية للنشر.

5) الاجتهاد : ماضيه وحاضره (2) مجلة المسلمون عدد مزدوج 9 و 10 صدر سنة 1964 - ص 907 المجلد الثامن.

6 و 7) نفس البحث ص 911.

عليها، مع ظهور التفقه والتوسع في الترجيح عل يد ابن عرفة وتلاميذه والعناية بفقه القضاء وبما جرى به العمل في مختلف المراكز ومع ظهور الدعوة السلفية المقاومة للبدع، المنكرة على التقليد، على يد تقي الدين ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، ومع ظهور فئة من الفقهاء تهتم بالقواعد الكلية في الفقه مثل ابن نجيم الحنفي وابن رجب الحنبلي والقرافي المالكي والإمام السيوطي، ومع ظهور طائفة من كتب التوثيق ومن كتب النوازل كالمعيار للونشريسي ومن الرسائل التي تتناول مواضيع فقهية مخصوصة. ويتوج ذلك كله في هذا الدور ظهور مجلات قانونية تضع أحكام فقه المعاملات في فصول تسهيلا لقضاة المحاكم وإلزاما بالسير عليها.

- وتختم هذه الأدوار بالحديث عن الدعوة الإصلاحية الأفغانية وما أعلنه زعماؤها ونادوا به من تجديد لأوضاع المسلمين وإحياء للحقائق الايمانية في النفوس حتى تعود ثقتها بالتشريع الذي يعدد الشيخ العوامل السياسية والاجتماعية والنفسية التي أقصته عن حياة الناس ونظام تعاملهم ومحاكم القضاء ومجال العقوبات والحدود ومع بوادر اليقظة الإسلامية طرحت على بساط البحث قضايا متعلقة بالتشريع الإسلامي بهدف إعادة سلطانه إلى واقع المجتمعات الإسلامية. ويرجع شيخنا هذه القضايا إلى هذه العناصر:

(1 - أمورفينا نريد أن نتحلل منها.

2 - أمور بعدت عنا نريد أن نردها إلى واقعنا.

3 - أمور مرتبكة نريد أن نقدم عليها بوجه) (8).

وكل هذه الأمور يقبل عليها الشيخ بالتحليل والبيان ويرجع إليها مشاكلنا المعاصرة في حياتنا داخل الأسرة، وفي النطاق الاجتماعي، وفي الميدان الاقتصادي والتعامل الجاري بين الناس، وفي تنظيم الحكم ليسير وفق المنهج الإسلامي.

هذا وإن تناول شيخنا الفاضل لأدوار تاريخ التشريع السالفة كان يتم بتحليل شاف للغليل وبتوسع واستقصاء: فهو - مثلا - عندما يتحدث عن اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم، يعرض آراء الأصوليين في ذلك ويرجح منها ما يراه قوي الحجة ويضرب الأمثلة العديدة لاجتهاده، وعندما يتحدث عن اجتهاد صغار الصحابة والتابعين يستطرد إلى بيان الظروف التي اكتنفت حياتهم وأدوارهم في الأمصار التي توزعوا عليها، وعندما يتحدث عن رجال المذاهب يعدد المشاهير منهم في كل مذهب وفي كل قطر عاشوا فيه، وعن مؤلفاتهم التي يحللها ويعدد خصائصها ويذكر هل هي موجودة أو مفقودة وهل هي مطبوعة أو مخطوطة مع الإشارة إلى مواطن وجودها في المكتبات العامة والخاصة أحيانا. وكثيرا ما يربط بالعوامل التاريخية والاجتماعية والسياسية التي كان لها أثر في سير الاجتهاد.

وعلى سبيل المثال أسوق هذه الفقرة التي يعلل فيها الشيخ الفاضل تزايد ضيق الاجتهاد بعد القرن الخامس ويرجعه إلى أسبابه المختلفة. فيقول:

(أصبحت كثرة الأقوال الفقهية في نظر الفقهاء في أوائل القرن السادس موفية بالحاجة وزيادة وهذا أمر يرجع إلى أن ظروف الحياة في القرون التي مرت من لدن العصر النبوي إلى نهاية القرن الخامس قد كانت ظروفا متقاربة في جملتها أو متشابهة من حيث أوضاع الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وأن الاضطراب الاجتماعي الذي بدأ يظهر من أواخر القرن الخامس واستفحل أمره في القرن السادس واتصلت به مصائب الحروب الصليبية، إنما كان حافزا على أن يحتاط الناس وأن لا يتركوا في الفقه مجالا واسعا يمكن أن تستند إليه النفوس الضعيفة والأوضاع السياسية المختلفة والأوضاع الاجتماعية المنحرفة المهلهلة وأن المذاهب قد يكون فيها معنى من التعصب الالتزامي بحيث أن كل إنسان التزم مذهبا من المذاهب. فأصبح النظر في الفقه يكاد يكون غير ذي جدوى لأن المقلد مادام ملتزما مذهبا معينا فإن حاجته إلى النظر وإلى الترجيح قد أصبحت حاجة ضعيفة أو ضئيلة أو غير مجدية) (9).

وهكذا يفيض الشيخ في تحليل الأوضاع السياسية والاجتماعية، والتيارات الفكرية في كل بيئة، ويتابع أطوار كل مذهب متابعة الملم بالإنتاج الفقهي الدارس لتراجم الفقهاء.

موارد الشيخ الفاضل في إثراء علم تاريخ التشريع.

إن تتبع الشيخ لمراحل حياة الحركة الفقهية على النحو المذكور ليدل صادق الدلالة على سعة الاطلاع وبراعة التنظيم للمسائل. وينبىء أن استمداده - رحمه الله - كان من علوم تبحر فيها واستوعبها، وأجاد التصرف فيها إلى أبعد حد وأثرى بها هذا العلم لم يمض طويل عهد على نشأته.

وهذه العلوم التي مثلت مصادر الشيخ في تأريخه للتشريع الإسلامي والتي نلمس أثرها في محاضراته، منها ما يلاحظ أنه

---

8) ومضات فكر ص 153 - طبعة الدار العربية للكتاب سنة 1981.

9) نفس الكتاب ص 144 - 145.

أساسي باعتبار توالي استعماله، ومنها ما يلاحظ أنه ثانوي باعتبار أن الاستقاء منه يكون في مناسبات عابرة لتطعيم المحاضرات أو المقالات وإغنائها بالطريق المجدي، وتنويع معلوماتها وتزكيتها بالمشوق من ضروب المعرفة والإفادة.

ففي النوع الأول نجد المصادر التاريخية وكتب الطبقات والتراجم بأنواعها ونجد الأمهات الفقهية وكتب أصول الفقه والجدل التي تستمد المعلومات منها ابتداء من المحاضرات التمهيدية فنعرف منها حقائق عن الاجتهاد والتقليد وأسباب اختلاف الفقهاء والحكم الشرعي والصحة والبطلان والحسن والقبح الشرعيين وغيرها من المصطلحات الفنية التي هي مفاتيح هذا العلم.

وفي النوع الثاني نجد طائفة متنوعة من كتب تمت إلى فنون مختلفة ولا أستطيع ادعاء حصرها لأن للشيخ جولات كثيرة في ارجاء المعارف الإسلامية، يساعده على النجاح في خوضها حسن تصرفه وسعة اطلاعه، فهو يزود مادة تاريخ التشريع الإسلامي بلمحات من علم الكلام والعقيدة والفرق الإسلامية ومن تاريخ القوانين الوضعية ومن الفلسفة التي قامت عليها اتجاهات القوانين المعاصرة ومذاهبها المنتشرة. ومن علم التفسير وتاريخ رجاله ومن السيرة النبوية المطهرة، ومن مختلف علوم الحديث رواية ودراية، ومن كتب البيليوغرافيا قديمها وحديثها مثل مفتاح السعادة وكشف الظنون ومما أعد من فهارس خزائن المخطوطات في أنحاء العالم ولعل لعلم مقاصد الشريعة نصيبه الأوفر في دعم تاريخ التشريع لدى الشيخ الفاضل الذي ألحقه بسلسلة الأعلام الذين كانت لهم أياد بيضاء في إبراز المقاصد الشرعية وإظهار الحكم والأسرار لأحكام ديننا الحنيف، وهم أقلية بالنسبة لعدد الفقهاء الذين أنجبتهم المدارس الاجتهادية والمذاهب الفقهية، وأذكر من أعلام هذه السلسلة عز الدين بن عبد السلام وشهاب الدين القرافي وابن قيم الجوزية وأبا إسحاق والشاطبي، وعلال الفاسي، والعلامة محمد الطاهر بن عاشور، والد شيخنا الفاضل مؤرخ التشريع الإسلامي.

ولكي أخرج بحضراتكم عن خط العرض الخاطف الموجز يحسن بي أن أختار لكم مثالا حيا من نجاح الشيخ في الربط المحكم بين تاريخ المذاهب السنية وغيرها وبين التيار العقدي الذي تنوعت اتجاهاته وامتدت خيوطه إلى نسيج المذاهب الفقهية، فاهتم شيخنا بذلك ولم يقصر نظره على الناحية التشريعية ولم يفصل تاريخ التشريع عن تاريخ الفرق الإسلامية، لتكون الصورة أكمل وأوضح.

يقول شيخنا رحمه الله :

(كان أيمة المذاهب الأربعة سنيين، وكانوا بذلك مجافين لمذهب الاعتزال منكرين عليه، واستمر أتباع المذاهب وأيمة المذاهب الذين نشأوا متأخرين في القرن الثالث مثل الإمام أحمد بن حنبل، استمروا على الموقف السني الذي هو موقف أهل الحديث في مقابلة النزعة الكلامية المخالفة لطريقة السنة أو طريقة الحديث، وهي النزعة الاعتزالية، فكان كل من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة... على موقف واحد من مقاومة المعتزلة ومجافاتهم والازورار عنهم) (10).

ويقول : (... ثم جاء المذهب الحنفي فظهر مابين أتباعه وبين أتباع المذهبين المالكي والشافعي من التقارب في الموقف الكلامي ماكان ناشئا من ظهور الإمام أبي منصور الماتريدي مقارنا ظهوره تقريبا لظهور الإمام أبي الحسن الأشعري، وعلى طريقة من التأويل تشبه طريقة الأشعري، وعلى غاية من الحفاظ على أقوال أهل السنة وأهل الحديث تشبه غاية الأشعري... كان من نتيجة ذلك أن تقارب الحنفية مع المالكية والشافعية فأصبحت المذاهب الثلاثة : الحنفية بكونهم أتباعا للماتريدي، والمالكية والشافعية باعتبار كونهم أتباعا للأشعري، أصبحوا واقفين في موقف يقابل موقف الحنابلة الذي تمسكوا بأنهم حنابلة وبأنهم أتباع لأحمد بن حنبل فيما قاله لا يحيدون عنه ولا يقبلون له تأويلا ولا يتبعون غيره...

ثم كانت نشأة المذاهب الفقهية الأخرى غير السنية التي ترجع إلى أصول اعتقادية مختلفة عن أصول المذاهب السنية قضت بأن تكون الفروع الفقهية لهذه المذاهب مختلفة بالطبع عن الفروع الفقهية للمذاهب الأربعة) (11).

ثم يفيض الشيخ في الحديث عن الشيعة بفرقها وعن الخوارج مبرزا مظاهر الاتفاق والاختلاف بينها.

مميزات النظرة العاشورية إلى تاريخ التشريع :

يعتبر شيخنا الفاضل بن عاشور من أبرز المؤرخين للتشريع الإسلامي في هذا القرن ومن الرواد في تعريف المسلمين بجوانب حضارتهم القديمة، وكانت له في رحلته مع الأطوار التي مر بها التشريع نظرة متميزة قائمة على الشمول وسعة الاستيعاب منصفة للحركة الاجتهادية رابطة لمواد العلم بأجمل رباط يجعل التسلسل

---

10) المحاضرات المغربيات ، ص 98.

11) نفس الكتاب ص 100 ـ 101.

حسنا والتنظيم رائعا يستهوي القارئ، وينبهه إلى كل العوامل التي كان لها أثر بعيد أو قريب في الحركة الفقهية عبر عصورها.

ولئن تردد مؤسس العلم محمد الخضري في بناء تقسيم مراحل هذا التاريخ على العصور المتمايزة أو على أشخاص المجتهدين تبعا لاختلاف طوابعهم النفسية، ثم رجع التقسيم على العصور (12)، فإن شيخنا لم يسايره في تقسيمه وابتكر منهجا آخر مبنيا على مراعاة طبيعة عمل الفقهاء وعلى ما غلب عليهم عبر العصور من تضييق للاجتهاد، دون أن يغفل الحديث عن ـ الدعوات المتكررة إلى إحياء أقوال اجتهادية مهجورة أو إلى الرجوع إلى مصادر الشريعة الأصلية مع بيان أثر كل دعوة ونتائجها.

كما آثر ـ رحمه الله ـ أن لا يكون تأريخ التشريع مجرد عرض تسلسل فيه الأدوار وأحداثها، بل يكون بيانا لصفحات خالدة من عمل الفقهاء وتحليلا دقيقا لمواقفهم وأعمالهم، وإبرازا لقيمة ما أنتجته قرائحهم من ثروة ضاع بعضها ورقد البعض في رفوف المكتبات وتوفر البعض للدارسين وإبرازا لما وقع من مظاهر التطوير المساير لروح الشريعة والمراعي للمصالح ولأعراف الناس مثل العمليات التي اشتهرت في بعض الأمصار وتم تدوينها وشرحها.

ومما يخرج به الدارس لتاريخ التشريع على الطريقة العاشورية أن المذاهب كلها أدت دورا هاما وخدمت الشريعة ولبت حاجة مجتمعاتها وأنها تتقارب في أهدافها وأصولها وأن ما بينها من خلاف كان من عوامل الإثراء ومظاهر التيسير وأن رجالها قاموا بمناصرتها بصفة علمية بعيدة عن التعصب الممقوت وكان لبعضهم فضل تدوين قواعدها ولبعضهم فضل نشرها وتقريب مسائلها للناس.

كما يخرج بحكم عادل عن الاجتهاد الذي ضاق ولم ينهدم ركنه، والذي يمكن أن ينقطع منه في بعض العصور ما يتعلق بتخريج المناط دون أن ينقطع منه ماهو راجع لتحقيق المناط في أي عصر من العصور (13).

كما يخرج متصورا لأهمية دور المدونين للفقه والمفتين من الحفاظ الذين لم يبلغوا رتبة الاجتهاد والقائمين بالاختصار للفروع وجمع المعتمد في الفتوى، هؤلاء الذين استهدفوا لانتقاد ابن خلدون فتابعه كثيرون من مؤرخي التشريع الإسلامي.

ويدرك أيضا دارس تاريخ التشريع الإسلامي على طريقة شيخنا ابن عاشور أهمية اختلاف الفقهاء في الفروع هذا الاختلاف الذي عده قاصرو النظر موطن نقص. كما يدرك أن انحراف بعض الفقهاء في بعض العهود لا يؤخذ منه حكم عام على عهدهم أو على من كان في طبقتهم وعاصرهم.

ومن أهم فضائل هذه الروح التي تسود الطريقة العاشورية في تدريس علم تاريخ التشريع أنها تجنب الطلبة أن يرزحوا تحت عبء التشاؤم، وتبعد عنهم النظرة القاتمة لعمل فقهائنا، كما تتيح الإجابة عن كثير من الأسئلة المحيرة الناجمة عن احتكاكنا بالحضارة المعاصرة وتياراتها المناوئة للدين.

خاتمة :

إن المادة التي كونها مؤرخ التشريع الإسلامي الفاضل بن عاشور ونسقها ونضدها بنظرته الشخصية وبروح ثقافته الإسلامية ومعارفه العامة... موزعة بين محاضرات لا يتوفر منها الآن ـ فيما أحسب ـ إلا شذرات لدى قدماء مدرسة الحقوق العليا وكلية الشريعة بفاس وشعبة الشريعة من الكلية الزيتونية، كما تتضمنها المقالات العديدة المنشورة بالمجلات الدينية وبكتابي (المحاضرات المغربيات) و (ومضات فكر) كما توجد ضمن ما بقي بالإذاعة التونسية من رصيد.

والملاحظ أن هذه المحاضرات والدراسات والمقالات لئن اشتركت في الموضوع وسارت في خط التأريخ لتشريعنا بالروح التي ألمعنا إليها فإنها لا تكون مكررة متطابقة، فكلما أعاد الشيخ محاضرة ذات موضوع واحد إلا ولاحظت فيها إضافات، وإفادات أخرى، وأسلوبا آخر في طرقها، ولعل هذا راجع إلى عاملين أولهما أن الشيخ كان يستمد من معين لا ينضب بذكاء ومهارة وبراعة تصرف، وثانيهما أنه كان يتمتع بحاسة مرهفة تجعله يقدر مستوى المخاطبين وظرفهم وملابساتهم، وتجعله يميل إلى التركيز على عنصر دون آخر حسب المناسبة والظرف.

وقد لمست ذلك حتى في المحاضرات التي ألقيت على طلبة الحقوق وعلينا معشر طلبة الشريعة في سنة جامعية واحدة ونص البرنامج واحد فكان الحرص على مزيد الإستفادة يدفعني عند المراجعة إلى الجمع بين مذكراتنا ومذكرات الحقوق.

جزى الله شيخنا فقيد الإسلام ومفخرة العصر أحسن الجزاء عما بلغ من ميراث النبوة، وأدى من رسالة العلم، وشيد من ثقافة إسلامية، ونشر من علم ووعي في نفوس الأجيال التي اعترفت له بالفضل.

تونس ـ **محمد أبو الأجفان**

---

12) تاريخ التشريع الإسلامي للخضري (المقدمة) ص 3 طبعة 8 دار الفكر.

13) يتابع الشيخ الفاضل بن عاشور في هذا الرأي الإمام أبا إسحاق الشاطبي في كتابه الموافقات. انظر منه ج 4 ص 95 وما بعدها ـ طبعة المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

عمارة المرابطين الحربية في نطاق فلسفتهم الجهادية

للدكتور عثمان عثمان اسماعيل

فلسفة المرابطين ومؤثرات الفن الإسلامي في الطراز المغربي الأندلسي :

منذ البداية كانت حركة عصر المرابطين إلى إعادة فتح الأندلس وترميمه حركة حربية ودينية ولهذا حققت عمائرهم بالمغرب أهدافها الخاصة وكانت معظم منشآتهم دينية وحربية. وكان من آثار العمارة الحربية عدة أسوار وقلاع وحصون فعندما أمر يوسف بن تاشفين ببناء مراكش أقام قصبة صغيرة في موضع يعرف بسور الخير من مدينة مراكش كشفت عنه الحفريات الحديثة بموضع جامع الكتبية القديم. وتشير مواد بنائه وطريقة استخدامها إلى العلاقة بنظام بناء قصر البحر الحمادي وتحصينات المهدية. كما يذكرنا بناء باب قصبة مراكش بالتأثيرات الإفريقية. وقد زودت مدينة مراكش نفسها أيام علي بن يوسف بسور من التابية التي زادت فيها نسبة الجير بتأثير من الأندلس. وقد تم التنقيب عن باب بين من أبواب هذا السور. وبسور أكادير القديمة بتلمسان باب قديم يعكس نظام بناء الباب الرئيسي الذي شيده المرابطون في أمرجو.

ومع هذا فقد كان للمرابطين منجزات معمارية كبيرة بالتجمعات البشرية والمدن غير أننا نقصد هذا البحث على عمارة المرابطين الحربية.

العمارة الحربية في عصر المرابطين :

1 ـ تأخر المرابطين في بناء الأسوار.
2 ـ الربط الإسلامية في المغرب أصلها والهدف منها.
3 ـ رباط سوسة المعروف بقصر الرباط.
4 ـ قلعة أمرجو.
5 ـ قلعة تاسغيموت.
6 ـ قلعة بنى تاودا.
7 ـ قصبة النصرانى.
8 ـ اسوار تلمسان.

1 ـ تأخر المرابطين في بناء الأسوار :

الواقع أن المرابطين قد يكونوا أنفوا أول الأمر من إقامة الأسوار. الأمر الذي جعل الدكتور ابراهيم حركات يفهم رباط السنغال على أنه كان مركز انطلاق للمرابطين دون أن يكون بقصد الإحتماء من العدو. ولعل ذلك الإحساس نفسه كان وراء هدم المرابطين للسور القديم الذي كان يفصل بين مدينتي فاس قبل فتحهم لها. بل قد يكون ذلك التكوين الطبيعي والنفسي سبب تأخر المرابطين في تأسيس سور لقاعدتهم الكبرى مراكش ما يقرب من سبعين عاما عندما اشتد خطر الموحدين. كما أن سور مكناس لا تفوتنا ملاحظة بنائه أثناء حصار الموحدين للمدينة.

ومن جهة أخرى فسر الدكتور ابراهيم حركات تأخر المرابطين في بناء الأسوار داخل المغرب بامتداد فترة الإستقرار الداخلي قبل ظهور خطر الموحدين بينما وجدوا مراكز القوى بالأندلس عبارة عن قلاع وحصون تحتوي داخلها على المنشآت المدنية وما يتصل بها من مؤسسات دينية وغيرها ففطنوا إلى ذلك وشرعوا في بناء حصونهم (1).

ومع هذا، فإننا على الرغم من قلة عدد المنشآت العسكرية والحصون والمؤسسات الحربية المرابطية التي بقيت سالمة الأثر بعد عصر الموحدين، نعتقد بأن المرابطين من لمتونة وجهوا عناية كبيرة إلى بناء الأسوار والقلاع والحصون سواء بالمغرب أو الأندلس.

كما اننا نشاطر الأستاذ جورج مارسيه رأيه الوجيه بأن البحث عن أصول فن العمارة الحربية المرابطية يجب ألا يكون بالأندلس (2) وإنما يكون ذلك داخل المغرب.

إن حركة بناء القلاع وتشييد الحصون في عصر أول وأكبر دولة دينية حربية بالجناح الغربي للإسلام بالعدوتين المغرب والأندلس على السواء وهي دولة المرابطين كانت تتبع بالضرورة اتساع نفوذ هؤلاء المحاربين المرابطين المجاهدين الذين شيدوا مجموعة حصون وأسوار ومنشآت معمارية حربية لا يتسرب الشك إلى أهميتها رغم قلة ما وصل إلينا منها.

إن مدينة مراكش التي يمكن مقارنتها استراتيجيا بالقيروان تمثل مرحلة هامة وقاعدة كبرى للعمليات التي كان يقوم بها هؤلاء الصحراويون أثناء تدفقهم تجاه الشمال.

لقد كان لزاما على المرابطين إقامة عدة حصون داخل المغرب أولا تحرس سفوح الجبال والممرات الإستراتيجية بالمغرب مثل حصن امرجو الذي يحرس وادي ورغة وقصبة النصراني في جنوب شرقي جبل زرهون وحصن تاسغيموت في الأطلس الكبير لحراسة بلاد أوريكا بالإضافة إلى تحصين مكناس وبناء حصن تاجرارت بتلمسان وأسوار مدينة وهران وسلسلة حصون جبلية اتخذوها للاشراف على تنقلات ونشاط المصامدة وابتنوها من الحجر والآجر سميكة الجدران مدعمة بابراج الدفاع والمراقبة محاطة بالخنادق الدفاعية.

هذا ولم يكتف المرابطون بإقامة التحصينات بالمناطق الجبلية، بل شيدوا بعضا منها في الصحراء. كما كانت التحصينات تزود بسكنى القائد ومرافق ومخازن لخزن المؤن والأسلحة (3).

2 ـ الربط الإسلامية في عصر المرابطيـــن :

انصرفت كلمة (رباط) في أول الأمر على موضع تجميع الخيل وربطهم بقصد الجهاد في سبيل الله ومواجهة العدو استنادا إلى قوله تعالى **((واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (4) ترهبون به عدو الله وعدوكم)).**

ولما كان موقع الرباط هو موقع مواجهة العدو فإنه كان يقام بمواقع الحدود المشرفة على أرض العدو ثم تطور إلى (الثغر) سواء كان مطلا على البحر أو كان بموقع داخلي.

وقد التزم المسلمون الرباط امتثالا لقوله تعالى **((... اصبروا وصابروا ورابطوا...))**، وليس بخاف قيمة ذلك التوجيه الذي يعتبر أمرا من الخالق سبحانه وذلك للقيام بفرض الجهاد في سبيل الله كل على قدر طاقته سواء بالتعبد والإنقطاع للدعاء أو كان ذلك بالجهاد المسلح. ولهذا، كان الرباط عبارة عن بناء يجمع بين الوظيفتين الدينية والعسكرية (5) كما هو الحال في رباط سوسة ورباط المناستير بإفريقية الأغلبية (6).

لقد تطور الأمر في المغرب وخاصة أيام المرابطين إلى هدف الزهد والتقشف وطلب العلم للقدرة على مواجهة البدع والمذاهب الجديدة كالشيعة والخارجية وبدعة برغواطة (التي استشهد في مكافحتها عبد الله بن ياسين مهدى المرابطين)، وذلك إلى جانب الرباط العسكرى. فانتشرت أيام المرابطين حركة الربط التي ظهرت بالمغرب منذ أيام الأدارسة ثم الزناتيين مثل رباط القاسم

---

1) المغرب عبر التاريخ 226/1.
2) العمارة الإسلامية (بالفرنسية) لجورج مارسيه ص 218. Ashort account of early muslim
3) العمارة الإسلامية المبكرة (بالإنجليزية) لكريزويل، القسم الثاني من الموجز ص 230 من ، Architecture
4) فضلا عن ورود كلمة (ربطنا) بالقرآن الكريم مرتين الأولى (وربطنا على قلوبهم...) الكهف 14، والثانية (وإن كادت لتبدى به لولا ربطنا على قلبها...) القصص 10. فقد وردت (رباط) بالانفال آية 60 ورابطوا آل عمران 200. راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبد الباقي.
5) المغرب عبر التاريخ 226/1 ـ 227 + 243 - 244.
6) المغرب الكبير 694/693 والمغرب عبر التاريخ 189/1 ـ 190 وكتابنا تاريخ شالة الإسلامية.

بن إدريس قرب أصيلا ورباط أكلو الذى أسسه قرب تزنيت وحاج بن زلو حيث درس عبد الله بن ياسين مهدى المرابطين وتنبه إلى ضرورة الرباط فأسس بدوره رباط السينغال.

وكان الرباط الديني كرباط (اكلو) مكانا للعبادة وتداول العلم واعتكاف المتصوفة. أما الرباط الحربى فكان يشغل موقعا استراتيجيا ويحاط بالأسوار الدفاعية ويزود بوسائل الهجوم ويدعم بالإبراج ذات فتحات توجيه السهام والمداخل ذات الحيل الهندسية. كما كان الصحن المتوسط لبناء الرباط يشتمل في جوانبه على حجرات ومخازن للسلاح.

وقد يجمع الرباط في مبانيه بين الوظيفتين الدينية والحربية لتحقيق الغرضين (7). وغالبا ما تحقق هندسة البناء وسائل تيسير الغرض الديني إلى جانب وسائل الدفاع الحربي كما هو الحال في هندسة وعمارة أربطة الأغالبة بافريقية (تونس). ويرجح الدكتور ابراهيم حركات أن رباط السينغال كان من ذلك الطراز فقد لعب دورا ثلاثيا (8) بأن وفر للمسلمين وسائل العلم والتعبد كما انطلق منه المرابطون لجهاد المشركين والقضاء على بدعة برغواطة. ثم كان في مفهومه الواسع مهدا أوليا للدولة الصنهاجية التي مثلت دورها المجيد سياسيا ودينيا وعسكريا على مسرح الغرب الإسلامي بشقيه الإفريقي والأندلسي.

ونظرا لعدم إمكاننا الآن دراسة أحد الأربطة الإسلامية المغربية التي ترجع إلى عصر المرابطين أو قبل عصرهم لاندثار الآثار، فإننا نقدم دراسة موجزة عن رباط سوسة الأغلبى لعله يفسر الإتجاه المعماري الشامل لمباني الارطة بالمغرب العربي الذي يبدو أن حركتها اتخذت بدءا من افريقية (تونس) في اتجاه الغرب.

3 ـ رباط سوسة المعروف بقصر الرباط :

يقول مؤرخ تونس المعاصر المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب أن الأمير زيادة الله وجه عناية كاملة في فجر المائة الثالثة للهجرة لإعادة الحصن الذى أقامه أبوه إبراهيم بن الأغلب في مكان الرباط الحالي... فجعله في طابقين مشتملا على ثلاثين غرفة لسكنى المرابطين وحمام ومراحيض.

وقد بنى الأمير الاغلبى بالطابق العلوي مسجدا جامعا للصلاة والخطبة وإقامة على أقواس متماسكة المقود وهو أول مسجد يبنى بسوسة التي كان أهلها يقصدونه في صلوات الجمع والأعياد قبل إنشاء مسجد فتاتة والجامع الكبير. وقد زود الطابق الأسفل بماجل فسيح لجمع مياه الأمطار للشرب، والغسل.

وقد أمر زيادة الله ببناء منار مستدير بالركن القبلى من الطابق العلوى يلاصق بيت الصلاة ويصعد إلى أعلاه بمدرج داخلي. ويعتبر ذلك المرصد من مفاخر الفن المعمارى الأغلبى بعد أن استوحى مهندسه منار رباط المناستير الذي أسسه هرثمة بن اعين والي افريقية عام 180 (796م). ويحتفظ البناء بلوحة تأسيسية نقشت بالخط الكوفي الأغلبي تشير إلى تاريخ الإنتهاء من البناء (بسم الله. بركة من الله. مما أمر به الأمير زيادة الله بن ابراهيم أطال الله بقاه، على يدي مسرور الخادم مولاه. في سنه ست ومائتين اللهم انزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين). ويذكر المؤرخ التونسى أنه كان قد نشر دراسة مستقلة عن الرباطات والحصون العربية في البلاد التونسية وصف فيها حياة المرابطين وأشغالهم اليومية وتعاطيهم الفروسية والتدريب على تربية الخيول وترويضها استعدادا للحرب.

وكان الأستاذ كريزويل الإنجليزي قد قام بدراسة أثرية حول هذا الرباط نشرها ضمن مؤلفه الضخم عن العمارة الإسلامية المبكرة وأعطى وصفه من الخارج على هيئة مربع طول ضلعه 39 مترا (128 قدم) يكتنفه ثمانية ابراج أربعة في الأركان وواحد في كل من أضلاع المربع وكلها ابراج نصف دائرية فيما عدا برج المدخل فهو مستطيل الشكل وبرج الركن الجنوبي الشرقي الذي يقترب من تخطيط المستطيل وتقوم فوقه المنار الشهير بمنار سوسة .

ويقع المدخل بمنتصف الحائط الجنوبي ويؤدي إلى الفناء الداخلي الذي يهبط عن مستوى الأرض الخارجية الحالية بحوالي

---

7) انظر ما قاله هنرى تيراس في كتابه الفن الأندلسى المغربي (بالفرنسية) هامش 1 ص 218 ، الرباط في الجهاد عبارة عن معسكر حيث يتجمع المتصوفون حول شيخهم، وقلعة حيث يدعو المتصوفون للجهاد. وأن الرباط في الإسلام الغربي يحتمل صفة حربية أكثر من الدينية. انظر لجورج مارسيه G. Marçais : Les Ribaten berberie, mélange R, 1924 – pp. 395-430.
وقد صححنا مفهوم هنري باسيه وليفى بروفنسال بكتابتنا عن شالة حول فهم نص ابن حوقل في مسالكه 367 هـ انظر كتابنا تاريخ شالة فصل 6 ص 102.

8) المغرب عبر التاريخ 190/1 وقد يكون في ذلك خلاف مع ما ذكره بصفحة 226.

280 سنتيمترا. والفناء الداخلي الرئيسي وهو صحن الرباط يكاد يكون مربع الشكل 19.21 × 20.41م يحيط به من الشمال والشرق والغرب بائكة (Partico) من عقود تحملها دعائم (Piers) وتتقدم تلك البوائك 26 حجرة مقبية (Tunnel Vaulted) بدون نوافذ. وفوق الحجرات الشرقية والشمالية والغربية صف آخر مثلها أمامه ممر للجند تحته صف البوائك السفلى.

ويقع المسجد في الرواق الجنوبي بدل حجرات ذلك الجانب ويتكون من 11 بلاطا (Ajsles) مقببة (tunel vault) أي يغطيها نصف برميل. وهي عمودية على جدار القبلة بعمق اسكوبين اثنين. أي اننا نجد اليوم بكل بلاط عقدين اثنين فقط عموديين على جدار المحراب.

وتكاد العقود تكون نصف دائرية فوق دعائم قصيرة صليبية التخطيط (cruciform piers). وقد زودت جدران بيت الصلاة بفتحات للسهام حرصا على وظيفة البناء الدفاعية فحفرت واحدة بالجدار الشرقي لبيت الصلاة وثمانية بجدار القبلة.

أما سقوف المسجد فتسير مع مستوى السقف العام للطابق العلوي بحيث يصنع السقف كله ممرا يسمح للحركة والتجهيزات العسكرية وتعلو الابراج حجرة قليلة الإرتفاع. ويقع السلم في الركن الجنوبي الغربي.

اما المنار الشهير الذي يشغل الركن الجنوبي الشرقي فهو يرتفع فوق قاعدة تعلو السقف. وهو برج دائري يعلو السطح بنحو 15 مترا يضيق تدريجيا بالإرتفاع وقد أعد للأذان. والإشارات وقت الحرب. وبداخله سلم حلزوني غير مقبي. وقد ثبت بمدخلها نقش التأسيس السابق لنا قراءته ويحمل تاريخ البناء واسم المؤسس والمشرف عليه (9).

ويحدد الأستاذ كريزويل وظيفة الرباط بأنه بناء صغير محصن يبنى على الحدود الإسلامية ويعمره المجاهدون المتطوعون الذين يودون التقرب إلى الله تعالى عن طريق المشاركة في الجهاد الديني وهو الحرب الدينية المقدسة ويهبون أنفسهم للعبادة والتدريب استعدادا للحرب والجهاد في سبيل الله.

4 ـ قلعة آمرجـــو :

قد أقام المرابطون قلاعهم في مواضع تدور بها الجبال من جميع الجهات مثل قلعة آمرجو التي تعتبر من أروع أمثلة العمارة المرابطية الحربية. وقلعة بني تاودا وقلعة سغيموت. وتشرف قلعة آمرجو على وادي ورغة جنوب قلعة بني تاودة وهي متعددة الأضلاع تميل إلى الإستطالة ويشتمل سورها الخارجي على اثنا عشر برجا نصف دائرية وذات ثلاثة أبواب وفي خط الدفاع الأمامي من ناحية الشمال الشرقي وضع برجان بينهما سور أمامي. والقصبة الأصلية داخل القلعة مستطيلة الشكل ذات أبراج نصف دائرية (10) وذات بابان في سورها. والباب الرئيسي لقلعة آمرجو له ممر يتصل مباشرة بمدخلها ولا أثر فيه للتقاليد الأندلسية (11).

5 ـ قلعة تاسغيمـــوت :

وقد بنى ميمون بن ياسين قلعة تاسغيموت (12) جنوب شرقي مراكش فوق هضبة يصعب غزوها إذ تندمج أساسات السور في صخور الهضبة السفلى في مجموع محيط القلعة. وتشرف القلعة على وادي أغمات لحماية عاصمة المرابطين. وقد زودت بخزان كبير لاستقبال المياه المتدفقة من الهضبة كما زودت بخزان للمهمات والمؤن ومتطلبات الحياة الكاملة في حالة الحصار من الخارج. وقد تبقت بالجانب الغربي آثار بناء واسع وربما كان حصنا لرئيس الحامية.

6 ـ قلعة بني تـــاودا :

أما قلعة بني تاودا فقد شيدها المرابطون لمراقبة سكان الجبال بمنطقة الريف ولم يتبق منها سوى أجزاء قليلة تقتصر على السور. وبوسط القلعة آثار بناء خاص بالقصبة الداخلية.

---

9) اوجزت الدراسة عن البحث الأصلي الموجود مفصلا بالإنجليزية مع رسم التخطيط في القسم الثاني الخاص بالدولة العباسية ص 233 من :
K. Creswell : ashort account of early muslim architecture

10) راجع تيراس في : H. Terrasse : La forteresse Almoravide d'amerza للوقوف على أسراره على تضخيم الأثر المسيحي في الابراج المستديرة.

11) الدكتور سيد سالم : المغرب الكبير ص 765. وانظر مارسيه نفس المصدر ص 219.

12) راجع Terrasse et Barret : Sanctuaire et forteresses Amohades
للوقوف على أسرارها في نسبة بناء القلعة إلى شخصية أندلسية وانظر البيدق ص 128 وسيد سالم نفس المصدر ص 766 والفن الأندلسي ص 224. والعمارة الإسلامية لمارسيه ص 219.

13) عن تلمسان أسوارها وآثارها راجع : G. Marçais : Tlemcen Paris 1950.

7 ـ قصبة النصراني :

وقد أسست لتحقيق نفس الأهداف العسكرية التي أنشئت من أجلها القصبات السابقة وتقع تلك المساحة المحاطة بأسوار محصنة فوق نتوء صخرى في شرقى جبل زرهون (شمال مكناس). وتكون الأسوار شكل مربع غير منتظم بعد أن بنيت بحجارة الدبش Moellons)

وكان للقصبة بابان يوصلان إلى الداخل وابراج مربعة قليلة العدد وبرج واحد بيضى التخطيط (de plan avoide) موزعة جميعها على الأركان ووسط الأسوار.

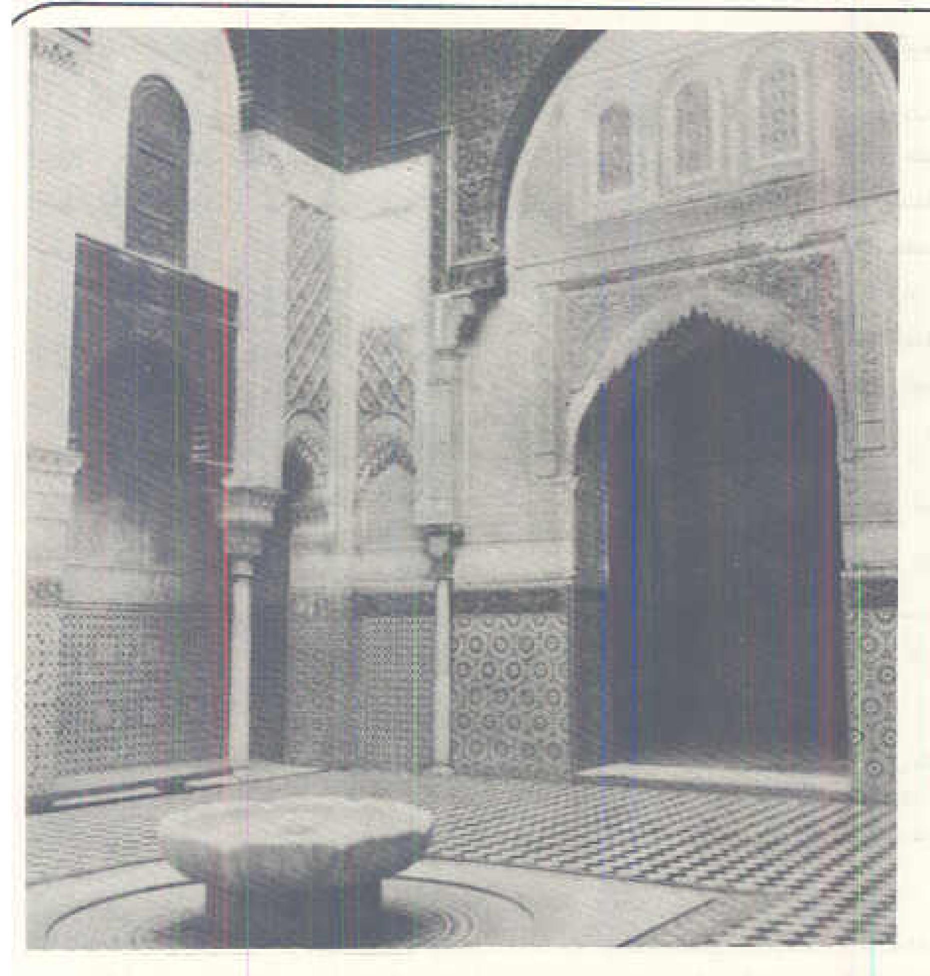
8 ـ أسوار تلمسان : (13)

لقد كان فتح المرابطين لتلمسان مرحلة كبيرة أمام امتداد مملكتهم نحو الشرق وبهذا أصبحت المنطقة كممر رئيسي وهام لتحركاتهم. وبهذا احتفظت ببعض آثارهم الحربية.

وتحتفظ مدينة أجادير القديمة بباب العقبة الذي يفتح في حائط من حجر الدبش بعقد من الآجر على هيئة حدوة الفرس المنكسرة (fer à Chaval brisé) يستند على حجارة رومانية كبيرة مذكرا بأسلوب المدخل الرئيسي لقلعة أمرجو.

وفي غربي أجادير بنى المرابطون (تلمسان الحالية) حيث ينسب إليهم تأسيس باب القرمدين (باب القرمود).

ومن فتحة ضيقة ومنخفضة محاطة ببرجين سميكين مربعين بالسور الأمامي نصل إلى الأسوار الداخلية حيث الأبراج الدائرية وقد أقيمت الابراج والأسوار بحجارة الدبش فوقها التابية.



قمة الطراز المغربي الأندلسي الذي أرسى قواعده أمراء المرابطين في كل من العدوتين المغرب والأندلس حيث نشاهد مميزات ذلك الطراز في مدرسة العطارين بما فيها من زليج وجبس وخشب ورخام وفنون ونقوش بلغت. منتهى الرقة والأناقة وجمعت بين الدقة ومتانة البناء فنرى أعمدة الرخام الدقيقة والتيجان الأنيقة وشبكات المعينات المنتشرة فوق مختلف المواد فجمعت ميراث الفن الإسلامي المشرقي والمغربي والأندلسي.
(صورة لصحن المدرسة بعد الترميم الأخير)

المسيرة الخضراء
من خلال أناشيدها

للأستاذ عبد الحق المريني

هي الصحراء جزء من بـــــلادى   وشيمة عاهلي فدعوا الهـــــراء !

صيحة تاريخية مدوية في وجه الغاصبين المراوغين، صرخ بها احفاد طارق بن زياد وأبناء الحسن الثاني في وجه كل معتد أثيم عاث في الصحراء فسادا... متحديا التاريخ. وقالوا له : كفاك حقدا وكفاك مراوغة وبهتانا وعويلا :

أأنك لم تر الصحراء قبـــــــلا   ولم يعجبك شاطئها الجميـــــــل !
فأين مضيت يوم اجتاح عجـــــم   مفاوزها وخانهم الدليــــــــل ؟
ألم تك في البلاد قرير عيــــــن   وكنت لكل سانحة تميـــــــل ؟
وغيرك لا يلذ له شـــــــراب   وكل طعامه من النزر القليــــــل

(الحبيب الإمام)

لقد نسي الاسبان أو تناسوا أن الصحراء جزء من المغرب لا يتجزأ وأن الأمة المغربية أمة طارق بن زياد ويوسف بن تاشفين :

وما كانت الصحراء يوما بمعــزل   عن المغرب الأقصى ولا عرفت كسرا
فهل نسي الإسبان أمة طـــارق   لقد تركت في كل ربع لها ذكـــرا
ففي كل فرد من بلادى طـــارق   ويوسف والأبطال إذ فتحوا مصـــرا
تنادى : بني الصحراء جمعا تأهبوا   لقد آن للإسلام أن يهزم الكفـــرا

(التهامي رشيد)

وكان النداء وكان الوعد والوعيد وكان التحدى الأكبر ! ،

صحراؤنا تتحدى ، ليس يقتلنـــي موت ولو دفنوا في القبر ما دفنــوا
أنا سليل الذين امتد شاطئهـــم وصاح طارقهم أن تحرق السفــن !
(محمد البوعناني)

صحراء يا حرة مكمودة غيتـــا مهلا فكم فرحة وافى بها كمـــد
ستحمدين على العقبى حلاوتهـــا كما تقطر بعد الملقم الشهـــد
لا بد فرقك يوما خافق علــــم يضم شمل بنيه أينما وجـــدوا
صحراء فجرك موعود بما يلـــد والمغربيون أكفاء بما وعـــدوا
(محمد مهدى الجواهرى)

طغمة الشر في الصحير احـــذرا فانتقام الأحرار مر بـــــلاؤه
نحن للسلم قد جنحنا ولكـــن نحن في الحرب للعدو وفنــــاؤه
(عبد الكريم التواتي)

واستنجد الشعب برائده الهمام وقائده الملهم وحارس الوطن الموهوب ليحمي الصحراء من كيد الكائدين ومن طغمة الشر المعتدين. وكان نداء من الأعماق ومن غضون التاريخ ،

نداء من الأعماق صعده الـــــرب وصرخة عملاق تنادى بها الشعـــب
وصيحة أكباد الصحارى تطايـــرت إلى الملإ الأعلى فطار لها القلـــب
(مفدى زكرياء)

وأذاع بطل الملاحم نداءه. ودوى النداء الملكي مجلجلا في ربوع المملكة ينادى بالزحف المقدس... بالمسيرة الخضراء ،

ناديت للزحف الرشيد فأينعــــت أغصان جهدك تستفيض وتغـــدق
والناس حولك أمة لا تنثنـــــي كتاب رب العالمين تحلـــــق
مادمت باسم الله قمت مجاهدا فلأنت يا سبط الرسول موفـــــق
كل المعارك للمسيرة تنحنـــــي قد ساد بالرأى السديد المنطـــق
الرأى قبل البأس يومض برقـــه هو أول والبأس غيث يلحـــــق
(وجيه فهمي صلاح)

وكان النداء الملكي دعوة خالصة للجهاد حرك العزائم وأذكى نارها...

وكان الجواب التلقائي ،

لبيك صحراءنا انا على أهـــب ... لبيك يا وادى الأمال والذهـــب

لبيك ياذرة الأوطان عن عجـــل ... أنا فداك من هول ومن نـــوب

نحن المغاربة الأحرار حوزتنـــا ... حرز منيع الحمى مناعة الشهـــب

فنحن أباة الضيم من قـــدم ... ونحن أظفر في الهيجاء بالغلـــب

(المدني الحمراوى)

لبيك يا صحراء إنا ههنـــا ... نرعى ذمامك والبغاة تقـــاوم

صحراؤنا قبر لكل مـــراوغ ... ضب يشاكس ما نرى ويعاقـــم

صحراؤنا يا منبت الأحرار يـــا ... وطني خلاصك من أســـرك لازم

لا ترهبي ما بيتوا أو دبـــروا ... فالله يحفظ والمثنى عـــازم

(عبد الكريم التواتي)

وأقسم الشعب لملكه أن يسير فوق صحرائه ويخطو خطواته المباركة العملاقة فوق ترابه ويواجه المعتدين مرفوع الرأس وضاء الجبين ،

والشعب أقسم في سهل وفي جبـــل ... على اغاثتها وجد فـــي الطلـــب

وسوف نسترجع الصحراء راضيـــة ... ولن ترى بعد في أسر وفي كـــرب

أنا بنوها فلا نرضى بذلتهـــا ... بل نفتدى أمنا بالنفس والنشـــب

(المدني الحمراوى)

إيمان عرش وشعب أقسما شرفـا ... إن تسترد الصحارى وهي غيـدان

تبادلها ، المثنى الشهم موقفـــه ... وشعبه وهما للعدل ميـــزان

قد أقسما أن يسيرا لا يعوقهمـــا ... سد وما يقهر الإيمان طغيـــان

وأقسما أن يحق الله موعـــده ... أو أن يموتا وعقبى لصبر رضـــوان

(عبد الكريم التواتي)

نحن كالأمس يارمال رجـــال ... كلنا عقبة وطارق بن زيـــاد

ما كبونا إلا للنهوض كالأعصـــا ... يذور البغاة ذرو الرمـــاد

قد سمعنا ملئ القلوب نـــداء عبقرى الإيمان جم الســـداد
قال نمشي إلى النضال ســـدى بقلوب ثواقة للجهـــاد
(وجيه فهمي صلاح)

وتحركت المسيرة باسم الله مجراها ومرساها، متسلحة بسلاح الإيمان والصبر واليقين واندفعت في طريقها مدركة أهدافها لأن الحق معها. وكانت الإنطلاقة العملاقة نحو العبور الأكبر، نحو الدخول في التاريخ بقيادة بطل المسيرة وفارسها المغوار ومبدعها الاسمى :

إلى التحرير باسم الله سيـــروا جنود الحق قد حان المسيـــر
فسيروا يا جنود الله ترعـــى مسيرتكـم ملائكـة نـــور
تحف بكم ملائكة كـــرام تحثكم ويحدوكم بشيـــر
(محمد مهدى العلوى)

الا حثـوا المسيـــرة للســلام وكونوا وحدة خلف الامـــام
وجاء الحق فالبهتان أمســـى زهوقـا فـي بـوار وانهـــزام
حمالة للسلام إذا زحفنـــا ونسقى المعتدى كأس الحمـــام
(محمد العلمي)

سيروا فتلك مسيرة ميمونـــة الله يرعى شعبها ويوفـــق
والشعب بارك مخلصا خطواتهـا فنجاحها متيقن ومحقـــق
سيروا فليس لغيرنا في أرضنـا حق المصير ولا المجال المخـــرق
نحن الحماة لأرضنا وحدودنـا ولنا السيادة والوجود المطلـــق
(عبد الكريم التواتي)

وساروا بعون الله و بعزم الحسن الثاني، وعين الله تحرسهم، ورحمته تظلهم وتوفيقه يرعاهم، ساروا بهدى القرآن لا يكبح جماحهم رهب أو اشفاق وفي أيديهم آيات من التنزيل الحكيم :

حمام سلام في ليوث كريهـــة يطير بها الإيمان والكبر والعجـب
جحافل يحدوها الحنين فتصطلـي بأكبادها الأشواق والأمل العـــذب

فمن آدم... ومن فاتنات... ومن صبية... ومن أشياخ...

مضت وكتاب الله يزجي شراعهـا ويذكي حناياها التواجد والحـب
هو الشعب أن تكتب الدنا يلهم الدنا بحكمته فن السلام فلا تكبـو

(مفدى زكرياء)

وكان فصل الخطاب فيه ملحمـة من البيان وفيه الهدى والرشـد
شهرت أمضى سلاح لا يقوم لـه لا المرعدات ولا المحمية الـزرد
ما أعظم الشعب يرمي عن كواهلـه عبأ الخلاف لدى البلوى ويتحـد

(محمد مهدى الجواهرى)

سلوا مسيرة فتح عن عزيمتـه لما استعان بنصر الله فانتصـروا
مسيرة توج القرآن هامتهـا والله وفق لا حصـن ولا وزر
مسيرة جمعت من كل طائفـة من الممالك منها البيض والسمـر
كأنهم زمر للحج وافـدة إلى المناسك لا وهن ولا خـور
شكرا وحمدا وتقديرا لسعيهـم شكرا تجدده الاصال والبكـر
قد دبر الملك الموهوب خطتهـم واحكم الرأى لا كد ولا كـدر
نصر من الله لم نكن وسائلـه لا الطائرات ولا قوس ولا وتـر
إنا سجدنا سجود الشكر حين بـدت أرض العيون ولاح النصر والظفـر

(عبد الفتاح إمام)

ساروا لا يخافون في الله لومة لائم أو غوغاء من في قلبه مرض، ساروا أحرارا فوق رمال الأحرار وعلى أفواههم كلمة «الله أكبر» كلمة الحق الجليلة التي لا تصدر إلا عن القلوب المؤمنة بالحق، وعبروا الحدود الوهمية، وسجدوا سجود الشكر لله، وحققوا الفتح المبين كيوم بدر، وهاجروا إلى الله كما هاجر الرسول، واعلنوها ثورة على الظلم والطغيان والإستبداد. وقيل بعدها : الحمد لله :

انظر إلى الآلاف من أبنائهـا ماشين كالفرسان في خيلائهـا
ومجاهدين تجمعوا في حملـة متحفزين إلى الوغى وبلائهـا
الله أكبر رددوها جهـرة أوحى الإمام في إعلائهـا

الله أكبر رددوها جهـــــــــرة — هزت قلوب الناس في أحشائهـــــا
الله أكبر رددوها جهـــــــــرة — ملأت فضاء البيد من صحرائهـــــا

(عبد اللطيف أحمد خالص)

الله أكبر في الآفاق ساريـــــة — عبر الرمال تهزهز الاكوانـــــا
فهي «المصير» ومنها الحق منبثــق — قد شع يبطل بين الناس بهتانـــا
لا، لن نخيب وعين الله ساهـــرة — ترعى مسيرتنا الخضراء وترعانـــا

(حسن بوشو)

إنما هي والكتاب امـــــــام — في انتظار مسيرة خضـــــــراء
برزت للوجود زحفا خطيـــــرا — ما تولي طباعها الخيـــــــلاء
كبر الله كل فرد ونـــــــادى ، — انا قصدى وغايتي الصحـــــــراء
ثروة توقظ الوجود اندهاشـــــا — وهضاب ماجت بها البيـــــداء
فإلى الله هجرة نيل منهـــــا — كل قصد وضمت الأجـــــــزاء
كبروا للصلاة فاهتزت الأرض والسمـ — ـــــا واستجيب الدعـــــاء
وإذا قبلوا الرمال اشتياقـــــا — فهم اليوم فوقها السعـــــداء
ها هو الحق قد علا باتصـــــال — ها هو الباطل الزهوق هبـــــاء

(عبد الرحمان الدكالي)

ووقف العالم إجلالا وإكبارا لهذه المسيرة التي أصبحت لتاريخ المغرب عنوانا، وكبر لهذا الشعب في انتفاضته الكبرى وزحفه العظيم وثورته البيضاء وملحمته الخالدة :

وقـــف العالـــم يرنـــو — لك يا شعب المسيـــــرة
وقفة الاعجاب بالملحمـــــ — ــة الكبرى المثيــــــرة
ومراميها الخطيـــرة

وشعوب الأرض قامـــــت — لك يا شعب بـــــلادى
بقلوب ملؤها الحـــــب — وافواه تنـــــادى
عشت يا شعب المسيـــرة

(أحمد عبد السلام البقالي)

وقف الخلق ينظرون لزحفـــي   وهو يرى في الكون مثل الرعـود
وانا كالاعصار يعوى وكالسيـــ   ـــل آتيا ملئى الربى والنجـود
حسب الناس ساعة الحشر قد دقـ   ـت فزاغت أبصارهم في شـرود
ذعر الغرب من مسيرة شعـب   حل فيها الصدى محل الحديـد
فتداعى بنوه من كل صـوب   ليروا زحفنا لأرض الجـدود
نحن أحفاد تاشفين وفي يـ   ـوم كيوم الزلاقة المشهـود
وأسود إذا امتحنا ومـن ذا   يستطيع اقتحام غاب الاسـود
وهي صحراؤنا نروى ثراهـا   بدمانا كـالفات العهـود

(محمد الحلوى)

أبهذا الذي يجلجل سمع الكـ   ـون في قوة تميد السمـاء ؟
إنه الشعب في انتفاضته الكبـ   ـرى يغذ المسيرة الخضـراء
مستمدا قواه من قوة اللـه   وعزما يناطح الجـوزاء
عقدوا العزم أن يسيروا وراء الحسن   الثاني يزيح الالام والبرحـاء
بورك الشعب إذ يهب يناغـي   العز لا يرتجي مالا ولا نعمـاء
وينادى «الصحراء لي وطـن»   سحقا لمن يبتغي أن يفصل الصحـراء
وطني صخرة تحطم ما يرجـوه   كل العدى هوى وافتـراء

(محمد الصقلي)

وحققت مسيرتنا «فلسفة البقاء» هدفها الاسمى وأعادت لترابنا وحدته التاريخية المعهودة، ووحدت نظرتنا إلى المستقبل الباسم، وجعلتنا نتحلى بمزايا التنظيم والنظام. ونتمسك بصدق العزيمة وقوة الإرادة. وأبطلت ادعاآت كل أفاك أثيم لا يخاف في الحق لومة لائم. وكان العالم شاهدا وكفى به شهيدا .

لقد وحدت هذه الصحارى ترابهـا   وجنح في أحضانها الأهل والصحـب
ومن يتعلق بالسراب غبـاوة   وجهلا يكذب وهم الحلم العـذب
ومن يزرع الالغام تنسب كيانـه   ومن فاز بالصحراء فقل لعداه ، ابنوا

(مفدى زكرياء)

لقد عادت الصحراء وهي عزيـــزة لأوطاننا وانزاح شر أعـــادى
فما ضرنا من يحسدون بلادنـــا ومن زرعوا في الدرب شوك قتـاد
وما سادنا من ينكرون حقوقنـا وما لبسوا في الحقد ثوب حـداد
ونحن قضاء الله نقهر خصمنـا فيغدو رمادا عند يوم حصـاد
فما ضاع حق من ورائه طالـب حريص جلا عينيه طول سهـاد

(محمد العلمي)

قولوا لإخوتنا في «الواد» أن لكـم دينا علينا وقد جئنا موفينـا
دماؤكم كم غدت يوما تحررنـا جئنا نحرر أيديكم بأيدينـا
(بنا وبنتم فما ابتلـت جوانحنـا شوقا إليكم ولا جفت مآقينـا)
واليوم جئنا فلا حد يباعدنـا ولا الغشوم بباق في أراضينـا

(الدكتور محمد خيرى عرقسوسي)

وأقسم العرش والشعب يستردا الصحراء بكل غال ونفيس وأن لا يتنازلا عن حبة رمل من رمالها فأبرا بقسمهما. ولم يخلف الله وعده ،

يمينا لقد عاهدت نفسي بأننـي سأدخلها والله في مطلع الفجـر
واطرق أبواب «العيون» مجاهـدا واعتقها بالسلم من وصمة الكفـر
اسير إليها والحنين يهزنـي كما هزني طيف الحنين إلى بـدر

(فتاة محمد العرفاوى)

أقسمت بالله أحمي الدار من خطر العدا واني أبر اليوم بالقسـم
الحمد لله أعدائي قد اندحـروا موتوا بغيظكم إني على القمـم

(أبو بكر المريني)

وتقف قواتنا المسلحة الملكية في ربوع صحرائنا وقفة رجل واحد تصد غارات المعتدين وتحمي مكتسبات مسيرتنا الظافرة وتدافع بكل شمم وأباء عن وحدتنا الترابية المشروعة ،

كتائب النصر بالمرصاد رابضـة يحلو لفرسانها من أجلنا السهـر
عزائم كرسوخ الطور ثابتـة ما ردها عائق يوما ولا خطـر
ترى المسيرة فتحا لا مثيل لـه الله باركه وآلاي والسـور

(وجيه فهمي صلاح)

وعلى الافق جيشنا لا يخاف الحـــ ـــرب يوما ولا يهاب قتـــا لا
وهبته ملاحم الخلد احلاهـــا وولته حبها والوصـــا لا
وإذا الماكرون دسوا ربانـــا حرك الأرض تحتهم زلـــزالا
وأخاف الذئاب تلك التي جاءت مع الليـل تفســد الأصـــالا

(محمد البوعناني)

فجل جندك جند الحق يقحمهـا وخـل خيلـك خيـل الله تطـرد
وفي حماك صناديد يضيق بهـم ذرع الجلاد ويخشاهم إذا اجتلـدوا
سمر الوجوه شداد من شكيمتهـم ظل على التربة السمراء ينعقـد

(محمد مهدى الجواهرى)

أسيافنا مشرعات لا غمود لهـا إلا صدور أعادينا وأعيـان
تجتثهم، مهلكات لا مرد لهـا هن المنايا ، خطاطيف وغيـلان
«فانطومنا» تحرق الاعدا وتمحقهـم فهي الصواعق «والميراج» عقبـان
نقض مضجع من جاروا واعتسفـوا عقبى البغاة تباريح وخـذلان

(عبد الكريم التواتي)

وتدور عجلة الزمان وتحل في كل سنة ذكرى انطلاق المسيرة الخضراء فتحيي في نفوس المغاربة ذكريات البطولة والشهامة والصمود والإعتزاز، وتبارك لهم مسيرتهم الدائمة في طريق التنمية والنماء .

ذكرى المسيرة تشجينا فنحييهـا وتنظم الشعر أنغاما نحييهـا
شقت إلى النصر نهجا لا نظير لـه حتى غدت مثلا للدهر يرويهـا
الله أكبر قد هزت مشاعرنـا وحقق الله للصحراء أمانيهـا
مسيرة الفتح قد ضحت عزائمهـا والحق رائدها والله راعيهـا
أعظم بها خطة للفتح معجـزة للشاهدين وللتاريخ يرويهـا
نعم شهدنا بها فتحا ومنطلقـا سيصبح الجيل بعد الجيل يحكيهـا

(عبد الفتاح امام)

وتعود الذكرى فيبتهج الشـــــ ـــوق طربا مثل الصباح الوليـــد

فترانا كأننا اليوم عدنـــــا من لقاء يظل فخر الوجـــود

فليمت خصّمنا مهينا فانـــا لن نرد الصحراء نحو الجمـــود

لسنا نخشى والحق يحمي حمانـا قفزة الخرج أو زعيق القـــرود

لنا في السلام خلق رضـــي ولنا في الحروب بأس الأســـود

(عبد الواحد اخريف)

مسيرة هي للتاريخ عنـــوان وللعداء وللإيمان برهـــان

مسيرة ربك الديان خار لهـــا أسبابها، فهي إيحاء وتبيـــان

مسيرة الذكريات الغر طافحـــة بما يثير وما لم يدر إنســـان

أعجوبة الدهر كانت مالها مثـــل فتح من الله بل نصر ورضـــوان

مسيرة تتحدى في مقاصدهـــا مسيرة الصين والقصدان شتـــان

(عبد الكريم التواتي)

ويبقى شاعر المسيرة يتغنى دوما بذكريات مسيرة «الاقبال» وبجلالها في نشوة وبهاء،

خلني في مسيرتي اتغنـــي باخضرار الآفاق والامـــال

بجلال المسيرة الخضـــراء تتهادى في روعة وجمـــال

تلهم الشعر للخلي شديـــا ملئى أبنائه كسحر حـــلال

خلني في بحبوحة الأمل الزاهـــي أناجي عرائس الادغـــال

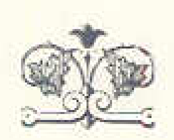
وأداري الهوى هوى الوطن الغالـــي فمثلي من ينتشي بالوصـــال

وأباهي بالعاهل البطل الشهـــم جميل الوفا جليل النـــوال

انا في نشوة من النصر اختـــال كأني مجنح في اختيـــال

انا من أمة تنافس فيهـــا أمم الأرض باعتزاز مثالـــي

(عبد القادر مقدم)



الحسن الوزان وكتابه
وصف أفريقيا

للأستاذ محمد عبد الفتاح الابراهيمي

حينما كنت في القاهرة أوائل الخمسينات عن لي أن أكتب عن الحسن الوزان... وبدأت الكتابة فعلا ولكن حوادث 53 - و 56 وما تلاها غير اهتماماتي... فانشغلت بالأهم عن المهم... إلا أن الرغبة كانت تساورني الفينة بعد الأخرى... ولما علمت بأن الأخ الجليل والسيد الأستاذ الكبير محمد حجي عميد كلية الآداب قام بإنجاز هذا العمل الوطني المهم... وأخرج الكتاب إلى حيز الوجود فرحت جدا وكيف لا وقد أضيف كتاب هام إلى المكتبة العربية... لاسيما والمحقق غني عن التعريف... فهو أستاذ الأساتذة المبرز واسع الاطلاع يتمتع بذكاء حاد وذاكرة قوية وبصيرة نفاذة وقد حباه الله بأخلاق فاضلة أشتهر بالتواضع والحياء... ولا غرو فهو من عائلة عريقة في المجد ومتأصلة في الثقافة والاستقامة ورث العلم والتقى ماجدا عن ماجد...

ولا يسعني إلا أن أضم خلاصة بحثي المتواضع إلى عمله القيم... حيث القصد هو خدمة المعرفة وتيسير سبل البحث وإطلاع الجمهور العربي عامة والمغربي خاصة على تراث جدير بالاطلاع عليه... لا سيما وأن كثيرا من الحقائق كانت مدفونة أو مطموسة وشتى المعارف كانت مقبورة... حتى أكل عليها الدهر وشرب، وعفت عليها الأيام... وطمست ردحا من الزمن... حتى نسيت ونسبت إلى غير أهلها ورمي أهل الحق بالعقم والعقوق ثم الإجحاف... ولما كان الحسن الوزان من أولائك العمالقة الأفذاذ الذين خدموا المعرفة الإنسانية وأناروا السبل... بعد أن تضلع بالمعرفة وتسلح بالعرفان في المغرب... وتدرج في وظائف سامية بالبلاط الوطاسي أتاحت له الفرصة ليجوب البلاد الأفريقية والأسيوية على السواء. باحثا ومتجولا مستقصيا ومسجلا ارتساماته ومدونا ملاحظاته وقد أدرك قبطان سفينة اللصوص... كما أدرك (البابا ليو) حصافة عقله وسعة اطلاعه، ومدى خبرته بتلك الدول التي زارها وشاهدها عن كثب ورأى أن من حسن التدبير الاحتفاظ بهذا الشاب المتوقد الذاكرة فهو أثمن من الكنز يفيض بالمعارف ويزخر بالحقائق الهامة والنادرة التي لم تتوفر عليها أروبا...

والبابا على درجة عالية من الحدس شغوف بتحصيل المعرفة كيف ما كان مصدرها وفي نفسه كثير من الحرص الشديد على الحصول على معلومات عن افريقيا لحل اللغز المطلسم خدمة للاقتصاد الأروبي وطعنا للاقتصاد العربي من الخلف.. أو تحطيما لكبرياء الباب العالي... ولم يكن مخطئا في ظنه... أو مجازفا في تقديراته... ولا نستكثر هذا عن رحالتنا... أو نستغرب إذا علمنا أنه أول من أتى بمعلومات دقيقة عن القارة السوداء وخطط أول خريطة لها... فلما رأى البابا مذكرته أفسح له المجال ليظفر منه بما يشفي غليله ويثلج صدره... ولذلك شمله بالرعاية والعطف...

والحق يقال أن الوزان يعتبر من المؤسسين الأوائل لعلم الجغرافية دون منازع وأول من أفاد أوربا في هذا الميدان... وظلت معلوماته وأبحاثه المرجع الهام حتى بعد ظهور الكشوف العلمية الحديثة بشهادة المستشرقين الفرنسيين منهم والألمان نذكر على سبيل المثل الأستاذ (شيفر) والأستاذ (هرتمان) حيث قال ما معناه لقد سبق جيوفاني اليوم المؤلفين الجغرافيين بإعطاء نظرة دقيقة ومعلومات نادرة ووصف أمين اعتمادا على مشاهدته أولا وعلى ما استقاه من الأخبار من أبناء البلد وما توصل إليه التجار العرب...

وظل كتابه المرجع الوحيد في التاريخ الأفريقي والأسيوي... وكان لأروبا كنزا ثمينا وهدية نفيسة... ويحسن بنا أن نعطي ولو نظرة وجيزة عن المؤلف والكتاب وظروف تأليفه والأسباب التي دعته إلى ذلك مع عدم إغفال الظروف السياسية... والبيئة التي أنتجته أو تأثر بها وأثرت فيه... فنقول، وإن كان قد ولد الحسن الوزان بغرناطة فإن والده محمد الوزان من أسرة مغربية كانت تقطن بواد زين الموقع المعروف الآن بوزان بالمغرب نزحت أسرته إلى الأندلس في جملة من نزح. تلقى دراسته الأولى بمسقط رأسه... كما أخذ حظا وافرا من اللغة الإسبانية وأتقن فن الرماية... في وقت كان الإسبان يتحرشون ببني الأحمر ليبتلعوا ما تبقى في الأندلس وكان أهل البلاد يعانون من غلاء المعيشة والدولة في حالة احتضار وأهل النفوذ في حرب بعضهم بعض يتزاحمون على الكراسي ويتناحرون على الحكم أو التقرب من الحاكم العاجز الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا... فضلا أن يبث في شؤونهم.

وفي هذا الوقت بالذات كان المغرب بدوره يتخبط في مشاكل عويصة فرقت صفوفه وشتتت أوصاله... وأطمعت العدو فيه حيث احتل البرتغال أغلب مدنه وموانيئه وهذه الأسباب جعلت العون المغربي المعتاد يتوقف تجاه الأندلس. وفقد المسلمون هناك الأمل في النجدة.. لما فقدوا المساعدات فأصبح الجو ملغما محموما يؤذن بالانفجار... وحرب الاسترداد الاسبانية آخذة في التصاعد والاشتعال... تستعير وتنشط ويرتفع لهيبها ويتسع حتى اتسع الخرق على الراقع وزادت الهوة عمقا وسحقا. وشملت النار أطراف البلاد... مما جعل الرعاة والفلاحين يلجئون إلى الأحواز وكثر المهاجرون إلى المدينة مما ضاعف من البطالة وزاد في أثمان المواد الغذائية كما أدى ارتفاع أحوال المعيشة إلى اضطرام نار الفتنة داخل المدينة وخارجها، ولم تكن هناك قيادة حكيمة توجه الناس إلى حرب أعدائهم فوجد اليأس والقنوط طريقهما إلى النفوس وزاد الطين بلة تآمر (أبو عبد الله محمد بن علي) آخر ملوك بني الأحمر على نفسه ووطنه وشعبه... فوقع اتفاقية الاستسلام مع الملك الإسباني (فرديناند) والملكة (إيزابيلا) في مقابل شروط أهمها :

1) تأمينه على نفسه وعياله وأمواله وأملاكه.

2) ترك الحرية للمواطنين المسلمين واليهود في مزاولة شعائرهم الدينية

3) إنهاء الحرب وإطلاق الأسرى.

4) عدم التعرض لمن يرغب مغادرة غرناطة ليتوجه إلى المغرب...

فكانت هذه الاتفاقية آخر مسمار في نعش دولة بني الأحمر... وهدم الركن الأخير... وبموجبها سنحت الفرصة لقوة الإسبان الضاربة الخناق حول أحواز المدينة... بالانقضاض على غرناطة 1492 ـ آخر معقل للعرب وأقام الإسبان مجزرة وحشية بشعة قتل فيها النساء والشيوخ والأطفال...

وشاهد حسن الوزان وهو صغير ذبح أمه واخوته وأهل حارته... كما شاهد العلم العربي المكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله يتهاوى لترتفع مكانه الراية الإسبانية... يتوسطها الصليب... وفي لمح البصر طوى رمز القوة الإسلامية... وبذلك انمحى أهم مظهر من مظاهر السيادة... الروحية والمعنوية وانطفىء القبس النوراني الذي طالما شعت منه المعارف والحضارة الإنسانية المثلى على مدن أروبا وقراها.... وفي لمح البصر طويت ثمانية قرون فانطوى معها سجل حافل بالبطولات والأمجاد والعظمة والبناء نورا وعرفانا.. طالما سارت على هديه الإنسانية والحضارة البشرية ... والآثار خير شاهد على ذلك.. ولا حاجة بنا أن نتعرض لمحاكم التفتيش والتنكيل بالمواطنين العزل والذين فروا بدينهم في عرض البحر والذين ابتلعتهم المياه... لكن لا يفوتنا أن ننبه إلى أن الحسن الوزان هرب مع والده... في جملة من هربوا من الاضطهاد والطغيان.

فكتب التاريخ مليئة بالأخبار عن سفن القراصنة من البرتغاليين... المدججين بالسلاح والعتاد الحربي... الذين كانوا يعترضون مراكب المسلمين الهاربين بإيمانهم وأنفسهم عند عبورهم البغاز وانحدارهم الى المغرب... وغالبا إنهم عزل لأن ظروفهم الطارئة لم تمكنهم من أخذ العدة... فتنشب معارك بين الفريقين غير المتكافئين في السلاح والتدريب على مثل هذه المغامرة... ورغم قلة المؤن وتعب السفر وعدم توفر العتاد الحربي والاستعداد... دافع المهاجرون الى المغرب دفاعا مريرا واستماتوا في المقاومة الى أن استطاعوا أن يمنعوا بعض سفنهم وأن يردوا عنهم العدو بسلاحه الذي غنموه منه وفي خضم هذه المعارك كانت تنجو بعض السفن لتصل الى الشواطىء المغربية كالسفينة التي أقلت صاحبنا الوزان ووالده بعدما أثخنوا العدو بالجراح وأصلوه بوابل من النبال وكان من بين الرماة رحالتنا الفذ... الذي تابع رحلته إلى فاس حيث استقر ووالده. في هذه الربوع التي تزخر بالعلم وتفيض بالمعرفة ويتوفر فيها العيش .. فتلقى الحسن الوزان العلم في جامعة القرويين على يدي علمائها الأفذاذ. وعكف على التحصيل رغم القلاقل والاضطرابات... لأن البلاد في هذه الآونة كانت تنهشها الأطماع وتستعر فيها الأحقاد... وكثر الطامعون في كل مكان والإسبان شاهرين أسلحتهم من الشمال.. والبرتغاليون قد طوقوا البلاد من الغرب ومن الجنوب... وكأن المغرب أصبح في فم الكماشة أو مثل

سفينة تضطرب وسط الأمواج العاتية وأهله أصيبوا بالذعر والفزع وهرع الناس إلى رجال الطرق يلتمسون العون أو المخرج.. وبذلك بدأت سلطة الزوايا تتقوى وتستمر، وسلطة الوطاسيين في تدهور مستمر وكأن يدها شلت عن دره الأخطار المحدقة بها.. والدول الأجنبية فاغرة فاها لتبتلع الموقع الممتاز كمدخل لإفريقيا السوداء محطة العاج وكنوز الذهب الذي تسيل عليه لعاب الأوروبيين.. وبقص الجناح الأيمن لإفريقيا تتم السيطرة على الثروة الهائلة.. والشرق لاه بنفسه غارق في حروب عقائدية وقد تحولت عنه بوصلة السير عند اكتشاف رأس الرجاء الصالح وبدأ في التدهور حيث احتلت منه أغلب طرق التجارة والمسلمون في مصر لا يستطيعون حولا ولا قوة وقد احتل أراضيهم من قبل المماليك العثمانيين.. وقد اشتعلت النار في العراق وإيران بين الشيعة والسنيين.. والدولة العثمانية غير آبهة بالخطر البرتغالي الذي سعى لتحطيم الاقتصاد... فلم تحرك ساكنا إزاء طرد المسلمين من الأندلس..

وفي هذه الآونة كانت أغلب الشواطئ المغربية محتلة من طرف العدو الطامع والأتراك يتربصون بنا الدوائر...

والدولة الوطاسية مكتوفة الأيدي عاجزة عن صد غارات المغيرين ورغم هذا الجو المشحون بالاستفزاز والمنذر بعدم الاستقرار والمليء بالكوارث والمحن... استطاع صاحبنا أن يتضلع بالمعرفة ويتسلح بالعرفان حيث تمكن من الإحراز على ثقافة واسعة ودراية أهلته بين علماء عصره رغم صغر سنه أن يحتل مكانة مرموقة في البلاط الملكي وأن يتقلب في وظائف هامة وقد ذهب عمه في مهمة دبلوماسية الى مالي والنيجر من قبل محمد بن الشيخ 1512 - وربما انتدب اليه السفارة وكانت هذه فرصة أخرى ليطلع على هذه الربوع المهمة باحثا عن الأمن والاستقرار وحز في نفسه وساءه أن يترك بلاد الأجداد التي آوته وشملته بالعطف ونعم فيها بالراحة والاستقرار النسبي... إلا أن في نفسه ريبة من أن تؤول البلاد الى ما آلت إليه الأندلس لا سيما والبرتغال احتلوا الشواطيء المغربية حتى أزمور سنة 1513 - وبينما هو في مباحثه... وعقد معاهدة الاخوة والصداقة مع الدول الأفريقية المجاورة والأخبار تتوالى عليه.. من التجار والمسافرين إذ علم أن المغاربة تجندوا للجهاد تحت راية الشرفاء السعديين...

فلم يكن منه إلا أن تابع سفره متوغلا في أفريقيا وكانت فرصة مكنته من الاطلاع عن كثب على أحوال أشقائنا الأفارقة متنقلا بين مدنها وقراها وأدغالها ومجاهلها.. واختراق جبالها وعبر أوديتها...

ومن أغرب ما شاهده في غينيا قبائل تحكم فيها النساء على الرجال يعرفون باسم شابولي... بحيث يخرج النساء للعمل والكسب تاركين الرجال لتربية أطفالهن وطهي الطعام وترتيب المنزل وإذا رجعن في المساء وجدنهم قد زينوا أنفسهم بالزهور والورود.. يستقبلوهم بالبشر والترحاب... وقد تتزوج المرأة أربعة رجال... وحينما تكون مع واحدة منهم تضع علامة على الخيمة فلا يدخلها بقية الرجال الآخرين... ويبدو أن جنس الرجال هنا معرض للسخرية والاستهزاء لتهالكه على الجنس وانصرافه عن العمل المثمر الخلاق.. همه الإدمان في الخمر والحشيش والإمعان في الشهوات البهيمية... وصاحبنا الوزان كأنه صحفي أو مصور... وكان لجولاته آثار قيمة ونتائج عظيمة... فهذه الرحلة مكنته من معرفة أحوال افريقيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والحربية.. حيث طلع بمعلومات ثمينة ووصل سفره إلى الحبشة ومنها عرج على السودان ومصر عن طريق النيل وزار الأزهر واتصل بالعلماء.. وألقى محاضرات قيمة.. وألقى دروسا في التاريخ والجغرافية.. ولكنه لم يستقر هناك.. ولعله لم يجد مشجعا على البقاء في القاهرة لاسيما إذ قويت المعارضة وكثر الحساد فسافر إلى مكة المكرمة حيث حج وزار المدينة المنورة حيث ترك آثارا حميدة وصدى طيبا... ومن ثم جعل يتنقل بين البلاد الأسيوية معلما وباحثا ومن تركيا عرج على اليونان... وتعلم اللغة اليونانية ليطلع على الفكر اليوناني ومن ثم ركب البحر لعله راجع إلى بلاده.

ولعل الأقدار لم تسعفه حيث طلع القراصنة المدججون بالسلاح على السفينة التي كانت تقله وجماعة من التجار المسلمين الذين معه فنهبوا ما في السفينة وقتلوا كل من سولت له نفسه روح المقاومة... وأخذوا الباقين أسرى... ومن بينهم صاحبنا الوزان وكان ذلك حوالي 1518 ولم يفكروا في بيعه في أسواق الرقيق مثل أصحابه.. ولعلهم لما وجدوا معه أوراقا أو مذكرة.. ويهمهم أن يطلعوا على مافيها لعلها تفيدهم وكان صاحبنا يحسن الإسبانية ومبادئ اللاتينية ملما بالديانات فأدرك قبطان السفينة أنه ليس أمام شخص عادي.. ولم يسبق لهم أن شاهدوا شابا ذكيا واسع الاطلاع غير هياب ولا متخاذل.. .. فقرروا الاحتفاظ به.. وأحسنوا إليه.. وظلوا في مراقبته وهو يتنقل معهم في الموانيء الأروبية.. ومن جنوى إلى نابولي ثم إلى روما حيث أهدى إلى (البابا) ليو العاشر... وحكوا له ما عاينوا منه... فاختبره هذا الأخير فلاحظ فطنته وشدة ذكائه وحسن اطلاعه ومعرفته بأغلب بلدان أفريقيا

وآسيا فقدر الهدية الثمينة... ورأى أن من الحكمة أن يرد إليه حريته وأن يشمله بالرعاية...

ويحسن بنا أن نشير إلى أن (ليو) هذا كان شغوفا بفتح أفريقيا وكان قد تباحث مع فرنسوى ملك فرنسا إذاك في مشروع هجوم على أفريقيا من ناحية تونس.. وطعن العثمانيين من الخلف وقد تخوف ملك فرنسا ولم يستطع أن يقحم نفسه في مغامرة قد تكون خاسرة لاسيما والأتراك العثمانيين في هذه الأونة قد استفحل نفوذهم حتى تلمسان...

وقد ثبت تاريخيا أن ملك فرنسا اعتذر للبابا وادعى بأنه لا يتوفر على معلومات تمكنه من الهجوم على افريقيا من ناحية تونس... ولا سيما أن العرب كدروع واقية أو كسد منيع تحفظ الشاطئ الافريقي... ومن هنا لا نستغرب إذا رأينا عناية البابا المتزايدة بهذا الشاب الافريقي وفسح المجال له ليتعلم اللغة الإيطالية ويطلع على لغات أخرى وأن ينهل من المكاتب وأن يتصل بالتجار القادمين من هنا وهناك لعله يستطيع أن يستفيد منهم أو يظفر بمعلومات تسهل عليه اقتحام البلاد أو على الأقل لتنشيط التجارة في بلاده... كما أننا لا نستغرب اهتمام البابا كرجل دين بالتجارة وبمعرفة طرقها وتهييء وسائل السبل وإذا بحثنا تاريخيا عن أسرة (المدتشي) التي ينحدر منها (البابا) والتي استمدت مجدها وثروتها من التجارة العالمية.. ومن هنا جاءت اللهفة الشديدة للتعرف بالعالم الافريقي وبرعاية ابن من أبنائها لعله يحطم بذلك السد العثماني المتين أو يحرز على واسطة العقد... وقد أفرد له منزلا فخما وأجرى عليه مرتبا محترما وهيأ له كل أسباب المتع لكي يتمتع بطيبات الحياة حتى ينسى بلاده، ولا يفكر في الرجوع إليها ثانيا...

وانكب صاحبنا على دراسة اللغتين ، اللاتينية والإيطالية... والاستزادة من الإسبانية ومراجعة المؤلفات بها... إلى أن اجتمعت عنده المادة الخام... ووضع البابا تحت تصرفه مكتبته الكبرى فنهل منها ما استحسنه... وكان يلتقي بالتجار والمسافرين فيستزيد منهم ما جد من المعلومات... ولما أتقن اللغة وألم بالديانة المسيحية حتى أصبح عالما بها جعل يقارع علماء إيطاليا ولم يجد البابا صعوبة في تنصيره... وربما تظاهر بالنصرانية من باب المجاملة أو اللباقة... وتسمى باسم (جيوفاني اليو) نسبة إلى البابا ولما علا كعبه في علم اللاهوت أصبحت له مكانة كبيرة بين علماء إيطاليا وقد أكبروا مواهبه واعترفوا بسعة اطلاعه لاسيما بعدما طارحوه في المسائل العلمية والأدبية والتاريخ والجغرافية وتفوق عليهم إذ كان غزير المعرفة واسع الأفق ذا فكر ثاقب ونظر نافذ ورأي صائب يحدثهم بالجديد ويفحم الحجة بالحجة ويصف لهم الأشياء حتى كأنهم يرونها يبهرهم بالمعنى الدقيق ويتفوق عليهم في تحديد المواقع والوقائع، حتى كأنهم عاينوا تلك البقع والحوادث يتنقل بهم من أودية إلى جبال. ليغوص بهم في الأدغال ويتنقل بهم من بحر إلى بحر ومن بلاد إلى قرى يطلعهم على العجائب والغرائب حتى أخذ بلبهم وأصبحوا لا يستطيعون فراقه ليلا ولا نهارا لما يدخل عليهم من السرور ويزيدهم من المعارف والحبور.

وفي سنة 1525 طلب منه العلماء تأليف كتاب ليكون لهم نبراس يذكرونه به فلبى طلبهم وربما ترجم المذكرة التي كانت معه إلى اللغة الإيطالية أو اليونانية. والمهم أن مؤلفه كان جديدا وسجلا حافلا بالمعارف والمعلومات ضمنه وصفا دقيقا وشاملا... سجل فيه ارتساماته ومشاهداته وما استقاه وعاينه في تلك الأقطار النائية وما فيها من العجائب والغرائب والطيور والوحوش والزواحف والهوام.. والبحيرات والجبال والأدغال والفواكه والخضر.. والمعروف أن في وسط افريقيا غلة تسمى بالبابار لذيذة الطعم عذبة المذاق ولها خصائص عجيبة تشفي كثيرا من الأمراض بسرعة مذهلة.

وقد جاء كتابه وصفا حيا دقيقا لتلك الأقطار وما حباها الله به من خيرات ومناظر طبيعية ساحرة تشتاق إليها النفوس... وترتاح لها القلوب.. فكان مطابقا لروح العصر.

أسلوبه وطريقة سرده :

لا تتجلى قيمته فيما أطلعنا عليه فحسب بل في كيفية العرض والتحليل وبداء ملاحظته الشخصية والإنسانية شأنه شأن علماء عصره كابن خلدون وغيره.

ورغم أنه تضلع في اللغات الأجنبية فإنه احتفظ بالطريقة العربية المثلى. والروح الإسلامية النبيلة في شكل العرض والسرد والتبويب والوصف والتصوير.. والنقل بأمانة وإخلاص... جمع فيه بين الأسلوب العلمي والقصصي الطريف... وقسمه إلى تسعة أقسام... ومع أن القسم التاسع علمي محض في مضمونه فإن العذوبة تتجلى في شكله.. كما أن الروعة والدقة والإتقان تستشف فيه من الفوائد والعبر وبسط المواضع واستخلاص النتائج شأنه في ذلك شأن أدباء عصره.

يرد علينا سؤال مهم هل عاد الى الدين والوطن ؟

أنا لا أجزم بتنصيره لكن الذي يبدو لي من طريقة فراره إلى افريقيا ثانيا.. أنه كان يحن إلى وطنه، وقد ظل مشتاقا إلى أهله ووطنه لم ينس أحباءه الأولين. والوطني وطني والمسلم الذي تمكن منه الإسلام في نفسه لاخوف عليه ففطرة العقوق والجحود تزول مع زوال سن المراهقة أو الشباب ويرجع المسلم إلى إيمانه الصحيح وإلا كيف نفسر هروبه من روما مع أنه كان يحيى حياة البذخ وأن البابا قد أضفى عليه مايستحقه شاب ذكي مثله... وقد تفتحت له سبل الرقي ومناهل العرفان ومع ذلك يترك هذا كله ويبحر إلى تونس ويعتكف بمسجدها الأعظم... لعله كان يتحين الفرصة وأنه ظل يعاني الشوق ويتجرع الغصص مما يصله عن طريق المسافرين من أخبار والشهم لا ينفر من أرض بها قبائله ولا ينسى دارا بها قوابله.. ظلت نفسه متعلقة بوطنه إلى أن واتاه الوقت وعدلت عنه أعين الرقباء، فأبحر 1550 إلى تونس الخضراء واعتكف بجامع الزيتونة ينشر العلم ويشع العرفان ويؤدي فروض الصلاة وقد أحبه أهل تونس الأبرار وتشبثوا به ولعل في نيته الرجوع إلى فاس لكن المنية عاجلته سنة 1552 في عهد آخر ملوك بني حفص وقد شيع جثمانه في جمع غفير وترحم عليه أهل الصلاح... ولنا عودة بحول الله في تحليل كتابه والتوسع في حياته أكثر...





للأستاذ محمد محمد العلمي

> من وحي خطاب مولانا أمير المؤمنين ، الساهر على خير الدنيا والدين، صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ أيده الله ونصره ـ في افتتاح السنة التشريعية الخامسة، وذلك بمجلس النواب، عشية يوم عيد الأضحى، الجمعة 10 ذي الحجة عام 1401 هـ الموافق 9 أكتوبر سنة 1981م

يا شاعر الأمجاد هات المطلعا ... شهدا، وشنف بالقريض المسمعا

فلقد تداركنا الإله بلطفه، ... والصبح لاح لنا أجد وأنصعا !

وأطرب لوحدة شعبنا بإمامه، ... فالويل كل الويل أن يتوزعا

والقصد منا واحد، حتى إذا اخـ ... ـتلف الطريق أمامنا وتنوعا

فالشعب في طول البلاد وعرضها، ... بالله والملك الهمام تشبعا.

إنا لنؤمن بالكتاب جميعه ، ... هيهات أس الذات أن يتضعضعا !

وأرى الدليل على السريرة واضحا، ... لا ما افتراه المستخف وما ادعى

فلقد رضعنا العشق في أثدائنا ... للعرش، إذ كان الوفاء المرضعا

والذات جوهرنا المتين بعرشنا، ... فكياننا حشاه أن يتصدعا !

والموكب الجبار ماض للعلا، ... ما ضره من قد طغى وتنطعا ،

إنا كأطلسنا المنيع، بطبعنا ... في بأسنا المعهود لن نتزعزعا

ما كان منا أو إلينا من غدا ... عن مسلك العادين لن يتورعا !

ومن ابتغى غير الجماعة، ساخرا ... بالمكرمات، فما عسى أن يصنعا؟!

٥ × ٥

دستورنا رمز الضمان لأمة ... تبني لوحدتها الكيان الأمنعا

في حرمة الدستور نحفظ عزنا ... حتى ننال به المقام الأرفعا

إن النظام، مع الولاء لعرشنا، ... بهما لقد عشنا الأمان الممتعا

وجماعة الإسلام حول مليكنا ... من حسن حظ صفوفها أن تجمعا

وترابنا الوطني أعلى مكسب ... قد صانه راع بهمته رعى

حسا ومعنى عرشنا رمز الهدى، ... فلقد سقى كل القلوب وأترعا

وخديم هذا الشعب أجدر بالعلا ... والنصر، فليبق الملاذ المرجعا !

إن المسيرات التي يسعى لها ... قد أدهشت بنظامها المتتبعا

في كل ملحمة له أحدوثة، ... فنراه بالغالي النفيس تبرعا

ضحى، فضحى شعبه في نخوة، ... وضميره عما يشين ترفعا

فالعرش في تاريخنا رمز الوفا ... إذ كان فينا للتناصح منبعا

والحكم شورى لا يحيد عن الهدى، ... والعرش دوما بالحقائق اقنعا

فعلى أساس من كتاب منزل، ... والسنة الغراء كان مشرعا

وسيادة القانون رمز وجودنا ، ... ما كان أهدر حقنا أو ضيعا

حاشا وكلا ! فالحمى قد صانه ... عرش مجيد بالجهاد تولعا

من كان يهدي شعبه لصلاحه ... وفلاحه، أخلق به أن يتبعا !

فالعرش أصدق ساهر، يرعى الخطى ... بأمانة، ويصد عنا المطمعا

يمضي لخير مسيرة، بقريحة ... تسمو بدنيانا وأخرانا معا !

ما خاب عرش مخلص متبصر ... متفتح، شهم، بذمتنا سعى

فهو الطبيب الماهر الفذ الذي ... يعطي بفطنته الدواء الأنجعا

وهو الخطيب الكفء يطفح حكمة، ... ويسوق تفصيل البيان مرصعا

وضع النقاط على الحروف صراحة، ... وارتاح إذ قصد المجال الأوسعا

صدقت فراسته، فكان لشعبه ... أدرى بما ضمن السبيل الأنفعا

يدعو، ويستفتي بصيرته التي ... تحمي الحمى، مما غدا متوقعا
لا يرتضي لبلاده أحدوثة ... من فتنة ... لا يستسيغ تميعا !
فقريحة الحر الأبي تهزه ... هزا، ليجهر بالصواب ويصدعا!
والغوص في الأعماق، في بعد الرؤى ... أجدى لمن خبر الحياة ومن وعى
وحصانة الأوطان في توحيدها ... بالعرش، من سكن الحشا والأضلعا
رسم الطريق المستقيم لشعبه، ... من لايزيغ عن الجماعة إصبعا
فالمغرب الحر الوفي لعرشه ... يبقى دواما للخلافة مربعا
(إدريس) يشهد، والخلائف بعده ... شعبا نبيلا، للشريعة طيعا.
ما كان يرضى في الشرود مساره، ... أو كان يوما للضلالة مرتعا !
فاسلم أمير المؤمنين لأمة ... منها غرامك في الصميم تربعا

إنا فؤادك، نستجيب بطبعنا ... لندائك الغالي، ونحمي الموقعا
في الذات، في عمق الضمير، توطدت ... تلك الوشائج حيث راقت موضعا
بالفهم، بالعقل السليم، تعلقت ... روح لشعب هب نحوك مسرعا
في ظل عرشك للسلام بشارة، ... بضمانها الشعب الوفي تمتعا
إذ أنت مصدر عزنا بين الورى، ... وسناك قد عم الجهات الأربعا
فاهنأ بعشب أنت أنت هناؤه، ... فلقد أتاك جميعه متطوعا !



جدلية الإعلام الإسلامي

للأستاذ مصطفى بوهلال

هل انتهى بحق، واجب الجهاد، في عصر وجد المسلمون فيه أنفسهم ضمن مجموعة (الدول المتخلفة) ؟.

قد تتشعب بنا الثنايا، ونحن نفحص القضية المطروحة، غير أن الأهم فقهه هو : ما مفهوم «الجهاد» وما وسائله ؟ ربما أقول : الكفاح المسلح والمواجهة بالعنف، فتقول أنت : وإنه أيضا الدفاع المستميت عن الحوزة، بالكلمة. إنه مقاومة الباطل بالتبشير لتباشير نور الحق. إنه الذود عن المبادىء العقائدية، وبها. بأسلوب النضال السلمي ـ على ما فيه من تضحيات ـ دون توقف أو وهن... ألا تعي معي، أبعاد ذلكم المشهد الأسنى، والأعمق، أيام مكة السيف ؟ فها هو الداعي صلى الله عليه وسلم يبث محتوى الرسالة مجاهدا، في ثبات وصمود، دونما رفع سنان رمح أو نزع غمد. فالفرصة لم تسنح بعد لغير الجهاد السلمي ! ألم تر أن وقع (الكلمة الحق) أحد ـ يوما ـ وأمضى من ضربة السيف المهند ؟

وفي زماننا، لئن تعدد الهجوم المسلح على الإسلام، فقد صاحبت ذلك هجمات اعتى وأشد هولا. فلن نبرح كاشفين عن كمائن وغزوات فكرية، جدلية، بحثت لنفسها عن شرائط للبهرج الأخاذ والجذب السريع، والتغرير السمج، فأتتها شوقا.. وما أشأم هاتة «الصورة» الجديدة من حرب الردة وهي تجهز على الإسلام في أربطته !.

فهل انتهى الجهاد ـ بعد هذا ـ وهو أقدس أقداس ما في الدعوة ؟ كلا، وألف كلا. ومعنا كتاب الله تبارك : «يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل» (1). «وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» (2).

---

1) سورة التوبة، آ = 38.

2) سورة التوبة، آ = 122.

إن النفر لواجب ؛ طائفة وجهتها الغزو الفاتح لدين الله. ومجموعة بغيتها الدرس الثنائي الغاية ؛ التفقه والإنذار. وفي هذا جمع لطرفي التصدي لجبهات التحدي الساقل..

وتطبيقا للأمر الإلهي، التزم ذوو العزم انتهاج المسلك. كما تجلى - لقرون - في أنظمة (الرباطات) تلك المؤسسة على مدارسة ركائز الدعوة وألوان المعرفة والتدريب العسكري. ولنا في أسد بن الفرات - منشئ الأسدية وفاتح صقلية - أنصع الشواهد المتلألئة من رباط سوسة.

نعم، قد تنتأ فترات مؤقتة، عرضة لإرادة (التغيير المسلح) فما جاء هذا برهانا على الخدش من شرعية الحملات الدعائية. ولا دافعا للإحباط والإنتكاس وتعطيل «ثورة القلب» اقرأ معي - أمدك الله بأيد منه - مقولة الداعي محمد صلى الله عليه وسلم : «من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان».

وأراك مدركا المعنى الثري لمدلول التغيير باليد. وباللسان. وبالقلب. ذلك أن التغيير باليد يعم جميع ما تقدر اليد على إنجازه من حركة، فمقاومة المعتدي (3) بأداة يمسكها الكف ؛ فعل. وهذا تغيير. وصد شبهة في الدين بآلة تعبير تشدها اليد إنجاز. وهذا تغيير أيضا. وقس مثل ذلك في النضال اللساني. وفي الصمود القلبي !

روى البيهقي من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند قفوله من إحدى غزواته ؛ «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر - قالوا ما الجهاد الأكبر - قال - ؛ جهاد النفس».

انبثاقا من هذا المرتكز، تتكشف منزلة الحوار الإعلامي الإسلامي، في مجال التحمل، والتبليغ، والمدافعة.. وهي منزلة مرموقة، يزيدها نقاء ؛ التأكيد على جسامة وظيفة الإعلامي باعتباره منشط الحوار وباعث الحرارة فيه.

وعليه، يرد العمل الإعلامي، من أخطر صور المواجهة. وعليه يتوقف طي مراحل الفوز وتأمينها أو تمطيطها وتصعيد ضراوتها... ومن ثمة أتت الوجاهة، وبان وجه المزيد من الإحكام.

ولمزيد اطمئنان، تمعن وإياي، الأحدوثة التي أوردها ابن هشام في سيرته بالجزء الأول، عن أبلغ الإعلاميين جعفر بن أبي طالب بمجلس دفاع إعلامي بمحضر النجاشي وداهيتي قريش ؛ عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص... فقد نجح الإعلام الصدق وذهب الزبد، وشرفت المسيرة واستنار الإنسان بنور الحكمة.

أما اليوم، فمن يمثل الإعلام ؟ بكل تأكيد ؛ أنا وأنت وبيان أوضح ؛ كل مؤمن بالدين القويم - عقيدة وشريعة وحضارة - (4) وعلى مستوى أخص ؛ الإمام، والمرشد الديني - بتعبير العصر - والمربي، والصحافي المختص في الإسلاميات، ذلك الذي أريد أن تجيء «حياته جهادا في سبيل الله، يعرض قضايا المسلمين العادلة في قوة ووضوح، ويدافع عن حقوقهم بإصرار وتصميم يناهض كل معتد عليها أو غاصب لها ولا يخشى في الحق لومة لائم» (5).

---

3) أستعمل (المعتدي) بالمعنى الواسع، فالمتجسس على المسلم ؛ معتد وصور الدعارة، والرذيلة، معتدية على أخلاقيات المسلم، والقاذورات الجرثومية معتدية على صحة المسلم...!

4) «يقول الدكتور محمد حسين الذهبي في رسالته (مشكلة الدعوة والدعاة) ؛ الدعوة إلى الله واجب عام ومسؤولية الوفاء به في أعناق المسلمين جميعا...» مجلة دعوة الحق، س 21 ص 69.

ولئن جعلت المجادلة بالتي هي أحسن ركنا أساسيا في منهجية الإعلام الإسلامي (6)، فإن هذا يحركنا إلى استقصاء أمر المجادلة بالحسنى. فما معنى تصيد «الحسنى» عند المناظرة ؟ أهي لطف الأخلاق ـ مثلا ـ واللين. وكفى (7). أم إتيان الحوار على أحسن الطرق وأفضل الأساليب اللامة من الأخلاق بالطاف، ومن المعرفة بأطراف، ومن السياسة والمنطق بعمد، ومن الوسائل الحسية بركائز ؟!

في زعمي، تجيء الصورة الأخيرة هي الرؤية الأمثل والأوجب. ما ذلك إلا لما يحف دور الإعلامي من تحديات لها كذلك منظورها النظري الخاص، ذاك الذي لم يحرم ـ على الأقل من وجهة نظر أصحابه ـ من متانة السبك، وصلابة العجم، وأسباب الذيوع !

ومن منا له الجرأة على إنكار الوعي الحضاري الممتد الجذور والآفاق، أو على جحود أبعاد الترابط والتمازج بين المدنية الغربية والحضارة الإسلامية ؟

عند هذا الموقع، تصدر رجل الإعلام الإسلامي، لا ليلقي (دروسا لتعليم نواقض الوضوء ومبطلات الصلاة)... (8) بل لينفع الناس، على اعتبار أنه المحور المحرك في قضية الحوار التحليلي للنظام الإقتصادي والإجتماعي والسياسي... في الإسلام (9).

وإنه ليتراءى لي، من دعوة الله سبحانه إلى (إعداد القوة) لتأمين سبل الدعوة وكسب قضية الجدال، حيث قال تعالى عزه : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون» (10). قلت : يتراءى لي، من ذلك، أن من درجات الحركة، نحو الإعداد للقوة : إعداد القوة البشرية (11)، فهي أثمن وأوعى، وهي الفاعلة، بيدها باقي أصناف القوى الأخرى، خاصة في عهدنا الحاضر. وفي الآية جمع للأمر بإعداد القوة، وتحضيض على الإنفاق في سبيل الله، ومن أوجه الصرف : النهوض بأعباء الإعداد الإعلامي، فكيف السبيل إلى إعداد رجل الإعلام ؟ أو بالأحرى : ما علائم منهج تخريج أنفسنا على «الجدل بالحسنى» ؟.

أ) بالإطلاع الدائب، على أصول العقيدة، وأبعاد فرائض التعبد وبواطن رغائب التعامل، لوعي نظرية الإسلام المتكاملة في انسجام وشمولية (12).

ب) بانتهاج الأسلوب الحاوي لدلائل الترغيب وملامح التوضيح (13)، بعيدا عن «البكائية» و«التشاؤمية»

5) مشروع ميثاق شرف الإعلام الإسلامي، د. محمد عبده يماني، مجلة دعوة الحق، س 21 ع 6 ص 34.

6) يقول الله تبارك شأنه : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن». انظر مجلة دعوة الحق، س 20، ع9 الافتتاحية.

7) انشئت في القديم رسائل في آداب المجادلة تدعو إلى حسن المعاملة وتبادل الإحترام. انظر الغزالي في فاتحة العلوم، فصل 5، ص 47.

8) كلمة جلالة الملك الحسن الثاني عند إنشاء المجلس العلمي الأعلى بالمغرب، دعوة الحق س 21، ع 1 ص 16.

9) نفس المرجع السابق فليراجع.

10) سورة الأنفال آية 60.

11) روى مسلم عن عقبة بن عامر، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»، «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» وهذا لا ينفي كون غير الرمي من القوة.

قد يصح حمل الحديث على التمثيل لا الحصر، ومن ثمة نحاجل المفسرين منحى توسيع مفهوم إعداد القوة ليشمل ما يمكن إبداعه من قوى يتقوى بها على العدو.

12) أنظر كلمة جلالة الملك الحسن الثاني عند إنشاء المجلس العلمي الأعلى بالمغرب، دعوة الحق، س 21 ع 1، ص 16.

13) يصر أبو علي السكوني ـ وأمثاله ـ على تسيير الحوار بطريقة : «ترغب في سمعه الأذان، ويسهل مدركه على الأذهان» عيون المناظرات ص 14 ـ تحقيق سعد غراب ـ منشورات الجامعة التونسية، سنة 1976.

عند تناول الإسلام والعصر والمستقبلية. فإنك إن لم تفعل كنت منفرا. أو ناشرا القتامة والسوداوية زارعا طفيليات قد تدعدع راسخ اليقين وثابت الإيمان برحمة الله... إن البكاء على الإسلام لن يفيده في شيء مع غياب محاولة التركيز على نوعية (الوهن) لاستئصال شأفته. فليس الدين عواطف هوجاء عمياء. إنما هو وجدان هادف واع متعقل. بل قل - إن استقامت العبارة - : هو القلب النابض العاقل بنور الله.

شكا - يوما - رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يتخلف عن صلاة الصبح مع الجماعة. لأن فلانا يطيل بالناس. فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : «إن منكم منفرين. فأيكم صلى بالناس فليتجوز - فليخفف - فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة».

ج) بالتعويل على انتهاج مسلك يتلاقى والمستوى الحضاري لناس العصر. بتعبير موسع : تلح ضرورة الزمان والمكان على اتخاذ (صيغة جديدة) في المخاطبة وعند التعامل مع النصوص. لإثراء المعرفة بتوليدات يطيقها النص ويتقبلها المتلقي. وأسوق المثال : الطهارة. فعند تناول الوضوء. إن استبد الحديث بتعداد الفرائض والسنن والمستحبات وكفى. لإنسان اليوم. سوف نجده لا يستسيغ منا ذلك أو هو سيتنحى من حلقتنا لما طبع عليه من طلب التعليل. وتقصي الغايات. واستحضار الإمتدادات التشريعية. فالإعلام والتوعية سيساهمان - بلا شك - في السمو بالفرد والجماعة وبالعقيدة نفسها. وفي مثالنا. نميل إلى ملاحقة الدواعي والأهداف لنفقه - مثلا - سر استحسان الإسلام لتقليل الماء عند الوضوء وطلبه طهارته : مشاركة منه في الحفاظ على أثمن ما في الحياة من عناصر. وفي لفت الأنظار إلى ذلك حتى يتقوم السلوك البشري مع المياه. كما نميل إلى إبراز مدلول الوضوء أصلا. ألا وهو التنظف اتقاء من الجراثيم والعدوى وقبح المنظر... (14)

د) بتكثيف الاتصال المباشر بالجمهور. إن في شكل ندوات أو في صورة دراسات ميدانية. وذلك لرصد مشاغلهم وتحديد اتجاهاتهم والتعرف على نمط تعاملهم. فإنه بقدر معرفة الداء يأتي الدواء أنجع وأفيد.. شريطة الاستفادة بعلم النفس الإجتماعي. تمتينا لعرى التخاطب. وجلبا لأواصر الإيجابية.. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة. خذ لك شاهدا لذلك : خروجه إلى ثقيف بالطائف. ووقوفه على منازل القبائل العربية : «قال ابن إسحق : وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة (وهم أهل اليمامة) في منازلهم فدعاهم إلى الله. وعرض عليهم نفسه. فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم»... (15).

... فإن تقومت الدعاية للإسلام. بالمنهجية السليمة. لاشك سيحصل الإقتناع الواثق. والإقتراب المكين. والوعي المركز. وذلك هو الإيمان الخادم للمسلم دنيا وآخرة. وكذلكم لهو «موقف الجهاد في سبيل الله بمعناه الإسلامي الطاهر وهو بذل الجهود بالنفس والنفيس والعلم والمال والصدق والرحمة» (16).

وقديما. أدى العلماء. دعاة الرسالة المحمدية. رسالتهم. فأحسنوا النهوض بواجب التبليغ وشرفوا به.ذلك أنهم تصدوا الهجمات لافحة. وتربصات صالية. من فاسد المذاهب. ووثني النحل. وباطني الشيع. وبهرج الوارد الدخيل. فابتدأوا بإدراك دعاوي التفكير الجديد. وسبر ثنايا

---

14) لا أدل على تخلفنا عن الإيفاء بمثل ذاك. من تيقظ الراسخين في العلم لتنظيم الندوات كندوة حج 1397 هـ بمنى - أنظر من منشورات وزارة الحج والأوقاف بالمملكة السعودية : (التوعية في الحج. والحج والتضامن الإسلامي).

15) السيرة النبوية لابن هشام ج 2 ص 65. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

16) د. المهدي بنعبود. مجلة دعوة الحق. س 21 ع 6. ص 24.

المنطق الأخاذ. ثم حلت فرصة الوثوب والإفراز. بعد التمثل والإحتواء. فتبددت سجوف (17) التهافت. وسقطت أحابيل الإيقاع. ووهنت أنسجة التشكيك وشباك التغرير. وتلاشت مخططات الردة والإحتواء. نزكت ألوية حماية الدعوة.. وجميع ذلك انعقد بالتي هي أحسن ! (18).

وبعد... فهل وعى كل منا دوره الإعلامي على هدى ما استعرضت من أقباس..؟ أمل ذلك !

وتبارك المولى وهو خير القائلين : «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين».

مـاكن (تونس) - مصطفى بوهـلال

في العدد القادم

التعامل المغربي التونسي

في نهاية القرن 18 وبداية القرن 19، بين الشمول والتكامل

للأستاذ مصطفى بوهلال

---

17) سجوف التهافت : ظلماته.

18) «... وهو جهاد علمي طويل النفس وعظيم التكاليف اقتضى من البعض التضحية بالحياة فداء للعقيدة...» الأستاذ عبد القادر الادريسي. دعوة الحق. س 21. ع6.

المصادر التراثية في المسرح المغربي

للأستاذ محمد أديب السلاوي

يصدر قريبا عن دار مغربية للنشر كتاب جديد للكاتب محمد أديب السلاوي حول تاريخ المسرح المغربي تحت عنوان : «الاحتفالية والتراث في المسرح المغربي».

وهذا فصل من الكتاب خص به الزميل السلاوي مجلة دعوة الحق، يستعرض فيه المصادر «التراثية» في المسرح المغربي.

استعرضنا في الفصل السابق جملة من المواقف المطروحة على الساحة العربية من قضية التراث، مؤكدين على تبني الدعاوي الجادة لإعادة قراءة هذا التراث واستنباطه وتوظيفه في العمل المسرحي خاصة. كما استعرضنا جملة من الآراء المتصلة بمنهج التعامل مع التراث...

وإننا إذ لم نحدد طبيعة هذا المصطلح «التراث» في الفصل السابق، فإننا نجد أنفسنا ملزمين هنا بتحديد طبيعة هذا المطلح قبل الشروع في دراسة مدى العلاقة بين التراث والمسرح المغربي خلال الفترة التاريخية التي تهم دراستنا هذه.

فماذا نعني بالتراث في هذا المجال ؟

1 ـ التاريخ المشترك للأمة العربية (المسلمة)، وما يتضمنه من مواقف ومعارك وشخصيات فكرية، وحربية، وإنسانية.

2 ـ تاريخ المغرب قبل وبعد الفتح الإسلامي، وما يتضمنه من مواقف ورجالات في العلم والسياسة والآداب والفنون والحروب.

3 ـ تراث القصص الشعبي المغربي العربي، المستمد جذوره من الحضارة العربية الإسلامية، والذي أكسبه الوجدان الشعبي تمايزا خاصا، والذي لا يزال يتجدد من خلال هذا الوجدان.

4 ـ الفنون الشعبية المغربية، من تقاليد، وفلكلور.

5 ـ الأدب الشعبي المغربي، وما يتضمنه من أشعار (جزلية) وأمثال، وحكايات، وأساطير، وألعاب احتفالية.

6 ـ القرآن الكريم السنة النبوية الشريفة السيرة.

7 ـ الكتب الوثائق التاريخية المشتملة على أخبار العرب وفنونهم، وأمثالهم، وسير أبطالهم.

وإن هذا التجديد سيضعنا بلا شك أمام جملة من الحقائق الهامة المتصلة بتوظيف المسرح المغربي منذ العشرينيات من هذا القرن للتراث المغربي العربي، كما سيحدد لنا من جهة أخرى أشكال هذا التوظيف من الناحيتين الفنية والتاريخية.

لقد اعتبر العديد من الباحثين في تاريخ المسرح المغربي، أن علاقة التراث بالمسرح في المغرب جد حديثة، وان استخدام التراث لم يتبلور كاتجاه إلا في السنوات الأخيرة. إلا أن رصدنا لحركة المسرح المغربي (1) منذ ظهور أول فرقة مسرحية قادنا إلى حقيقة هامة، وهي أن استخدام التراث واكب الحركة المسرحية منذ قيامها إلى الآن.

فمن خلال مراجعة بسيطة لجدول المسرحيات التي أنجزتها أقلام مغربية ابتداء من العقد الثاني من هذا القرن، سيتبين لنا أن التراث المغربي العربي - كان أهم موضوع للمعالجة المسرحية.

فبين سنة 1923 و1935 انجزت الأعمال التالية :

أ - مجنون ليلى... للأستاذ محمد القرى (2).
ب - العباسة أخت الرشيد للأستاذ المهدى المنيعي.
ج - بلال يعذب للأستاذ العربى الناصري.

وهذه الأعمال جميعا، استلهمت التراث العربي الإسلامي ووظفت، توظيفا جيدا في أعمال مسرحية ما زالت تحتفظ بقيمتها الأدبية والتاريخية.

وقد ارتكزت هذه الأعمال من حيث موضوعاتها على القيم العربية الأصيلة، وعلى إبراز مفاخر العرب، وبطولاتهم، وشهامتهم، وكرمهم، مع عرض لأمجادهم التاريخية والحضارية.

وإذا ما عدنا إلى النصوص الأصلية لهذه الأعمال، فيمكن أن نخرج منها بالملاحظات التالية :

1 - بصرف النظر عن القيم الفنية، فإن هذه الأعمال نقلت التاريخ العربي بوقائعه وأحداثه بصدق إلى الخشبة.

2 - ان نزوع هذه الأعمال نحو التأكيد على القيم العربية، كان هو جوهر هذه الأعمال من الوجهة السياسية والفكرية.

3 - ان اللغة التي استخدمها المؤلفون في هذه المسرحيات، لغة فصحى، شاعرية، دقيقة، قريبة إلى لغة القوامين منها إلى لغة المسرح.

4 - ان مؤلفي هذه المسرحيات لعبوا دورا سياسيا واجتماعيا هاما في زمنهم السياسي، فجاء مسرحهم منسجما مع دعواتهم الوطنية والسياسية، ومن ثمة فإننا نعتقد أن استخدامهم للتراث العربي لم يتأت عفوا في تلك الفترة الهامة من تاريخ النضال السياسي في المغرب، إذ كان هذا الإستخدام يدخل في إطار التأثير على عروبة المغرب، واستنهاض مواقف البطولة العربية كأحد أساليب إيقاظ الوعي القومي، وبعث الشعور الوطني.

وبين سنة 1923 - 1956 أنجز المؤلفون المسرحيون المغاربة الأعمال التالية :

أ - المنصور الذهبي - للأستاذ محمد بن الشيخ.
ب - مصرع الخلخالي - للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي.
ج - سليمان القانوني - للأستاذ حسن السايح.
د - الوليد بن عبد الملك - للأستاذ محمد الحداد.

وسمة هذه الأعمال المسرحية، أنها وظفت التراث / المغربي / العربي / الإسلامي / على أساس مصدرين هامين : تاريخ المغرب، وتاريخ الحضارة العربية، بما تضمن من شخصيات، ومواقف، وبطولات.

وإننا إذ نعفي أنفسنا من تلخيص هذه الأعمال (3) لأن عناوينها كافية للدلالة على محتوياتها، فإن طبيعة البحث لا تعفينا من الوقوف عند الظروف السياسية التي طبعت هذه الظاهرة.

ان الفترة الفاصلة بين سنة 1912، وسنة 1955 انطبعت بذلك النضال المؤمن ضد كل أنواع الهيمنة الإستعمارية، سواء منها المتصلة بالأوضاع الإجتماعية والإقتصادية، أو المتصلة بمظاهر الثقافة والتعليم والسيادة الوطنية.

لقد خاض المغرب خلال هذه الفترة عدة حروب ومجابهات مع الإستعمارين الفرنسي والإسباني لتأكيد حضوره على الساحة العربية والدولية، في وقت كان المسرح يختار من جهته - تدعيما لهذا النضال - شخصيات إسلامية، طبعت التاريخ العربي ببطولتها وجهادها في سبيل اعلاء كلمة الله، مثل شخصية المنصور الذهبي، أو

---

1) راجع في هذا العدد جدول المسرح المغربي منذ سنة 1921 في آخر هذا الكتاب.

2) حكمت المحاكم الفرنسية على الأستاذ محمد القرى بالأشغال الشاقة المؤبدة في بداية الأربعينات من أجل أفكاره السياسية، واغتيل داخل أحد السجون المغربية سنة 1937، وتمكن مراجعة ترجمة مختصرة لحياته، في مقالنا بمجلة «الايمان» الرباط والمعنون بـ : محمد القري من أدباء اليقظة.

3) فيما يخص مسرحية (مصرع الخلخالي) تمكن الرجوع إلى تلخيصها في البحث الخاص بـ أحمد عبد السلام البقالي من هذا الكتاب، أو في بحث الأستاذ العلامة عبد الله كنون في كتابه القيم أحاديث عن أدب المغرب الحديث.
أما فيما يخص المسرحيات الأخرى، فيمكن مراجعة أبحاث في المسرح المغربي للأستاذ الحسن المنيعي (صوت مكناس 1974) أو كتابنا : المسرح المغربي من أين وإلى أين (دمشق 1975).

شخصية سليمان القانوني، والوليد بن عبد الملك وهي شخصيات ما زالت بصماتها مطبوعة على الحياة العربية المعاصرة.

إن اختيار شخصيات بطولية من هذا النوع، كان هدفه الأول إبراز انعكاسات الأحداث الماضية على الحاضر الوطني، وتأكيد ذلك الترابط الروحي والتاريخي بين المشرق والمغرب، والقائم على النضال المستمر والدائم ضد كل أنواع العبودية والسلطوية والإستعمار.

ويمكن التأكيد هنا، أن تحريك هذه الشخصيات وغيرها (4) على المسرح المغربي، لعب دوره كاملا في إذكاء الوعي، وإيقاظ الشعور القومي من أجل وحدة الصف العربي، وضرورة التعجيل بالإستقلال الوطني.

وفي إطار مراجعتنا لهذه النصوص، سواء التي اتخذت التاريخ المغربي، أو التي اتخذت التاريخ العربي الإسلامي مصدرا أساسيا لها، فإن طبيعة البحث تلزمنا بأن نسجل الملاحظات التالية :

1 ـ أن الشخصيات التاريخية رسمت بشكل عام سطحية يغلب عليها طابع الإبهام والجمود والتفكك.

2 ـ أن هذه الشخصيات كانت في الغالب ـ كما هو الشأن بالنسبة لشخصية العباسة أخت الرشيد، أو شخصية المنصور الذهبي، كانت قريبة إلى المذكرات التاريخية منها إلى العمل الدرامي.

3 ـ ان مؤلفي هذه المسرحيات على العموم، نقلوا الأحداث التاريخية بأمانة مبالغ فيها، ضيعت على النص المسرحي سماته الدرامية والفنية.

4 ـ ان مؤلفي هذه المسرحيات اقحموا أنفسهم كطرف أساس الشيء الذي ضيع على العديد من هذه الشخصيات طابعها التاريخي، ودورها الدرامي.

5 ـ من حيث اللغة، إن البناء الفني لجل هذه الأعمال كان أقرب إلى القصيدة العمودية منه إلى الحوار المسرحي.

6 ـ ان هذه الأعمال جميعا شحنت بمنولوجات طويلة مملة ضيعت على العمل المسرحي صبغته الفنية، وأسقطته في متاهات الخطابة الشعرية.

إلا أن هذه الملاحظات لا تنقص من قيمة هذه الأعمال، خاصة وأنها ترتبط بتاريخ ظهور الأدب المسرحي في المغرب، وتسجل فترة من أهم الفترات في تاريخنا الوطني... والرجوع إليها والبحث في موضوعاتها وأساليبها، ومناهج كتابتها، أضحى ضرورة نقدية وفنية وتاريخية هامة.

إن قيمة هذه النصوص، تكمن في أنها اعتمدت على التراث اعتمادا كليا، وانها أنجزت في وقت مبكر من هذا القرن، حيث كانت الدعوة السلفية للرجوع إلى التراث العربي الإسلامي، تواجه بأشكال مختلفة من التحدى والتصدى في العالمين العربي والغربي، وفي وقت انطبع بالصراع والمواجهة بين العالم العربي الرازح تحت نير الإستعمار، وأروبا القابضة بزمام السلطة والسالبة لإرادة الجماهير العربية في المشرق والمغرب.

ومن ثمة فإن اعتماد هذه النصوص على التراث، واتخاذها للتاريخ وشخصياته، موضوعا للمعالجة المسرحية، جاء نتيجة لهذا الصراع الذي اتخذ في المغرب شكل المواجهة والتحدى.

ولأن هذه الفترة (1923 ـ 1955) كانت مميزة بالكفاح الوطني وسلسلة من الثورات الشعبية ضد الإستعمارين الفرنسي والإسباني في جنوب وشمال المغرب، فإن الإنجازات المسرحية قد انطبعت بهذه الفترة... وبما عرفته من صراع ومواجهة...

فكيف كانت سمات المسرح التراثي في المغرب بعد سنة 1956 ؟

فإذا رجعنا إلى جدول الأعمال المسرحية التي أنجزت بعد هذه السنة، سنلاحظ أن الأعمال المستقاة أو المستفيدة أو الموظفة للتراث كانت كالتالي :

1 ـ الحلاج يصلب مرتين، لمحمد قاوتي.
2 ـ معركة وادي المخازن، الطيب الصديقي
3 ـ المغرب واحد، الطيب الصديقي.
4 ـ سيدي ياسين في الطريق، الطيب الصديقي.
5 ـ مقامات بديع الزمان، الطيب الصديقي
6 ـ مولاى اسماعيل، السعيد الصديقي.
7 ـ ديوان سيدي عبد الرحمن المجدوب، السعيد الصديقي.

---

4) قدم المسرح المغربي مسرحيات أخرى من نفس النوع التاريخي لمؤلفين عرب أمثال : أحمد شوقي، ونجيب حداد، ومخائيل عيسى سابا، وغيرهم. وحيث أن موضوع دراستنا هو المسرح المغربي فلا نجد مبررا كافيا لذكرهم أو الحديث عنهم.

8 - سلطان الطلبة، عبد الصمد الكنفاوي.

9 - الحلقة فيها وفيها - عبد القادر البدوي.

10 - الحراز - عبد السلام الشرايبي.

11 - المولى ادريس - أحمد عبد السلام البقالي.

12 - ابن الرومي في مدن الصفيح - عبد الكريم برشيد.

13 - عرس الأطلس - عبد الكريم برشيد.

14 - حزيران شهادة ميلاد - أحمد العراقي.

15 - الواقعة - عبد الله شقرون.

16 - قراقوس - عبد الكريم برشيد.

17 - عنترة في المرايا المكسرة - عبد الكريم برشيد.

وقبل أن نتناول مصادر استخدام التراث في هذه المسرحيات، تجدر الملاحظة هنا إلى أساليب هذه المسرحيات رغم تباينها وتعدد منابعها الفكرية، تعبر عن استجابتها للدعوة التي رددها النقاد المسرحيون، والمفكرون العرب في النصف الثاني من هذا القرن، الداعية إلى العودة بالمسرح العربي إلى المنابع الفكرية للأمة العربية، من أجل تأصيله وترسيخه وتجديده في الوجدان الشعبي العربي.

ولهذا فإننا سوف نعتمد على زاوية هامة - وهي معرفة مصادر الإستخدام التراثي، كمحاولة لرؤية هذه الأعمال من الداخل وصولا إلى ارتباطها بمراحلها التاريخية، وأشكالها الفنية المميزة. وهكذا يمكننا أن نجمل مصادر الإستخدام التراثي في التالي :

أ - التاريخ العربي الموثق والمسجل.

ب - التاريخ المغربي الموثق والمسجل.

ج - السير والأقاصيص الشعبية المغربية.

د - المظاهر الإحتفالية المغربية (امثال، حكم، أساطير، رقص، غناء، ألعاب، تقاليد اجتماعية... الخ).

على رأس مصادر الإستخدام، التاريخ العربي الموثق والمسجل، وقد استمد منه ثلاثة مؤلفين موضوعاتهم، وعالجوا من خلالها قضايا متباينة الأساليب، ومتعددة الرؤى...

أ - محمد قاوتي، اختار شخصية الحلاج، الفيلسوف، الزاهد، الصوفي، العربي، لتكون موضوعا لمعالجة (الحلاج يصلب مرتين)، وعلى الرغم من أن هذا الموضوع سبق أن عالجه الأستاذ صلاح عبد الصبور سنة 1966، والأستاذ عدنان مردم سنة 1971، فإنه وجد على يد هذا المؤلف الشاب (من مسرح الهواة) ولادة جديدة.

وإذا كان محمد قاوتي قد ركز في بحثه المسرحي على جانب «العدمية» في حياة هذا الفيلسوف العظيم، فإن معالجته قد أسندت إلى ما جاء في مراجع التاريخ العام للأمة العربية من أحداث وبطولات وارهاصات، أدت إلى صلب «الحلاج» الرمز للمرة الثانية.

ب - عبد الكريم برشيد، اختار هو أيضا شخصية ابن الرومي، الشاعر الصوفي، لتكون موضوع مسرحيته (ابن الرومي في مدن الصفيح) معتمدا على الجانب الفكري لهذه الشخصية الأدبية العظيمة... وعلى ظلالها العقائدية لتكون قاعدة للمواقف التي طرحها المؤلف انطلاقا من البؤس والفقر والظلم الإجتماعي في مدن الصفيح بالمغرب.

ج - عبد القادر البدوي، ركز على جانب التسلسل التاريخي للأحداث التي شاهدها العالم العربي منذ عهد صقر قريش إلى اليوم، حيث سلبت منا فلسطين، وضاعت لنا من قبل الأندلس، فجاء وضعه لمسرحية (الحلقة فيها وفيها) التي ألقت بنا في خضم من المواقف والأحداث العربية القديمة منها والمعاصرة.

إن مسرحية (الحلقة فيها وفيها) يمكن اعتبارها سردا أمينا لنقول تاريخية، كما يمكن اعتبارها محاكمة للبطولة العربية ابتداء من صقر قريش، وانتهاء باي بطل عربي معاصر للجرائم التي ترتكب في حق الأمة العربية.

وعلى أن هذه المسرحية ممغربة عن فكرة «المهرج» للمسرحي الشاعر السوري محمد الماغوط، فإنها حولت الأمجاد العربية مطية طيعة بغية الخلاص، ولم تجد أمامها سوى عبد الرحمن الداخل - صقر قريش الذي جاء من الشام ليحكم الأندلس كامتداد للدولة الأموية، ولكن تحديات العصر والتي هي إفراز لطاقات الجماهير تحوله دون تحقيق ذلك، فبعثة «البدوي» من جديد في عصر أعقاب فلسطين ليشهد هذا التحول الذي عرفه العصر... وليؤكد أن ما يحدث الآن في العالم العربي ما هو إلا امتداد للتفريط الذي عرفته الدولة العربية في الماضي.

ومن خلال هذه الأعمال الثلاثة التي استلهمت أحداثها وشخصياتها ومواقفها من التاريخ العربي الموثق والمسجل، وما يحمل في طياته من أخبار وأحداث وتراجم يتراءى لنا ذلك التأكيد المستمر على القيم العربية الأصيلة، وعلى البعد الأخلاقي لهذه الشخصيات (الحلاج) ابن الرومي - صقر قريش - من خلال جنوح واضح نحو الخطابة والرومانسية الأخلاقية.

فإن هذه المسرحيات في ملامحها العامة لم تكن إعادة صياغة للتاريخ الذي تستمد منه موضوعاتها قدر ما كانت استحضارا لهذا التاريخ، دون بذل أي مجهود في توظيف الرمز، أو إخفاء ظلال

جانبية عليه. كما أنها لم تبذل أي مسعى لشعرية الواقع الإجتماعي والإقتصادي لهذه الشخصيات، ولكنها اكتفت في النهاية على إثبات الشخصية الأخلاقية و«البطولية» الرومانسية لهذه الشخصيات.

إن المصدر الثاني للاستخدام التراثي يتعلق بالتاريخ المغربي الموثق والمسجل وقد استمد منه خمس مؤلفين موضوعاتهم، وعالجوا من خلاله جملة من القضايا المتصلة باعلام مغاربة لعبوا دورهم البارز في تاريخ هذه المنطقة من العالم العربي ويتصل الأمر بـ:

أ ـ الطيب الصديقي في «معركة وادي المخازن» وهي مسرحية سجلت البطولة المغربية في معركة الملوك الثلاثة، والتي خرج فيها جيش المغرب منتصرا على جيوش إسبانيا والبرتغال اللذين وصلا إلى المنطقة الشمالية (القصر الكبير) والقضاء على دولته المسلمة.

تحكي الوثائق التاريخية أن «دون سباستيان» قد قاد جيشا قويا 16.000 رجل، و36 مدفعا لجهة قرب مدينة القصر الكبير سنة 1578 في إطار التحديات الأوروبية الصليبية للمغرب الإسلامي.

وخلال هذه المعركة، مات الملك المغربي، وهو على محمله في بداية المعركة، وغرق كل من دون سباستيان ومولاى محمد في النهر، ولم يقدر لأى منهم أن يعيش نهاية المعركة، (وأصبح الملك من نصيب «أبو الحسن أحمد» شقيق الملك المتوفي الذي لقب «بالمنصور») فاندهش الكثير من الدول لهذا الإنتصار الذي أبرز المغرب كقوة كبيرة في افريقيا وأوربا.

وقد سجل الطيب الصديقي في هذا العمل المسرحي شريط الأحداث التي شهدتها المنطقة في زمن هذه الواقعة، تسجيلا تاريخيا حرفيا رغم ما بذله من جهد من أجل إخراج هذا العمل في شكله المسرحي.

وجدير بالملاحظة هنا، أن هذا الموضوع عالجه بعد الصديقي كل من الشاعر حسن طريبق «شعرا» وأحمد الطيب العلج، ومحمد مصطفى القباج «نثرا» ولكنهم لم يخرجوا عن الإطار الذي رسمه الطيب الصديقي للمسرحية في صياغتها الأولى، إذ بقوا ملتزمين بالحدث التاريخي، وملابساته، وهوامشه.

ب ـ السعيد الصديقي في «شخصية المولى اسماعيل» ذلك الملك البطل الذي استطاع توحيد المغرب، وفك العزلة التي حاولت بعض البلاد الأوربية تطويقه بها، وفتح منافذ جديدة لسياسته الخارجية.

لقد قاد المولى اسماعيل (1672 ـ 1727) بنفسه الغزوات ضد الأتراك المستوطنين بالجزائر، واسترد من الإسبان معمورة «مهدية»، كما حرر طنجة والعرائش.

وحيث أنه لم يأتمن من بعض العناصر البربرية، أدخل جماعة من العرب تدعى «جيش الاوداية» ضمن جيشه، وأنشأ الحرس الأسود من أحفاد العبيد الملونين الذي جاء بهم السعديون من السودان، وكان هؤلاء العبيد يؤدون يمين الولاء على كتاب (سيدي البخاري) المقدس فلقبوا «بعبيد البخاري»، وكان عددهم يتراوح بين ثلاثين ألفا، وخمسين ألفا من الجنود.

اختار المولى اسماعيل مدينة مكناس عاصمة له، وبها أنجز المنشآت العمرانية والحضارية الهامة.

وفي إطار سياسته الخارجية، ربط علائق هامة مع لويس الرابع عشر ومع أمراء وملوك عصره في أوربا، والشرق العربي.

إن هذه المسرحية لا تختلف في شيء من حيث صياغتها عن مسرحية «معركة وادي المخازن» إذ تقوم هي الأخرى على سرد الأحداث التاريخية وإحاطة شخصية «البطل» بشريط من الأحداث التي اتفق مؤرخو الدولة العلوية على تسجيلها بأمانة في مصنفاتهم ومذكراتهم التاريخية.

ج ـ عبد الصمد الكنفاوى، في مسرحية «سلطان الطلبة» ذلك الحدث الذي كانت تشهده جامعة القرويين بفاس بمناسبة انتهاء السنة الدراسية، والذي ينتخب فيه الطلبة ملكا لهم يأخذ بزمام سلطة الملك لمدة أسبوع كامل.

وحيث أن شخصية «سلطان الطلبة» ليست شخصية تاريخية ذات ملامح محددة، فإن الحدث ، عملية الإنتخاب، الأخذ بالسلطة، تنظيم مملكة الطلبة، المظهر الإجتماعي والسياسي والإقتصادي للحدث، أصبح ذا دلالة خاصة لها وزنها التاريخي والسياسي.

وعبد الصمد الكنفاوى في هذا العمل، قام بعملية تسجيل الحدث ورسم إطار مسرحي له من خلال ما توفر لديه من وثائق تاريخية، وهو بذلك لم يخرج في صياغته عن نقل التاريخ إلى الخشبة المسرحية، وعن تسجيل الأحداث والمواقف وفق ما جادت به قرائح المؤرخين لهذا الموضوع.

د ـ أحمد عبد السلام البقالي، في مسرحية «المولى ادريس» الفاتح، مؤسس الدولة المغربية الحديثة، تلك الشخصية التي أحاطها مختلف المؤرخين المغاربة بهالة من التقديس، لما لها من أيادي

بيضاء على المغاربة الذين وجدوا في الإسلام ضالتهم ومبتغاهم، وارتياحهم الروحي والفكري.

إن شخصية «المولى ادريس» ذات أبعاد متعددة، فهي شخصية القائد، وشخصية الملك، وشخصية الفاتح، وشخصية المفكر المسلم، والمؤرخون تناولوا كل على حدة هذه الشخصية من أحد جوانبها المتعددة... وأحمد عبد السلام البقالي قضى مع المصنفات التاريخية والموسوعات والوثائق الرسمية زمنا طويلا من أجل تحريك هذه الشخصية على الخشبة في جوانبها المتعددة... وفي مختلف مراحل حياتها الفكرية والسياسية والعسكرية... وفي ما قرره المؤرخون، ومع ذلك فعمله لم يخرج عن نطاق تسجيل الحدث بأمانة كما فعل من قبل الطيب الصديقي، والسعيد الصديقي، وعبد الصمد الكنفاوي في أعمالهم التي سبق ذكرها.

هـ ـ ادريس التادلي، في أمجاد محمد الثالث (محمد بن عبد الله) حفيد الملك المولى اسماعيل، تلك الشخصية التاريخية التي حاولت أن ترث عن جدها كل مظاهر السلطة والمهابة.

اصلح محمد بن عبد الله (1780 ـ 1757) الجيش، وحاول أن يمسك بزمام السلطة في شمال وجنوب المملكة، فطاف بنفسه أرجاء مملكته على رأس جيوشه، وشيد في هذا التجول العديد من المنجزات منها أنفا (الدار البيضاء حاليا) والمحمدية بالقرب منها.

وحيث كان يؤمن بقوة الجيش، ويعتمد عليها في المسك بزمام السلطة، أراد أن ينشيء أسطولا مغربيا، ومواصلة الحرب من أجل تحرير الأجزاء المغتصبة من الأراضي المغربية.

ورغم العزلة التي كانت مضروبة على المغرب في عهده، استطاع أن يبرم عدة معاهدات تجارية مع فرنسا، وغيرها من البلاد الأوربية.

وإلى جانب هذا قام محمد بن عبد الله بتشييد المدارس، والمساجد، والدور الثقافية، وبذل الجهد الكبير من أجل تعميم التعليم، وتوحيد التراث المغربي.

إن سمة هذه الأعمال جميعا، اعتمدت نصوصا تاريخية جاهزة مصدرا لها، كما بقيت من التقنية أسيرة تفاصيل التاريخ وجزئياته، دون أن تخلع عليها وهج العصرنة ودون أن تتمكن من شحن حوادثها وشخوصها برموز تتفق وطبيعة العمل الدرامي. فغالبا ما اتصفت هذه الأعمال من حيث صياغتها، بما يمكن أن نطلق عليه «الأمانة» التاريخية بحيث يبدو تعاملها مع المراجع والمصادر التاريخية، جاء وفقا لما رواه الرواة، وكتبه المؤرخون... وبذلك كان الإبداع شبه منعدم في غالبية هذه الأعمال.

أما المصدر الثالث الذي استخدمه المؤلفون المغاربة في ابداعاتهم المسرحية، فيتصل بالسير والأقاصيص الشعبية المغربية ويتعلق الأمر بـ :

أ ـ السعيد الصديقي، في ديوان سيدي عبد الرحمن المجذوب، وشخصية هذا الشاعر المغربي الشعبي، تجاوزت حدود زمانها، لما تركته من بصمات واضحة على الفكر المغربي.

إن الشاعر سيدي عبد الرحمن الذي عاش في القرن السادس عشر، ترك رباعيات جزلية، انتقد فيها الظلم، والتمييز العنصري، والغنى المفحش، وطالب من خلالها بالعدالة الإجتماعية، والمساواة بين البشر.

واحياء هذه الشخصية، لم يعتمد على مراجع ثابتة، بقدر ما اعتمد على الرواة، وعلى الأقاصيص الشعبية المنسوجة حولها، وعلى توظيف «المظاهر الإحتفالية» التي عاصرت هذا الشاعر، والتي كانت في العديد من الأحيان موضوع إلهامه الشعرى.

ب ـ عبد السلام الشرايبي، في «الحراز» وهي شخصية وهمية لشاعر عاشق، يحتال للوصول إلى حبيبته، فيأتي إلى منزلها في صور خادعة مختلفة ليحظى برؤيتها.

وقد وظف العديد من شعراء الملحون خلال الثلاث قرون الأخيرة شخصية الحراز في قصائدهم المطولة من أجل إبراز عواطفهم في الحب والغزل (5).

وشخصية «الحراز» شخصية شعبية يتغنى بأشعارها النساء والرجال في جل المدن المغربية، لما فيها من دعابة، ووداعة، ولما تنطوي عليه من قصص غرامية مشوقة.

ولإحياء شخصية الحراز، اعتمد الأستاذ عبد السلام الشرايبي على ما نسجته المخيلة الشعبية من حكايات، وأقاصيص حول

---

5) أنجز الأستاذ محمد الفاسي العديد من الدراسات الهامة حول شخصية الحراز، وجمع في بحث هام أنواع «الحراز» في كل من فاس، ومراكش، وأسفي، ومكناس، والرباط، وسلا، خلال القرنين الثامن والتاسع عشر.

غراميات ومغامرات الحراز. كما ضمن لوحات مسرحيته مقتطفات هامة من أشعار الحراز التي أبدعها الشعراء الشعبيون المغاربة خلال القرن الأخير بالخصوص.

وهكذا، نجد كلا من السعيد الصديقي، وعبد السلام الشرايبي، حاولا من خلال «المجدوب» و«الحراز» تطويع التراث المغربي في السير والأقاصيص الشعبية، وإضاءته إضاءة عصرية وشحن مواضيعه الإجتماعية والتاريخية وشخوصه بأبعاد جديدة، وبرموز جديدة، تعبر عن هموم الإنسان المغربي وتناقضاته وطموحه.

إن عبد الرحمن المجدوب، كشخصية تراثية، لها من الإبداعات الشعرية ما أغنى عصرها، وما جعلها شخصية مميزة بين شعراء (الملحون) في العصور المتعاقبة، ظهر على الخشبة كمناضل يكافح كل أنواع الظلم الإجتماعي، وكل الإنحرافات العقائدية، وكل المخلفات الإستعمارية التي رست على سطح «الفكر المغربي».

و«الحراز» ذلك الشاعر المتجول، الباحث عن حبيبته في الأزقة والدروب، والذي يرتدي الأقنعة، ويغير شخصيته كل يوم من أجل الوصول إلى حبيبته، تحول هو الآخر إلى ناقد اجتماعي، إلى ملاحظ، إلى ملتزم بالقضية التي تهمه، وتهم حبيبته في الجانب الآخر.

ومن خلال هاتين المسرحيتين، استطاع الصديقي والشرايبي صياغة حوادث السيرة الشعبية بمفهوم اجتماعي جديد، ممجدان من خلالها العقل والحكمة، رافضين أية قيود تربط السيرة الشعبية بالماضي أو تشدها بعيدا عن المستقبل.

والمصدر الرابع في الإستخدام التراثي، فيتصل بالمظاهر العريضة للاحتفالية المغربية، (الأساطير، الامثال، الحكم، التقاليد، الفلكلورية... الخ).

وهذا النوع من التراث استفاد منه العديد من الكتاب المغاربة في مسرحياتهم، وعلى رأسهم أحمد الطيب العلج في :

- البلغة المسحورة.
- حليب الضياف.
- الشطاب.
- طالب ضيف الله... وغيرها.

وعبد الكريم برشيد في مسرحياته :

- عرس الأطلس.
- قراقوش.
- عنترة في المرايا المكسرة.
- ابن الرومي في مدن الصفيح.

والطيب الصديقي في :

- سيدي ياسين في الطريق.

وإذا ما رجعنا إلى نصوص هذه المسرحيات، فسنجد موضوعاتها تدور جلها حول أساطير شعبية متداولة، كما سنجدها من حيث الصياغة والمعالجة، توظف الأمثال والحكم، وفنون الرقص، والغناء الجماعي، والحلقة والبساط، والكثير من مظاهر المسرح الإحتفالي في المغرب.

أ - بالنسبة لأحمد الطيب العلج، وفي حدود معاملته مع التراث الشعبي، استطاع إبراز طبائع الناس، وتعرية نواياهم ومشاغلهم من خلال الأمثال الشعبية المتداولة، وصياغة الحكاية والأسطورة، صياغة تمثيلية جديدة، كما استطاع أن يرتقي باللغة العامية إلى درجة هامة من التعبير المسرحي.

ففي «البلغة المسحورة» و«الشطاب» كان المثل الشعبي هو البطل الحقيقي فوق الخشبة، في حين أن اللغة تحولت إلى بطلة في مسرحية «حليب الضياف» القائمة على أسطورة شعبية، وكذلك الشأن بالنسبة لمسرحية «طالب ضيف الله».

ب - أما بالنسبة لعبد الكريم برشيد، وهو أحد الكتاب المغاربة الذين يعملون من أجل إرساء نظرية متكاملة في المسرح، فقد استفادت مسرحياته من التقاليد الموجودة في التراث الشعبي المغربي، والتي تحمل في طياتها بذور الفن المسرحي، ولهذا نجد مسرحياته «عرس الأطلس» و«قرقوش» و«عنترة في المرايا المكسرة» و«ابن الرومي في مدن الصفيح» تقوم على أساس إنها مجموعة من الإحتفالات الشعبية، وتتضمن ألوانا من الفرجة المعروفة في الأسواق والساحات العمومية، فعرس الأطلس، تقوم على الغناء المتعدد الأصوات، وعنترة في المرايا المكسرة، هي عبارة عن حلقة يقيمها الراوي ليعيد من خلالها بطولات عنترة، أما ابن الرومي في مدن الصفيح وقراقوش، فتستفيد من خيال الظل والقراقوز وغيرهما من الفنون الشعبية المغربية والعربية.

ج - وبالنسبة للطيب الصديقي، فتعامله مع الأسطورة في سيدي ياسين في الطريق، فجاء وفق منظور خاص، حيث جسم إلى جانب الأسطورة، مجموعة كبرى من التقاليد المتصلة بالحياة العامة في المغرب، فجاءت مسرحيته وثيقة اجتماعية هامة أرضيتها الأسطورة، وآفاقها فنون القول (شعر، غناء، رقص، أمثال... الخ).

ومن خلال المعالجة المباشرة، طرح الطيب الصديقي في سيدي ياسين مواقفه السياسية والإجتماعية المعهودة، مع حرصه على إبراز المصير المأساوي لذلك البطل الذي صرع من أجل أفكاره الإصلاحية، في زمن غارق في براثن الرجعية والتخلف الفكري.

وآخر هذه المصادر ، الأدب العربي في نصوصه الكلاسيكية القديمة، ويأتي على رأس الكتاب الذين وظفوا هذا النوع من التراث، الطيب الصديقي في مسرحيته الشهيرة «مقامات بديع الزمان».

وانطلاقا من فكرته الرامية إلى تأصيل المسرح وتجذيره في الحركة الفكرية العربية، أعلن غير ما مرة، أن الأدب العربي يفيض بنصوص قابلة للفرجة والتمسرح، وعلى رأس قائمة هذه النصوص، المقامات الهمدانية والحريرية، والزمخشرية، وكذا بخلاء الجاحظ، وغفران المعرى، وقصائد سوق عكاظ، وحديث عيسى ابن هشام إلى غير ذلك من النصوص الهامة والغنية في الأدب العربي القديم.

وفي إطار هذا التصور، قام الطيب الصديقي بإعداد مقامات الهمداني للمسرح، كمحاولة لاستلهام التراث العربي عن طريق تبني هيكل المقامات، وإعطاءها شكلا مسرحيا معاصرا.

وقد استطاع عن طريق هذه التجربة، الانتقال بالمسرح المغربي إلى مرحلة الإكتشاف والتأصيل، بعد ما وضع المسرحيين المغاربة أمام إمكانات الأدب العربي، وما يختزنه من نصوص درامية هامة، في استطاعتها إغناء الفكر المسرحي في الوطن العربي..

من خلال هذا العرض، حاولنا إبراز أهم المصادر التراثية التي استفاد منها المؤلفون المغاربة، وأن نفسر في ذات الوقت طرق الاستخدام التراثي بعد ما أثبتنا أن هذا الإستخدام جاء مواكبا لظهور المسرح في المغرب خلال العشرينيات من هذا القرن.

ومن خلال استعراضنا للنصوص المسرحية، أدركنا أن استخدام التراث في الفترة السابقة لاستقلال المغرب كان رافدا من روافد الإتجاه التنويرى في الفكر المغربي، في حين أن هذا الاستخدام تحول فيما بعد سنة 1956، أى بعد حصول المغرب على استقلاله، إلى ميدان للتجريب والتنظير... وذلك على الرغم من أن الإستخدام التراثي المتصل بالتاريخ العربي، والتاريخ المغربي ظل حبيسا لإطاره التاريخي جامدا، لا يمتلك أى رؤية جديدة، تكشف عن الأعماق الثرية لهذا التراث.

ولا شك أن المحاولات الأخرى التي استخدمت التراث في مصادره المتصلة بالتراث الشعبي والإحتفالية، والسير، والأقاصيص الشعبية، أرادت تعميق رؤاها لهذا التراث للوصول إلى وجدان وعقل الجمهور عن طريق إيقاظ وعيه، ووضعه أمام قضاياه السياسية والإجتماعية مباشرة.

وإذا كانت للمسرحيين المغاربة أهداف محددة من استخدامهم لهذا التراث، وتوظيفه في أعمالهم الإبداعية، فإن الرغبة في إرساء أسس جمالية وفكرية للمسرح العربي، ومحاولة الوصول إلى استقراء ملامح مسرح عربي متميز ومستقل ومتجانس مع تجربته وواقعه، تكون هي الأهداف الكامنة وراء هذه الأهداف.

طنجـــة / محمد أديب السلاوي

آفة الفراغ وعلاجها

●● تحت هذا العنوان يكتب الأستاذ الكبير محمد الخطيب مقالا قيما ننشره في عددنا الرابع الذي يصدر بحول الله في شهر يونيو المقبل. بينما ننشر للأستاذ الفاضل مقالا في العدد القادم بعنوان (سلب المقومات الدينية لافريقية ليس سبيلا أقوم).

ويسعد (دعوة الحق) أن ترحب بالأستاذ محمد الخطيب كاتبا مواظبا على صفحاتها ●●

صفحات من المخطوط النادر:

بعض أخبار فقهاء مالقة وأدبائها لابن عسكر

عرض وتقديم: الأستاذ محمد العرائشي

أصل هذا المخطوط (1) للغساني، محمد بن علي بن خضر بن هارون المشهور بابن عسكر المولود سنة 584 هـ (1188م) بقرية قرب مالقة والمتوفى سنة 636 هـ (1238م) ذكر فيه مؤلفه تراجم طائفة مهمة من أعلام مالقة، سواء منهم أهل مالقة، أو الوافدون عليها من نواحي أخرى كالأندلس والمغرب إلا أن مؤلفه لم يتمه، لأن المنية عاجلته. فأتمه ابن أخته ابن خميس، محمد بن محمد بن علي، وذلك حسبما جاء في المقدمة التي صدر بها ابن خميس تتميمه حيث قال:

(كتاب جمع بعض أخبار فقهاء مالقة وأدبائهم (وكذا) مما ابتدأ تأليفه الفقيه المتفنن محمد بن علي بن خضر ابن هارون الغساني المشهور ابن عسكر. وقد كمله ولد أخته محمد بن علي بن خميس لما عاجلته منيته وجمع في هذا الكتاب من سكن مالقة ودخلها واجتاز عليها وجملا من أخبارهم وأدبهم ومحاسنهم ومراسلتهم وبلاغتهم وذكر من أخذوا عنه من فقهاء الأندلس وغيرهم).

وقد ترجم لصاحب الأصل ابن أخته في تتميمه ترجمة وافية ذكر فيها نبذة مهمة من أخباره وآدابه. وقبل أن أشرع في المقصود أقدم للقارىء الكريم على صفحات مجلة (دعوة الحق) الغراء نص ترجمة ابن عسكر حسبما جاء في تتميم ابن خميس مع ذكر مختارات من شعره ونثره.

قال في معرض تراجمه للمحمدين:

ومنهم محمد بن علي بن خضر بن هارون الغساني:

المشهور ابن عسكر هو خالي رحمة الله عليه. يكنى أبا عبد الله. مبتدىء هذا الكتاب. كان رحمه الله جليل المقدار، متفننا في العلوم على اختلافها، ومشاركا فيها على تشتت أصنافها، يتقد ذكاء، ويشرق طهارة وزكاء.

نشأ بمالقة وبها أعلام وجلة أكابر، فأربى عليهم في معارفه، وكان معظما عندهم، مشار إليه فيهم. كانت الفتوى تدور عليه

يسميه بعضهم (تاريخ مالقة) والبعض الآخر (تاريخ ابن عسكر) وهو مخطوط نادر، وتحفة أدبية تاريخية، لم يسبق له أن نشر أو عثر على نسخة أخرى في خزانة من الخزانات، إذ بعد البحث المتواصل انتهيت إلى أنه لا وجود لنسخة ثانية من هذا المخطوط، سوى تلك النسخة الفريدة التي تعتز خزانتي باحتضانها. ومنذ أن قدمت هذا المخطوط لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات وأنا منهمك في تصحيحه وجمع شتاته.

وبمجرد فراغي من تصحيح القسم الأول منه سأقدمه للطبع عندما تتيسر أسبابه بإذن الله تعالى. ونظرا لكوني امتلك النسخة الأصلية وهي النسخة الوحيدة الموجودة منه كما ذكرت آنفا، فإنني احتفظ بجميع حقوقي القانونية فيما يرجع للنشر، وكل من قام بعمل يتنافى وتلك الحقوق فإنني اعتبره مختلسا ومعتديا على حقوق الغير بدون موجب. أما التعريف بالمخطوط في المجلات والصحف، فإنني لا إمانع فيه.

ومن هذا القبيل العمل الجليل الذي قام به الأستاذ محمد الفاسي حيث نشر معلومات مهمة عنه وعن مؤلفيه: ابن عسكر وابن خميس بالعدد 13 من مجلة المناهل التي تصدرها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية (محرم 1399 ـ دجنبر 1978).

بمالقة. والمسائل تورد عليه من البلاد، فيفتي فيها، ويعمل فيها برأيه. والقضاة يعظمونه كل التعظيم، ويقطعون به في أحكامهم. معظما عند الملوك، مقربا لديهم. ولي القضاء بمالقة نائبا عن القاضي أبي عبد الله بن الحسن وذلك في مدة أبي عبد الله بن هود. ثم إن أبي الحسن أخر، فلما كان في أيام الأمير أبي عبد الله بن نصر، ولي مرة ثانيا مستقلا. وصل كتابه في تولية القضاء في يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان المعظم عام خمس وثلاثين وستمائة. فبكى رحمه الله وامتنع وكتب إلى الأمير أبي عبد الله يذكر أنه لا يصلح للولاية حرصا على أن يعزله عنها تورعا منه رحمه الله. فلم يقبل الأمير ذلك منه، فبقي على ولايته، وظهرت في أيامه الحقوق وسار من السيرة الحسنة، مالم يسرها أحد قبله. كان ماضي العزيمة، مقداما مهوبا منفذ الأحكام، فكان بذلك مستحسن المقاصد، مشكورا في المصادر والموارد. وكان رحمه الله أفضل الناس خلقا، وأرحبهم صدرا، وأجملهم عشرة، وأتمهم رجولة، وأنداهم يدا، وأشدهم احتمالا، يحسن إلى من أساء إليه، ويجود بجاهه على من يخل به عليه، مع ماكان عليه من سياسة الناس ومداراتهم وقضاء حوائجهم. وله في صنعة التوثيق باع مديد، وسهم سديد، كان سريع القلم، سهل الألفاظ، مختصر الوثيقة، غاية في البراعة، إلى الشعر الرائق، والكتب الفائق. وله تواليف عجيبة متداولة بأيدي الناس كالمشرع الروي، في الزيادة على كتاب المهدوي، والتكميل والاتمام لكتاب التعريف والاعلام، والأربعين حديثا الموافق فيها اسم الشيخ لاسم الصحابي، وهو منزع لم يسبق إليه، وكنزهة الناظر، في مناقب عمار بن ياسر، وكالجزء المختصر، في السلو عن ذهاب البصر، وغير ذلك.

ورحل الناس إليه وأخذوا عنه، وكان رحمه الله قد أخذ عن شيوخ جلة، كأبي الحجاج بن الشيخ، وأبي محمد القرطبي، وأبي علي الرندي، وأبي جعفر الجيار، وكالقاضيين أبي محمد بن حوط الله، وأبي سليمان داوود، وكالقاضي أبي الخطاب بن واجب، وكأبي زكرياء بن عبد المنعم الأصبهاني وغيرهم.

وكان قد مال آخرا إلى الراوية. وإنما نبهت عليه هذا التنبيه، وذكرت بعض ما كانت من المحاسن فيه، خيفة أن ينقرض الزمان، فتنقرض أخباره ويفنى ناس عصره، فتنسى مأثره وآثاره، وليقف من لم يدركه على مناقبه الجميلة، ويشاهد بعض مأثره الحميدة ومنازعه الجليلة. وما زالت مناقب الأيمة تجلو وتذكر، وتذاع وتنشر

وإذا كان حق المعلم قد تعين شرعا، واستحسن طبعا، فحقه علي آكد الحقوق، وسكوتي عن الاعتناء بتخليد مناقبه ضرب من العقوق، ولا عار أن يقال : ما باله أطال في مدحه عنانه، وأدر من سماء فكره عنانه. فذكر له ما لم يذكره لسواه، ولا أظهر على أحد نصه ولا فحواه، فعذرى في ذلك أنه لم يكن أحد من أهل عصره يجاريه وأيضا لفرط حبي فيه، واعتنائه رحمه الله بي فلا أقل أن أوفي له بعض ماله من الحق، وأقوم به فأنا الأوجب بذلك والأحق، وعلمه رحمه الله وفضله أكثر من أن أحصيه).

أمثلة من نثر المترجم وشعره :

لقد ساق ابن خميس في تتميمه نصوصا كثيرة من نثر المترجم وشعره، ونظرا لطول نفس المترجم في ذلك فسوف أقتصر على ذكر بعض تلك النصوص فقط.

ومن كتاب له بعد ما استجيز :

قال ابن خميس وكتب معها بعد الصدر (وبعد، فإنه لما دعا لهذه الإجابة أكرم داع، ...... بالاتباع لا بالابتداع...... أن أبرز في منصة العجز سعالتي، وأطرز من العذر ما احتمل به على علالتي، فلعل هذا المكلف قصد أن يجمع إلى الخز المشدف ، أو أظنه طلب أن ينظم إلى الدر المخشلف، فلو لم يأخذ القوس إلا الباري، ولا دخل الحلبة إلا السابق المباري، لما عرف الأرفع من الأنزل، والرامح من الأعزل، ولرميت ادوا الجهل بالتعضيل، وعريت أفعل عن صفة التفضيل، لكن اقتضت الحكمة أن يباين التدنده و..... الشيء ضده، حتى يعرف العذب بالاجاج، ويشرف الدربمقايسة الزجاج، ولما علمت أني إذا امتثلت، ونثرت كنانتي ونثلت، فإنما أكون ممن بين سبق الجواد بعيره، وزين بهدره بلاغة غيره، فأجبت بعد أن تسترت من الحياء، واحتجبت، فكتبت والقلم عاثر، والعجز لما أروم نظمه من الكلام ناثر، **وبعد أن وقفت على هذا الاستدعاء الذي طلعت من المطالع العراقية شمسه**، وحسد اليوم بهذا البلاد الغربية عليه أمسه، وكسا هذا الأفق من حال التشريف والتنويه، مالم يكن يحتسبه ولا ينويه، وتأهل لأن يحمل من أهله العلم حيث قطبه الذي عليه مداره، ويروي عنه بالمكان هو محله وداره (كذا) فياعجبا للبحار كيف استمدت أوشالها، واستعدت لطلب المكاتبة وقد كان يجب أن تقصد ويمشى لها، فيالها نفحات مسكية، ولمحات نيرة ذكية، أوجبت للإجابة حقا، وصيرت كل سامع مسترقا ومستحقا) قال ابن خميس : وهي طويلة. ثم قال :

وكتب معزيا : (مثل سيدي أجزل الله أجره، وطلع في ليل مصابه فجره، في متصبره من الفضل الذي ملك زمامه، والعلم الذي أصبح امامه، والزهد الذي رداه رداء الورع، والمجد الذي فاق فيه نظراءه فبرع، لاتزعزعه النوائب، ولا تهزه ولا تروعه المصائب، ولا

تستفزه جريا على سنن الفضلاء الأكابر، وأخذا بما ذخر الله للصابر).

وفي فصل منها (ولست أعزك الله ووقاك بأول من أفرده الدهر من حميمه، وجرعه كأس حميمه، فشيم الزمان، عدم الأمان، وسجايا الدهر، رزايا العلم في البر والبحر، ألم يفجع... لماك، وصيره يبكي القبور لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك، وأصاب الخنساء بصخر، فلم يحجبه ما يسرته له من الثنا والفخر، وفرق بين ندماني جذيمة، فأفقد كل واحد منهما نديمه، وملأ قلب سيبويه حزنا، حتى أنشد اخيين كانا، وكل أخ أخوه مفارقه، ولا بد أن يطرقه من الحمام طارقه، وسوف يلحق الفرقدين الفنا، فلا ينفعهما الاستثنا، فإذا علم المرء انه إلى الموت مآله، وقد درج عليه سلفه وآله، فما ينفعه الوله وسوف يفنى آخره كما أفنى أوله، وما المرء إلا هالك وذو نسب في الهالكين عريق (كذا).

وكتب معها :

(عزاء فمثلك من يؤتسى
به في العزاء والخطب لم)

(كذا) ولعله تصحيف من الناسخ، وصوابه : به في العزاء إذا الخطب لم)

(ومن كان قلبك في صدره
محا الصبر ما خط فيه الألم
وللعلم بدر به يجتلى
إذا ما ادلهمت دياجي الظلم
ومن يدر أن الردى منتهى
ـاه فليس مفيداله ليت لم
ومن أمل الخلد في دهره
فمن جهله نفسه قد ظلم)

(وكتب مهنئا بزواج)

(فقال بعدما تقدم جزء من الرسالة) :

(فيالها خطبة ما أسعدها وأسناها، وبغية تنيل مبتغيها عظمى المقاصد وحسناها، فهنيئا له، لقد يفوز منها بوسطى سلك الحسب العد، وزهرة رياض العلا والمجد، ودرة لم تنشق عن مثلها الصدف، وزهرة طلعت في سماء المجد والشرف، قسما لقد جلت قدرا عن كل محاول، وقصرت عن ادراكها يد المتطاول، فلو صنعت من قرص الشمس دنانير مهرها، وطبعت دراهمه من نيرات الكواكب وزهرها، وبذل الوجود في نقد صداقها، وسلبت لها الجوزاء عن تاجها ونطاقها، وأجرى من برها إلى ماقصر عنه كل مجر، وسيقت لخدمتها الثريا في ملاءة الفجر، لما بلغ لها بحق، ولقصر عن الأوجب لها والأحق).

(وكتب يوما) متشفعا في اطلاق سراح سجين.

(وصل الله بقاء الفقيه أبي الحجاج، مؤملا لقبول الشفاعة وقضاء الحاج، قد علمت أدام الله عزتك، وجعل للمكارم ارتياحك وهزتك أن حق الجار مرعي، وذمامه شرعي، فينبغي أن يلاحظ ويرتقب، فهو كما قال عليه السلام أحق بالصقب، وإن كان خامل المقدار، فيرعى له قرب الدار، وحسبك من هذه الرتبة المنيفة، قصة أبي حنيفة، حين استعمل قدمه في الكمال للشفاعة، وما أهمله ولا أضاعه، وان رجلا خديما تعرفه إن شاء الله من قبل موصلها وهو جار لي بليت بليت (كذا) فحركني للشفاعة بعد أن أبيت، فوصلتني الآن رغبته في أن أشفع له شفاعة حسنة، وأفوز بنصيب من هذه الحسنة، وذكر أن مقر الوزارة العظمى، لا يضحى من لاذ به ولا يظمأ، أعلى الله مقداره، وأجرى بأفق مراده أقداره، سجنه لأمر سببه، وأدب أوجبه، ويرجا إن شاء الله أن يكون الأدب قد أقامه، وألزمه الاستقامة، فالغرض منك أيها الصفي الوفي، احراز هذه الفضيلة، وتبليغ هذه الوسيلة، لعل الشفاعة تتقبل، فيكون حق المجاورة قد رعي ولم يهمل، لازال محل الوزارة قابلا شفاعة الشافع مواصلا على الجميع أشتات الأيادي والمنافع، ولا زلت أعزك الله ساعيا، في خير جاريا، بمقاصدك أسعد يمن بمنه والسلام).

(وله في قارىء يقرأ ما يكتب تحت أثوابه باللمس، من غير أن يعاين ما في الطرس مكتوبا)

وقارىء ما تحت أثوابه
كأنما ينظر في طرسه
نورية فاضت بأعضائه
فانقلبت منه إلى حسه
كأنما قوة أبصاره
قد نقلت منه إلى لمسه
كأنما الحرف له نابض
وهو كجالونيس في جسه
لا تعجبوا من ادراكه
ينفر ما يعلوه من لبسه
فالأفق الأعلى سماواته
لا تحجب الادراك عن شمسه
لمثله كان سليمان قد
تفقد الهدهد في نفسه

فيالهـا مـن آيـة أعجـــــزت

عن مثلهـا كـل بنـي جنســه

٥٥٥

ومن شعره في الغزل :

ولما أذاب الهــوى مهجتـــــــي

فأصبحـت كطاســم دثـــر

ولـم يبـق عيـن تـراه العيــ

ـون مني ولا أثـر مـن أثـــر

تعرضتـه قاصـدا كـي يـرى

شحوبـي فيشفـق أو يعتبـــر

ونادـيت رفقـا فقـال اعجبـوا

أمن دون جـم يـلام البشـــر

وقال أتبصرنـــي هـــــازلا

فإنــك لســت تـرى بالبصـــر

فقلت لقـد صـدق القائلـــون

(أريهـا السهـا وتريـنـي القمـر)

ومن شعره يصف عشية أنس :

أ أنـس مـن الأزمـان أنـس عشيـة

أجلنـا بهـا الأحـداق بيـن الحدائق

حدائق بيض بالأزاهر وسطهـــا

جداول كالأسطــار وسـط المهارق

كأن على تلك الأباطح جـــردت

صـوارم لمـا خيـف مـن كـل طـارق

صفت وصفا فيها الحصا فكأنها الـ

ـجرة حفـت بالنجـوم الشوارق

وقد أودع الأرواح عند هبوبهـــا

عليها يدى داوود رب الخلائــــق

يصوغ دروعا فوقهـا كلمـا جـرت

فيالــك مـن حـسـن للحظـك رائق

وغنـت بهـا الأطيـار وهي تجيبهـا

فيا عجبا من حسن أخرس ناطـق

أقمنـــا عليهـا بعـض يـوم كأنــه

لمبصـره في العمـر لمعة بــارق

مع ابنـاء صدق طاهريـن كأنهـم

نجـوم سمـاء أشرقـت بالمشــارق

حسان الذي يبدو فويق جيوبهـم

أعفة ما قـد ضـم تحـت المناطـق

أقـر بنـو الدنيـا جميعـا بأنهـم

شياه وكل الناس مثـل البيـــادق

يديرون في وصف العلوم كؤوسهـم

وليـس سـوى الآداب خمـرا لذائـق

رأت أنســا شمـس النهار فلم تزل

تـارع نحو الغرب سير الـوابــق

وغـارت بنـا فاصفـر للناس وجهها

كما أصفر من خوف النوى وجه عاشق

عجبت لها قد ابصرتنا ولم تقـف

وقد وقفت قدما لقتل العمالـــق

فهـلا أقامـت كـي يدوم وصالنـا

ولو قدر ما ترتد مقلة وامـــــق

فتبا لدهر لا يدوم نعميــــــه

لقد قطعت للأمن منه علائـــق

تطول على الحر اللبيب صروفــه

كليل سليم أو عذاب منافـــــق

وتقصر ساعات الوصـال إذا أتـت

كخلب برق أو كغفلة ســــارق

فيالزمـــان بالـورى متقلـــب

خلائقــه للخلـق شـر الخلائـــق

كأن بني الدنيا لوقع صروفهـــا

عصافر ترمى عن قســي البنــادق

فما منهم من يستطيع تحصنـــا

... بسهم للمنيــة راشــــق

سوي عزيز القوم مثل ذليلهـــم

لديه ومن في السفح أو في الشواهق

فما عمرت عمرو بن عمر وجنـوده

ولا أنعم النعمان قصر الشقائـــق

٥٥٥

قال ابن خيمس :

(وله يصف سيلا دخل على أمير المومنين أبي العلافي رياضه بوادي)

يا أيها الملك الذي قد أشرقـت

أقطار رية من سناه ونـــــوره

يامن يرينا الشمس فوق جبينــه
حسنا وليث الغاب فوق سريــره

وإذا الزمان رأى رجاحـة عقلـه
صرفته عن تهلانــه وثبيــره

عذر الـواد أم قصدا مقامكـم
كـدرا ...... فـي تكديــره

عجـلان محمـر الأديـم كأنمـا
غلب الحياء عليه عند خطــوره

يحكي الحوامل باضطراب فـؤاده
قلقا وعـدو الأيـم عنـد مسيـره

سيريك متن السيف عند صفائـه
جريا وسرد الدرع عند فتــوره

وافى يقبل في الثرى إذ لم يطق
تقبيل كف تزدري بنميــره

ويروم يقضي بعض حقكـم الـذي
عجـزت أولو الأفهـام عـن تعبيـره

منع الكلام وقد تعين شكركـم
فأتـاك يعـرب عنـه صوت خريره

مكناس ـ **محمد العرائشي**

الأجزاء 8.7.6 من كتاب "المعيار" للونشريسي

● وصلتنا من بيروت الأجزاء 6 ـ 7 ـ 8 من موسوعة المعيار للإمام المفتي المغربي الكبير الونشريسي وستصل تباعا الأجزاء الباقية إذ يقع كتاب (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب) في ثلاثة عشر جزءا.

إرفعوا أيديكم عن السنة

للأستاذ أحمد متفكر

جرت العادة أن يحتفل المغاربة - أبا عن جد - كباقي الدول الإسلامية بعيد ميلاد النبي الأعظم سيدنا محمد (ص) الذي كان مولده ينبىء عن تحول عظيم في تاريخ الإنسانية والحضارة.

وإذا احتفل المغاربة بهذه الذكرى، فإنهم لايخرجون عن حدود الشريعة الإسلامية - كتلاوة الذكر الحكيم، وقراءة الأمداح النبوية، والسيرة المعطرة - ولا يجعلون من هذه المناسبة وسيلة لتلبية رغباتهم النفسية - كاختلاط الرجال بالنساء وما أشبه هذا من النواهي -

في هذا الجو المفعم بالايمان والذكرى والاعتبار - لأن الذكرى خير تبصرة للمؤمنين - وأقوى سند لنضال المجاهدين، خصوصا في هذه الظروف العويصة التي تجتازها الأمة الإسلامية - ظهرت جماعة تدعي لنفسها انها تناصر السنة المحمدية، وتحارب البدع.

ماذا حدث :

أقول والاسف يملأ شغاف القلب عند الحديث عن هذه الجماعة التي تركت جوهر الإسلام ولبه، وتمسكت بالعوارض، وبأشياء لاتتعارض مع الرسالة المحمدية، ولا تمس العقيدة الإسلامية السمحاء.

من هذه الأشياء التي شددوا فيها، ورفعوا عصا نكيرهم، وجم غضبهم على جماعة المسلمين - الاحتفال بالمولد النبوي الشريف - مدعين انه بدعة لايحق للمسلمين القيام به...

ياسبحان الله !..! أهذه هي البدعة الوحيدة التي رمقتها أعينهم، وادركها عقلهم ؟ أليس في مجتمعنا الإسلامي مالا يعد ولا يحصى من البدع الهدامة التي تنخر الهيكل الإسلامي، وتمزق كيانه، حتى أصبح المسلم يعدها من أوجب الواجبات... لقد كثرت وعم اذاها ، واستطال شرها ولا أحد ينكرها.

ماهي البدعة : لكي نقف على حقيقة البدعة المنهى عنها، سأورد بعض التعريفات لتنكشف الحقيقة، ويزول الالتباس، وتطمئن القلوب.

قال حرملة بن يحيى سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : (البدعة بدعتان : بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم، واحتج بقول عمر رضي الله عنه، عند اجتماع الناس لصلاة التراويح (نعمة البدعة) (1).

وروى البيهقي في مناقب الشافعي انه قال : (المحدثات من الأمور ضربان : ما احدث مما يخالف كتابا أو سنة، أو اثرا أو اجماعا، فهذه البدعة الضالة وما احدث من الخير لايخالف شيئا من ذلك فهذه بدعة غير مذمومة) (2).

---

1) الباعث على إنكار البدع.

2) الإبداع في مضار الابتداع.

ويقول الإمام النووي : (البدعة في الشرع هي مالم يكن في عهد رسول الله (ص)، وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة) (3).

أما سلطان العلماء العز بن عبد السلام فيقسم البدعة إلى خمسة أقسام : (واجبة، ومحرمة، ومندوبة، ومكروهة، ومباحة) ثم يوضح السبيل إلى فهم هذه التقسيمات فيقول : (... والطريق أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإذا دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة، أو قواعد التحريم فهي محرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة، وذكر لكل قسم من هذه الأقسام الخمسة أمثلة) (4).

ولا بن الجوزي رأي صريح وواضح في هذا الموضوع حيث يقول : (وقد جرت محدثات لاتصادم الشريعة، فلم يروا (أي الصحابة) بأسا بفعلها، كما جمع عمر الناس على صلاة التراويح، وقوله (نعمت البدعة) وجمع القرآن في المصاحف من أهم أمور الدين، ولكن الصحابة أحدثوه في زمانهم، وفي الأزمنة التالية لازمانهم كثير من المحدثات وأقرها أهل العلم والفقه من هذه العصور) (5).

ثم يضيف قائلا : (... ومتى أسند المحدث إلى أصل مشروع لم يذم) (6).

بدعة حسنة : بعد استعراضنا لتعريفات البدعة، بقي لنا أن نتساءل، هل في احياء ذكرى ميلاده (ص) مخالفة ومعارضة للشريعة الإسلامية ؟

سئل ابن حجر عن عمل المولد، فأجاب : (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن احد في السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن، وتجنب ضدها كانت بدعة حسنة والا فلا).

وقال الإمام أبو شامة والسيوطي والسخاوي وابن حجر وكثيرون : (ان أحسن ما ابتدع وإن لم يفعله احد من السلف في القرون الثلاثة الماضية ماجرت به العادة من العناية بأمر المولد النبوي الشريف ليلته أو يومه، بحيث يقع الاجتماع واظهار الفرح والاحسان للفقراء، وقراءة القرآن والذكر وانشاد القصائد النبوية، وقراءة قصة المولد وما اشتمل عليه من ذكر معجزاته عليه السلام) (7).

وعلى هذا الأساس نرى التزام المسلمين بجعل هذا اليوم الأغر يوم شكر لله تعالى على بعث الرسول الأمين لهداية الناس وإخراجهم من الضلالة إلى الهدى، فيبرهنوا على هذا الشكر بإطعام الطعام وتلاوة القرآن وقراءة الأمداح، واستعراض الشمائل النبوية، والسيرة المحمدية العطرة، وقد صدق الرسول (ص) حيث قال : (لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده) (8).

وقال عليه السلام لقوم جلسوا يذكرون الله تعالى ويحمدونه على أن هداهم للإسلام : (أتاني جبريل عليه السلام فأخبرني أن الله تعالى يباهي بكم الملائكة) (9).

قال ابن حجر معلقا على الحديثين : «وفي الحديثين دليل واضح على فضل الاجتماع على الخير والجلوس له وإن الجالسين على خير كذلك يباهي الله بهم الملائكة وتنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله تعالى بالثناء عليهم بين الملائكة، فأي فضائل أجل من هذه فبدعة المولد وإن لم تنقل عن احد من السلف الصالح اعنى القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، لكنها حسنة مندوبة لانطباق قواعد الندب في أدلته العامة عليها) (10).

أما جلال الدين السيوطي فيقول : (ان أصل عمل المولد هو اجتماع الناس وقراءة ماتيسر من القرآن الكريم، ورواية الأخبار الواردة في مبدإ النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، وبما وقع في مولده الشريف من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك، هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها لما فيه من تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وآله، واظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف) (11).

---

3) تهذيب الأسماء واللغات.
4) كتاب القواعد.
5) تلبيس إبليس.
6) نفس المصدر.
7) مجلة هدي الإسلام نقلا عن مرآة الزمان.
8) رواه مسلم.
9) رواه مسلم.
10) الابداع في مضار الابتداع.
11) الابداع في مضار الابتداع.

وسئل الإمام أبو زرعة بن العراقي عن فعل المولد، امستحب أو مكروه ؟ وهل ورد فيه شيء، أو فعله من يقتدى به ؟

فقال : (اطعام الطعام مستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور النبوة في هذا الشهر الشريف، ولا نعلم ذلك عن السلف، ولا يلزم من كونه بدعة من كونه مكروها، فكم من بدعة مستحبة بل واجبة) (12).

ويعلل مفتي لجنة الافتاء الشرعي بأندونسيا الشيخ عبد القادر بن أحمد بلفقيه الدواعي الموجبة لإقامة عيد ميلاد الرسول الأعظم (ص) فيقول : (لعل الناس رأوا بعد عهدهم بالنبوة وكثرة اهتمامهم بأمر دنياهم، واستحسنوا عمل هذه الموالد، مشتملة على تاريخ من تقام له، وبيان أعماله وفضائله، ونشر ذلك على العامة والخاصة على وجه يشتمل على إظهار الفرح والسرور) (13).

وهذه شهادة أخرى للإمام السخاوي : (ولو لم يكن في ذلك إلا ارغام الشيطان، وسرور أهل الايمان من المسلمين لكفى) (14).

ذكرى المولد : قال الشيخ شلتوت : (ذكريات الإسلام نوعان : نوع هو ذكريات اجتماعية، ليس فيها تشريع ديني خاص، ولا ترتبط بنص ديني معين، وللمسلمين في هذا النوع أن يختاروا من احداثهم مايرون انه جدير بالذكرى، ويذكرون الناس فيه بعوامل تلك الأحداث ونتائجها، ويكون في أيدي الجيل الحاضر مصباحا من الماضي، يسترشدون به في مستقبلهم...) إلى أن قال : (.. ومن ذلك ما اتخذه المسلمون في عهودهم الأخيرة من ذكريات احداثهم، كذكرى الهجرة وذكرى ميلاد الرسول) (15).

لم يكن السلف الصالح - أصحاب القرون الثلاثة الأولى - بحاجة إلى الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لقرب عهدهم بنور النبوة، وانشغالهم بنشر الدعوة الإسلامية التي تلقوها من نبعها الصافي، جاهدين مجاهدين بأرواحهم وأموالهم حتى حدى بأحد المستشرقين إلى أن يقول : (إما أن تكون الدنيا في عهد هؤلاء القوم قد صغرت فجابوها، وساروا فيها بهذه السرعة، واما أن الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم). لكن الأجيال المتأخرة رأت بعد عهدها بالنبوة، وانشغال الناس بأمر دنياهم، خصوصا في عصرنا هذا الذي طغت فيه الماديات على الروحيات، واستحوذت على أفكار الناس وعقولهم وعواطفهم أسماء غريبة ذات شأن في شتى المجالات العلمية والفكرية والسياسية، فطغت صفات هؤلاء، وكثر الاهتمام بمناقبهم وأفكارهم في الحياة على صفات الرسول العظيم الذي أنار للإنسانية جمعاء سبيل رقيها وسعادتها.

إننا أمام جيل ابتعد عن الشريعة الإسلامية، فلا نسمع منه : قال الله.. قال الرسول.. وإنما نسمع منه قال : سقراط، قال لينين، قال المستر فلان.. وهكذا دواليك...

لهذه الأسباب وغيرها استحسن السلف من العلماء عمل المولد، وإظهار الفرح والسرور لصاحب هذه الذكرى، وبيان أعماله وفضائله ومعجزاته، ونشرها بين العامة والخاصة، رجالا ونساء، شيوخا وأطفالا.

لكن أخوف ما أخاف منه امام هذا التقدم العلمي، وهذه المبتكرات الحضارية، أن تختلط علينا السبل، وأن تنحل القيم الروحية لدينا بسبب التهافت على المقومات المادية...

وأخشى ما أخشاه أن تفكك اللحمة الروحية في أجيالنا الصاعدة فيوضع الشك والتردد في قلوبهم، وتتقلص لديهم قيمة المثل العليا، والتقاليد الحضارية العريقة.

فاحتفال المسلمين بيوم ميلاده (ص) يجب أن يقوم على أساس من البحث والتمحيص ليقدموا نتيجة جهدهم وعملهم الدؤوب إلى الذين لا يعلمون... فهو عيد العبرة... العبرة التي تستخلص من حياة هذا النبي الكريم... انه عيد البعث... الإسلامي...

إن أكثر ماتوحي به هذه الذكرى الخالدة اليوم هو العودة إلى الرسالة السماوية التي تحمل عبأها هذا الرسول الأمي - لتكون هاديا وحافزا لأجيالنا الفتية في فهم واقعهم ومعطيات عصرهم، فالقرآن كتاب لاتنقص عجائبه، ولا تنتهي معجزاته، ولا تتوقف أسراره على عصر دون عصر.

ما أحرانا في ذكرى ميلاده (ص) أن نعيد تقييم أنفسنا وأعمالنا لنعرف، أين نحن من نبينا، وأين نحن من رسالته الإلهية التي تركها بين اظهرنا (تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله، وسنتي وعترة آل بيتي) (16)، وخوفا من أن ينطبق،

---

12) مجلة هدي الإسلام مجلد 21 ع 3.

13) نفس المصدر.

14) تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي.

15) الإسلام والوجود الدولي للمسلمين.

16) من خطبة حجة الوداع.

علينا الشطر الأخير من الحديث النبوي الذي جاء فيه : (انا فرطكم على الحوض من ورد شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، ليرد على أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم) قال أبو حازم فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا فقال : هكذا سمعت سهلا فقلت نعم، قال وأنا شهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيه قال : (انهم مني فيقال انك لاتدري ما بدلوا بعدك فيقول : سحقا سحقا لمن بدل بعدي) (17).

ولكي نرضى الله والرسول لا بد أن نجعل من ذكرى ميلاد من أخذ بيد الإنسانية فانتشلها من الهمجية التي تردت فيها أجيال متطاولة... نعم لكي نرضي الله والرسول لا بد أن نجعل من ذكرى ميلاده أعظم مثال يجب أن يحتذيه المسلم للوصول إلى التخلق بأشرف الأخلاق. وأحسن مدرسة يجب أن يتعلم فيها كيف يكون الصدق في القول، والإخلاص في العمل، كما يجب على المؤمن أن يقوم باذاعة ما اكتمل له من فضائل، وما اجتمع له من شمائل، وما له من فضل سابغ على أمته، بل على الإنسانية جمعاء، اعترافا للرسول الأعظم بالجميل الذي اسداه.

لماذا ربيع الأول : قال ابن الحاج : (فإن قال قائل ما الحكمة في كونه عليه السلام خص مولده الكريم في شهر ربيع الأول، وبيوم الاثنين منه على الصحيح والمشهور عند أكثر العلماء، ولم يكن في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفيه ليلة القدر، وأختص بفضائل عديدة، ولا في الأشهر الحرم التي جعل الله لها الحرمة يوم خلق السموات والأرض، ولا ليلة النصف من شعبان ولا في يوم الجمعة ولا في ليلتها.

الجواب في أربعة أوجه :

الوجه الأول : ماورد في الحديث في أن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين، وفي ذلك تنبيه عظيم وهو أن خلق الاقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يتغذى بها بنو آدم، ويحيون ويتداوون، وتنشرح صدورهم لرؤيتها، وتطيب بها أنفسهم، وتسكن بها خواطرهم عند رؤيتها...

الوجه الثاني : أن ظهوره عليه الصلاة والسلام في شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفطن إليها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع، إذ أن فيه تفاؤلا حسنا ببشارته لأمته عليه السلام.

الوجه الثالث : ما في شريعته عليه الصلاة والسلام من شبه الحال، ألا ترى أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها.

الوجه الرابع : انه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالى أنه عليه الصلاة والسلام تتشرف به الأزمنة والأماكن، لاهو يتشرف بها...) (18).

ومن الموافقات العجيبة في حياة الرسول (ص) أن شهر ربيع الأول كان شهره من بين الشهور، وأن يوم الاثنين كان يومه من بين الأيام.

فيوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم ولادته في مكة.

ويوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم هجرته إلى المدينة.

ويوم الاثنين من الأسبوع الثاني من شهر ربيع الأول كان يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

قال الحافظ شمس الدين ناصر الدين الدمشقي : (19) قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الاثنين، لاعتاقه ثويبة سرورا بميلاد النبي (ص)، ثم أنشد :

إن كان هذا كافرا جاء ذمه
وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى انه في يوم الاثنين دائما
يخفف عنه للسرور باحمدا
فما الظن بالعبد طول عمره
بأحمد مسرورا ومات موحدا

وفي الأخير أهمس في أذنك أخي المؤمن، راجيا منك أن تقف وقفة المتأمل الواعي، وتنظر بنور الايمان والعقيدة الصحيحة إلى نفسك، وإلى من حولك... لامحالة سترى العجب العجاب، مما تقشعر له الابدان، ويدمي القلوب من البدع الضالة المضلة، التي اكتسحت المجتمعات الإسلامية، وعم شرها كل مرافق الحياة... في هذا الجو المشحون بالترهات والاباطيل يجب الجهاد والصمود - بايمان المؤمنين - امام الاديولوجيات المعادية للإسلام والمسلمين، واتركوا الناس يعيشون مع الذكريات الخالدة الطاهرة التي يوحي بها المولد النبوي الشريف، وارفعوا أيديكم عن السنة الشريفة.

---

17) رواه البخاري.
18) المدخل ج 2.
19) مورد الصادي في مولد الهادي.



للأستاذ شهاب جنبكلي

عبسى الربيع بروضتي (1) فتجردا ... وانتابها العسف المرير معددا

وتمزقت أحشاؤها في غدوة ... أضحت جحيما لاتقاوم أمردا

رقد الحماة عن الفلاح فذلها ... إنس وجن، والصفاء تبددا

والعين تدمع إذ ترى أحلامها ... بين الأفاعي تستباح لتفسدا

والقلب تثخنه الجراح وقد روت ... صهباءنا حمدا يشد معاقدا

ليل طويل لم يزدنا عمقه ... إلا سهادا لا يرد مشردا

لم يسخر التاريخ يوما مثلما ... أضحى الرقيق بقيده متوعدا

عبثت زبانية الجحيم بعزتي ... وتهيأت يوما لتسحق سيدا

مالي أرى الأشباح تصبح آفة ... والوارثون مجالسا ومراقدا...!

هامت طيور السعد، وهي عفيفة ... وبدت جيوش الشر تطفىء فرقدا

---

(1) روضتي : هي فلسطين.

سالت دماء لقوم دون شفاعة ... وارتدت الآلام تصفع ملحدا

عصفت بروضي نائبات فارتمت ... تستنجد العون الوفي من العدا

٥ × ٥

يا حسرتي من أمتي، إني أرى ... في كل شبر دولة ومراصدا

فتعددت أسماؤها في لحظة ... أضحى الهوان مقنعا ومجسدا

والعار فينا أن نرى آهاتنا ... نغما طروبا لا يرد مهددا

ضاعت حقوق الأوفياء بأرضهم ... وانسابت الآمال تشجب أجحدا

فاستعذبت عيناي جهلا أن ترى ... شعبا يقاتل نفسه متعمدا

وتشبثت فينا المظالم بعدما ... أضحى الإخاء عداوة وتمردا

كثر الكلام عن الإخاء فلم نجد ... غير التمادي في العداء ممهدا

مروا على الأحداث يوما لن تروا ... إلا وجوما للجدود مسددا

٥ × ٥

وقف العراق بساعديه مشمرا ... لقتال سوء صابر متوحدا

جادت نفوس الرافدين فحققت ... للصابرين ملاحما ومحامدا

حتى إذا حمي الوطيس على العدا ... صرنا لها متفرجا متباعدا

٥ × ٥

ودويلة الصحراء أضحت منهجا ... للزاعفين ومطمحا متصاعدا

حقا أرى الطيش المجنح بالأذى ... يبغي انفصالا منهكا متعددا

شعب المسيرة بالفداء محقق ... ضم البوادي، فانتحى متجردا

والمغرب الحر الأبي بقائد ... يسعى ويرقى في الشدائد سائدا

غضب العروبة أن ترى طيشا يعا ... ن على الخداع تصديا وتمردا

٥ × ٥

أين المآل ؟ وقد تصدع مقدس ... للمسلمين، وكان قبل مهندا

نزفت جراح البيت حتى أثمرت ... نارا على الصبر المرير وأزيدا

حتى متى نرضى الهوان وجرحنا ... يعلو بصوت الضائعين مرددا

٥ × ٥

حطت علينا من رياض(2) العرب بشـ ـــرى، صاغهـا الفهـد العظيـم مؤكدا

لهفي عليكم، تسلكون بوحـدة دربا يقود إلى الصفـاء محبــــدا

أضحى المنى أن ندفـن الأحقـاد في جوف العدا حتى نسود ونسعــــدا

أضحى المنى أن تختفي آهاتنــــا أضحى المنى أن نستفيق مجــددا

إن كان للإسـلام عهـد يرتجـــى فألحق أن يبنى الإخاء على المـدى

شهاب جنبلكي

---

2) هو الأمير فهد ولي عهد المملكة العربية السعودية، صاحب المبادرة الطيبة لحل مشكلة الشرق العربي.

قصة قصيرة :

بيت النمل

للكاتب الامريكي وليام ساروبان
تعريب : الأستاذ احمد ابراهيم السباعي

ذات يوم انتقلنا إلى سكن آخر، قال عنه صاحبه ، (إنه من الدرجة الأولى).. سكن له - دون أن امارئكم - شرفة، حيث يمكن للجدة أن تقضى النهار كله قابعة في كرسيها المتأرجح.. وهذا هو ما فعلته بمجرد وصول أفراد العائلة - الأحد عشر - في زيارة استطلاعية له، فقد شغفت به إلى حد أن أرسلتني - دون أن تفكر - لأحضر لها كرسيها بسرعة، وكما أقول قضت ما تبقى من النهار جالسة في الشرفة ولم تغادرها إلا بعد الغروب، حيث عادت إلى السكن القديم لتناول طعام العشاء، لكنها لم تلبث به طويلا حتى رجعت بسرعة إلى كرسيها بالشرفة لتتأرجح وتدخن.

كان الوقت صيفا، والحر شديدا في تلك الليلة لكن جدتي بقيت بالشرفة إلى أن أيقظناها في اليوم التالي، عندما شرع الحمالون في نقل الأثاث، وكان علينا - نحن الأحد عشر - أن نتنقل بين السكنين أربع مرات لنساعد على نقل الأثاث كله.

وفي الساعة الثانية كان الآثاث بأتمه مرتبا في السكن الجديد. أما العم (وفورد) فقد ذهب إلى المدينة ليقوم بإجراءات الحصول على الغاز والماء والكهرباء.. وفي تلك الليلة كان الماء يجرى في صنبور المطبخ، والغاز يشتعل في الموقد والكهرباء تغمر جميع الغرف.

أما (سام) - ونحن نتجاوز في ادخاله في زمرة النافعين للأسرة رغم مزاجه الحاد - فإنه يشتكي من كل شيء حتى أنه هدد أثناء تناول العشاء بالإنفصال عنا كما سبق أن فعل ذات مرة.

قالت له الجدة ،

- يجب أن تخجل من نفسك يا (سام) وأنت تهدد بالإنفصال عنا أمام الأطفال. أية قدوة هذه التي تقدمها لهم وأنت في سن الأربعين ؟

- مهلا - أجاب (سام) - إن هذا ليس حسنا كما تعلمين يا أماه.. إن نقلي من سكن إلى آخر كما لو كنت نكرة...

- لم نقل عنك ذلك أبدا قال العم (وفورد).. كل ما قلناه هو أن تتخلى عن الشكوى، وتحاول أن تكون نافعا بأي حال.

- وفيما ذا تنفع أنت يا ترى ؟

- فيماذا ؟ ألم أذهب إلى المدينة ؟ ألم أسع في الحصول على الماء والكهرباء والغاز ؟ لقد قمت بإعطاء إسمنا وعنواننا الجديد إلى وكلاء هذه الشركات.. وها نحن نتمتع بالماء والغاز والضوء.. يبدو لي أن القيام بكل هذا شيء نافع ولا يجب أن تنساه يا صديقي.

- لم يكن هناك أي داع للتخلي عن سكننا القديم.. ثم أية مصلحة لنا في ذلك ؟.. المانع الوحيد هو أنه لم يكن في إمكاننا تسديد الكراء.. ولا شيء غير ذلك.

قالت الجدة ،

- ليس ذلك فقط.. إن السكن القديم كان صغيرا جدا وليست له شرفة.. ولهذا تركناه.

- كمشة من الأنانيين - قال سام - لا تعطون أقل اعتبار لفني.. ماذا سيكون مصير جميع القصائد والقصص التي كتبتها حول المنزل القديم.

- أكتب قصائد وقصصا حول البيت الجديد. هيا.. خذ قلما واشرع في كتابة ما تريد من قصص وقصائد.

وبدأنا نعيش في السكن الجديد.. بعضنا يعيش داخله والبعض الآخر خارجه أما ابن عمي (ميرلي) ففضل الإقامة في السطح حيث ينعم بمنظر جميل على حد قوله.

كان السكن رائعا لولا النمل.. ففي كل مكان - بالداخل والخارج - كان النمل يمرح في حرية فوق أجسامنا وفيما نتناول من أطعمة طيلة النهار وأثناء الليل.

في البداية كان ذلك يثيرنا كثيرا، ويدفعنا إلى أن نلعن صاحب السكن الذي لم يصارحنا بالحقيقة. باستمرار - كان النمل يجتاح كل شيء ، الخزانات.. الملابس.. ما تحت القبعة وفوق الشارب أو الحاجب. حاربناه.. عملنا على ابادته.. صببنا الماء فوق البلاط. لكن فهمنا في النهاية أنه من الأفضل تركه يمرح في سلام. والحقيقة أنه كان سعيدا بهذه الحرية. بينما نحن نقفز وننتفض من تحركه على أجسامنا، ونلوح بأيدينا، ونحك أرنبة أنوفنا. لحظة واحدة كنا ننعم فيها بالهدنة، وهي اللحظة التي كنا ندخل فيها إلى الحمام.

قال سام ،

- بعد هذا انتظر أن نعود إلى السكن القديم.

- لا.. لن نعود - أجاب العم (وفورد) - سنبقى هنا.. وسنقاوم.. إننا هنا ننعم بالماء والضوء والغاز.. أرجال نحن أم لسنا برجال ؟

- إنني لن أستطيع أن أتكلم إلا باسمي الخاص..لكن يبدو لي أن استحمال النمل فوق جسمي طول النهار، إهانة لا تطاق.. لو كان لديكم شيء قليل من الاعتزاز بالنفس لفعلتم شيئا.

- ذلك ما نفعل.. دائما نعمد إلى فعل شيء.. نحك هنا تارة وهناك تارة أخرى.. ثم نأخذ حماما ونأوى إلى الفراش.. فاعتزازنا بأنفسنا - كما ترى - لا يقل عن اعتزازك بنفسك.

وسارت بنا الحياة، نعمل ونقاسي في السكن الجديد. كل الأيام... دقيقة وراء دقيقة.. ندق الأرض بأحذيتنا وننتفض ونضرب براحة أيدينا في كل مكان.. ونأكل النمل مع الخبز.. و(الصلصا).

قالت جدتي ،

- رأيت كثيرا من النمل.. لكن النمل بهذه الكثرة لم أشاهده في حياتي قط.

أما ابنة عمي (بلما) فكانت تقفز وتضحك وتهز ذراعيها وتفتحهما على شكل صليب، وتصيح كالهنود الحمر ،

- أووه.

شيء جميل أن تسمعها وهي تقلد الهنود الحمر. ويأتي الناس من كل مكان فيتطلعون بنظراتهم إلينا ليروا ما حدث. لكن سرعان ما يطأطؤون رؤوسهم، ويتابعون سيرهم نحن بيوتهم.

لكن ذات مرة استطاعت الشيطانة (بلما) بصياحها المتواصل أن تصطاد خطيبا.. شابا يرتدى (خرسيا) أحمر اللون.

- ماذا يحدث في بيتكم أيتها الصغيرة ؟
- النمل ! - أجابت (بلما).
- ولماذا لا تقتلينه ؟
- ها أننا أفعل.. بل نفعل.. لكنه وفير.. وأكثر منا ذكاء.
- أنا أعرف كيف أزيحه من الوسط.. فليس من الحق أن تتعبوا وتقاسوا هكذا.

- لم نعد نقاسي.. لقد تعودناه.
- وهذا القفز المتواصل.. الا يتعبكم ؟
- قليلا.

هكذا بدأت قصة حب (بلما).. اسم الفتى جون.. بحار - حسب ما قال - وقد سبق له مرة أن أبحر على ظهر باخرة من سان فرانسيسكو إلى كينغسبورغ. وهذا على كل حال، يخول له أن يقول، أنه اشتغل على ظهر باخرة كبيرة تدعى (فاسكودي كاما).

وأحبت جدتي (جون) لجرأته ونقمته على الحياة.
- ألا تصدقين ما أقول ؟ لكن هذه هي الحقيقة.. لقد اشتغلت بتلك الباخرة، باخرة كبيرة سبق لها أن زارت الهند.. وأماكن أخرى.

- بالله !.. الهند ؟ - رددت الجدة بإعجاب - أية رائحة تعقبها يا ترى بعد أن كانت هناك.

- رائحة البن والبترول.. أما في صالة الآلات فالحرارة مرتفعة.. ولأجل هذا عدلت عن الذهاب إلى أمريكا الجنوبية.

- أمريكا الجنوبية ! كنت على وشك أن ترحل إلى بعيد.
- وهو كذلك.

ثم تابع كلامه ،

ـ اسمعي.. لو وضعت دولارين. أحدهما فوق الآخر.. فهل أستطيع أن أتزوج (بلما).

ـ ولم لا ياولدي ؟.. يبدو لي أنك فتى محترم.

ثم أردفت قائلة ،

ـ وإلى أي مكان آخر وصلت الباخرة التي كنت تعمل على ظهرها ؟

ـ حكوا أنها وصلت إلى لقربول.. وأماكن أخرى كثيرة.

ـ رائع ! إنه لشيء مهم ـ بدون شك ـ أن يستطيع الإنسان التحدث إلى شاب زار كل هذه البلدان.

وتزوج (جون) حبيبته (بلما) بعد خمسة عشر يوما من تعارفهما. وقد قام العم (سام) بإدارة مراسيم حفلة الزفاف وإلقاء بعض القصائد. أما ابن عمي (ميرلي) فتكلف بعزف قطعة غنائية بالمناسبة. والحقيقة أن جون لم يستطع الحصول على دولارين لتسديد قيمة وثيقة الزواج لذا اقتسم الخطيبان المقدار بينهما.

علقت الجدة على ذلك قائلة ،

ـ في إمكانك أن تؤدي بقية المقدار فيما بعد.. أي حينما تحصل على النقود.. إنها عملية مشروعة. أو ليس كذلك يا (سام)؟

ومنذ ذلك الحين أصبح عددنا في البيت إثنى عشر.. نقفز كلنا وننتفض لإزالة النمل.. وننعم بأيام لطيفة.. بل ممتعة. مع كثرة الأشياء الصغيرة التي تدعو إلى التفكير.

قضت (بلما) و(جون) شهر العسل بالجانب الأيسر من الشرفة. وكلما سألت الجدة (جون) عن الأماكن الأخرى التي زارها تبادل الشابان النظرات وانطلقا في الضحك.

وذات يوم اقتربت (بلما) من الجدة وهمست في أذنها فرددت هذه الأخيرة ،

ـ ماذا ؟.. ماذا تقولين.. يالله ! ساعة مباركة.

وعلمنا أن (بلما) حامل.

وبين هذه الأشياء، وأخرى. قضينا شهرين ممتعين في السكن الجديد الذي يكتسحه النمل.. مع باخرة (جون) وقصة حب (بلما).

وذات يوم حرمنا من الماء والغاز والكهرباء، وبقينا أسبوعا بدون هذه الإمكانيات المريحة. وإثر ذلك جاء صاحب السكن يطالب بثمن الكراء.

فقالت له جدتي ،

ـ تسديد الكراء.. ياللغلط !.. إن السكن مملوء بالنمل.

وحملنا أمتعتنا.. وودعنا السكن الجديد غاضبين.

تعريب: أحمد ابراهيم السباعي ـ تطوان

النصيحة لله

للأستاذ محمد محمد العليمي

أخرج تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ، «الدين النصيحة (ثلاثا) قلنا ، لمن يا رسول الله ؟ قال ، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

وفي صحاح أحمد ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي عن أبي هريرة عن ابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ، «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم».

فأما النصيحة لله تعالى فهي التصديق والإيمان به، ونفي الشريك عنه، وتنزيهه عن الوزير والصاحبة والولد. فهو مدبر الملك وحده دون سواه ، «لو كان فيهما آلهة (أي السموات والأرض) إلا الله لفسدتا». ومن النصيحة لله تعالى كذلك الإبتعاد عن الأصنام والأوثان، وعبادة الشخصية، وتفويض الأمر إليه جملة وتفصيلا في الأخذ والعطاء، فهو سبحانه «الحميد المجيد الفعال لما يريد - لا يسأل عما يفعل وهم يسألون». والنصيحة لله تقتضي أيضا اجتناب الإلحاد بجميع مظاهره وأشكاله المكشوفة والمقنعة، كما تستوجب وصفه بجميع صفات الكمال والجمال والجلال في صفاته وأسمائه كلها، فهو سبحانه وتعالى غير موصوف بأي وصف ذميم، إذ يستحيل في حقه كل نقص، ومقام الربوبية والألوهية فوق كل المقامات، والعجز عن الإدراك في هذا الباب هو تمام الإدراك ، «ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير». وكل ما خطر ببالك، فربنا مخالف لذلك، والنصيحة لله هي القيام بطاعته، وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه بما جاء في الكتاب والسنة وانتهاج الطريق المستقيم الذي هو طريق الله ، «ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله». فالمؤمن المسلم لا يقرب الآثام والمعاصي والفواحش الا اللمم، فإذا وقع في مخالفة من المخالفات، أسرع بالرجوع والانابة إلى الله تعالى، واستغفره وتاب وقدم الأعذار لمولاه في خشوع وذلة وانكسار. والمؤمن المسلم يحب في الله، ويبغض في الله، فيعادي من عاداه، ويوالي من والاه ويجاهد من كفر به فطغى واستكبر وتجبر، ومن الإيمان بالله والنصيحة له الإعتراف بآلائه ونعمه وتفضلاته التي لا تعد ولا تحصى وشكره عليها، وسلامة النية والإخلاص في جميع الأمور والمعاملات والصدق في الدعاء له، والحث على فعل الخير وإصلاح ذات البين، وكظم الغيظ، والعفو عن الناس، والتشبث بالإحسان من دون انتظار جزاء على ذلك، فعليك أن تفعل الخير في أهله وفي غير أهله، حتى تجد من يستأهله، فإن لم تجد فأنت له أهل، والله هو وحده الأعلم بالأسرار والخفايا والنوايا، ومن النصيحة لله التلطف مع الناس قولا وعملا والحث على ذلك في كل الظروف والأحوال والإستقامة ما أمكن مع النفس ومع الغير، ومحبة الله والشعور بمعيته والشوق إلى لقائه في خلقه، لأن حقيقة النصيحة لله هي الإتصاف بأحسن الأوصاف الخلقية فيما يرجع للعبد مع نفسه ومعرفتها وسبر أغوارها وأعماقها، لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه، وإلا فالله تعالى غني عن نصح الناصحين.

وأما النصيحة لكتاب الله، فهي الإيمان بأنه منزل من عند الله، فلا يشبه كلام الخلق، ولا يستطيع الإتيان بمثله أحد، وكل من ينصح لكتاب الله فهو يعظمه ويتلوه بخشوع، وينطق بحروفه

بإتقان، ويدافع عنه بقدر ما أوتي من علم واطلاع، لا يخشى في الله لومة لائم ضد تأويلات المغرضين والمنحرفين، ويصدق بما جاء فيه، ويعمل بأحكامه، ويفوض الأمر إلى الله ولا يخوض في متشابهه، ويتفهم علومه وأمثاله وأحكامه، ويسترشد بمواعظه ويفكر في آياته وعجائبه ومعجزاته، ويبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ويعلم ما أمكنه العلم من دقائقه وخفاياه البلاغية واللغوية والتفسيرية، وينشره على صفائه من غير أدنى تحريف بين الناس كافة، ويكون معتزا به، لا يسترشد ولا يهتدي إلا به، وحقيقة هذه الخواص تتوب العبد في نصيحته لنفسه، وحثها على الخير، وإبعادها عن الشر ومهاوي الانزلاق، وإلا فكتاب الله غني عن نصح الناصحين «إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون».

وأما النصيحة لرسول الله فهي الإيمان والتصديق برسالته وبجميع ما جاء به، والطاعة الدائمة لأوامره ونواهيه، ومناصرته ومؤازرته بالغيب، وتعزيز مواقفه حيا وميتا، ومحالفة من حالفه ومحاربة من حاربه وتعظيمه وتوقيره، وإعلاء مكانته، والعمل على إحياء منهجه وسنته، ونشر دعوته، ونفي كل ما يتهمه به دعاة التدجيل والضلالة والشعوذة والتشكيك والمذاهب الباطلة الهدامة، وكل أساليب الإلتواء والزندقة والتفكير المنحرف الخاطىء.. ومن النصيحة لرسول الله التفقه في الدين، والإجتهاد في أسراره ومعانيه، والدعوى إليه، والمجادلة فيه بالحسنى.. ومن ذلك أيضا التبحر في السنة النبوية الشريفة، مع ما يليق بها من تأدب وإعظام وإجلال عند قراءتها وتدارسها، والإمساك عن الخوض فيها بغير علم، وإضفاء الوقار والإحترام على أهل الحديث لانتسابهم إلى صاحبه عليه أزكى الصلاة وأفضل التسليم، والسير على منهاج الهدي المحمدي والتخلق بإخلاق الحضرة النبوية والتأدب بآدابها، ومحبة آل بيت الرسول لله ولقرابتهم منه، ومحبة أصحابه الكرام، ومجانبة أهل البدع أو الذين يتعرضون لأحد من أصحابه بسوء القول، وما شابه ذلك. وقد قال الله تعالى : **((من يطع الرسول فقد أطاع الله))**.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين، فمؤازرتهم على الحق، ومعاونتهم على توطيد العدل والإنصاف وطاعتهم في طاعة الله ورسوله، وتنبيههم وتذكيرهم بما غفلوا عنه في أدب ورفق وتلطف، وإلفات نظرهم إلى حقوق المسلمين في دينهم ودنياهم، وتأليف القلوب على موالاتهم ومناصرتهم في مخططاتهم ومنجزاتهم، والصلاة خلفهم، والدعاء لهم بالتأييد والتمكين والجهاد معهم، وأداء الواجبات لهم، وعدم الثناء الكاذب عليهم، والتماس الصلاح والإصلاح على أيديهم وفي ظلهم وتحت رايتهم، والتمسك ببيعتهم لأنهم خلفاء الله في الأرض والساهرون على شؤون المسلمين، والقائمون بولاياتهم. ومن النصيحة لائمة الأمة الذين هم أيضا علماؤها إحسان الظن بهم، ونية الخير في الاقتداء بهم وتصديق ما رووه من الكتاب والسنة ومالهما من شروح وإيضاحات، وما ترتب عليهما من اجتهادات تنضح بالرحمة والأخذ بيد المسلمين إلى طريق الهدى والفلاح والصلاح ، **((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا))**.

وأما النصيحة لعامة المسلمين فهي توجيههم التوجيه الصالح في دنياهم وأخراهم وتشجيعهم على التنافس في الحق والتقوى والإحسان قولا وفعلا وهو الإسلام الرفيع، وستر عوراتهم وإصلاح ذات بينهم، وإسداء المعونة لهم، ودفع الشر عنهم، وجلب الفوائد والمنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والمباعدة بينهم وبين الحقد والحسد، والمشاحنة والعداوة والبغضاء، والرفق بهم والإخلاص إليهم في كل الظروف والملابسات، وتوقير كبيرهم، والرأفة بصغيرهم والشفقة عليه، وتأليف قلوبهم بالحسنى والموعظة البالغة والكلمة الطيبة، وتحبيب الخير إلى نفوسهم، وتكريه الشر إليهم، والدفاع عن أموالهم وأعراضهم، وتجديد الإرشاد لهم على الدوام لتنشيط هممهم على الطاعات والفوائد الحسية والمعنوية التي تعود بالخير العميم على الأفراد والجماعات، وكفى ديننا الحنيف شرفا ورفعة أن جعل النصيحة هي جوهر الدين والإسلام، وقد قال الله تعالى في محكم التنزيل ، **((ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر))**.

وسواء كانت النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، واجبة وجوب عين أو كفاية، فإنها على كل حال حجر الزاوية في تصحيح العقيدة السليمة، والسهر على دوامها واستمرارها، إذ لا وجود للإيمان القوي إلا بالتناصح والتآزر والتعاون على البر والتقوى والفضيلة والإحسان.

الربـــاط ـ محمد بن محمد العلمـــي

قفوا لجلال العرش

للأستاذ قدور الورطاسي

قفوا لجلال العرش، فالعرش رائـــد....
وحيوا مليكا توجته الخوالـــد
مليك سليل المجد من عهد يعرب
أصيل السجايا، وطدتها الوطائـــد
مليك إذا ما الخطب الهب عزمه
تداعت - على رغم العداة - المكايد
فما الأمر إلا أن يقر قـــراره
إذا بالعداة حطمتها الفدافد
فكم دك من حصن حصين بعزمه
وكم فل من جيش، فذل المعاند
وأمسى الخصوم اللد في حلكة الأسى
فدانوا، ودانت للرحاب الفراقد
وتاهت به العلياء في كل موقف
فسادت به البلدان، والشعب راغد
ولا غرو إذ تدنوا الاماني لعرشه
وترسو على رغم الأنوف القواعد
فمذ كان، كان النصر يخطب عرشه
فيمهره الاقدام، والخطب حارد
فتعنو له الوجوه ودا، ورهبة
كذا عزة الملوك مالد مارد
وفي ساحة الأفضال شهم مماجد
عريق الندى، صحت لديه المساند

أريج الدمـاء مـن رسـول مخلـــد

ومـن عطرهـا اخلاقـه والعوائـــد..

ففي الحســن الثانــي وطيـد رجائنـا

وفيـه الأمانـي الغـر ما لان ناشـد

ومنـا الوفـا، كـل الوفـاء لعهدنـــا

ولو طوقتنـا في الخطـوب الشدائـــد

فنحـن الجنـود الحمـس فـي كـل داهم

ونحـن الأبـاة الأسـد ماماد مائـــد

فنفديـه بالأرواح ما صــاح صائـــح ،

هلمـوا إليـه، فالخطـــوب مواقــــد

خـلال ورثناهـــا علـى طـــول دهرنـا

ومنـه اقتبسنـــا مـا بـه نتواجـــد

٥٥٥

فللـه عـرش فـي القلـوب محبــــب

ولـه «ملـك» صـارم العـزم صامــد !!

أضاءت لـه السمـاء نهـج خلـــوده

فمـن نبلـه تنمـو النهـى، والمــــوارد

فايـدى السمـــاء جبتــه لشعبـــه

فلانـت - بحبـه العميـق - المقالـــد

كـذاك الملـوك الصقـر فـي كـل هيمة

قرومـا، وان ثـارت عليهـا المئاســـد

وسلمـا نبيلـة المقاصـد، شيمـــــة

لهـم فـي دنـى السلام ما طاب قاصـد

ففي منهج التوفيق، يا خيـر مالــــك

رعتـك السمـاء، والسجايـــا روافـــد

ومنـا التهانـي الصادقـات مدى الدنـــى

وما صاح شعر صادق متـــــــوارد

قفـــوا لجـلال العرش، فالعـرش رائـــد

وحيـوا مليكـا توجتـه الخوالــــد

العرش الصامد والخالد

للأستاذ محمد أجانا

رقص الأطلس يبدي فرحة العيد السعيد
وانتشى الشاطىء بشرا وتغنى بالنشيد

٥ × ٥

طرب الجدول يمشي جذلا نحو المصب
هتف الشعب رضيا باسما بسمة حب

٥ × ٥

ضحك العود وغنى بلبل الروض لحونا
وجرى النهر طليقا عاشقا يهوى الفتونا

٥ × ٥

وغزا الفجر الوجودا بضياء وشعاع
أصبح الكون بهاء في علو وارتفاع

٥ × ٥

نشط الفن وأضحى ناشرا أحلى الظلال
تفرح العين برسم فوق وصف أو مثال

٥ × ٥

وأرى القلب سعيدا بقصيد من خيال
مثلما تسعد أذن بنغيمات كالدوالي

٥ × ٥

وأحاط العشق بالعرش ليبقى في الزمان
خالدا كالروح كالقدس كتوراة وقرآن

٥ × ٥

عرشنا يحمي حمانا ويرد الكيد عنا
إنه يحفظنا في وحدة كبرى تقينا

٥ × ٥

قد صنعناه قديما من ضلوع وقلوب
وبه صرنا جميعا نتحدى كل الخطوب

٥ × ٥

وإذا شئنا هلاكا فلنرد عنه بديلا
إنما هذا البديل مسخ روح كان جليلا

٥ × ٥

أيها الشعب الأبي احفظ العهد القديما
لا تزغ عن حقد كيما ترى دوما سليما

٥ × ٥

وإذا شئت النهوضا فبدستور ومليك
فهما ركنا شعوب لم ترد غير السميك

٥ × ٥

أيها الشعب الكريم احفظ الدين القويما
لا ترم دينا من الأرض فقد تحيا عقيما

٥ × ٥

كل من يبغي الحياتا ليس الدين كساء
ولزدرى الإلحاد مقتا وارتضى الدنيا رداء

٥ × ٥

وإذا الإسلام أمسى كجدار لحياة
وقف الستر سياجا ما نما من هفوات

٥ × ٥

إنما الإسلام للنفس وقاء من غوايات
إنه طهر لها من كل إثم وضلالات

٥ × ٥

أيهـا الشعـب تحـل بسجايـا المكرمـات
وتزيـن بصفـات من «كتـاب» المعجـزات

٥ × ٥

إنمـا القـرآن لحـن صيـغ طيبـا للعقـول
فـإذا مـا رتلتـه وجـدت كـل الحلـول

٥ × ٥

أيهـا الشعـب النبيـل سـر وراء الحسـن الثانـي
تتخطـى كـل صعـب مدركـا كـل الأمانـي

٥ × ٥

رافـلا فـي حـلل العـدل فـلا تخشـى الظلامـا
نائـلا بالدمقـرا طيـة المثلـى المرامـا

٥ × ٥

عشـت فـي أيامـه يمنـا وخيـرا وأمانـا
مثلمـا نلـت حقوقـا ودخلـت البرلمانـا

٥ × ٥

فجمعـت الفخـر مـن أطـرافـه ركـن السيـاده
وأقمـت المجـد بنيـا ن شمـوخ وقيـاده

٥ × ٥

فاهنـإ اليـوم بعيـش طيـب المجنـى رغيـد
ولتـدم فـي ظـل ملـك سيـد شهـم مجيـد

٥ × ٥

إنـه قـاد سفينـا بذكـاء وثبـات
بيـن أمـواج المحيـط هـادرات صاخبـات

٥ × ٥

عزمـه عـزم صخـور لـم تزعزعـه العواصـف
لـم تنـل منـه رعـود وبـروق كالسفاسـف

٥ × ٥

عبقـري فـي ميادـيـن علـوم وسياسـة
واحـد فـي الكـون قـد نـال علـى الدنيـا الرياسـة

٥ × ٥

أدهش العالم شرقا   وجنوبا وشمالا
ثم غربا لم يجد منـ   ـه نظيرا ومثالا

٥ × ٥

قائداً لقادة في الد   نيا زعيم ومحنك
وخطيب وسياسي   وعظيم ومملك

٥ × ٥

رزق الفهم البعيدا   أتى الحظ السعيدا
أعطي المجد التليدا   منح القدر المديدا

٥ × ٥

لم يكن غير وفي   لبلاد ولشعب
يرسم الخطة فنا   متقنا من غير عيب

٥ × ٥

ساهر العين ليحيا   شعبه رهن النعيم
لم يعد يعرف معنى   لحياة في الجحيم

٥ × ٥

وانتهى عهد الشقاء   وأتى وقت الرخاء
وتبدى الأفق صحوا   والأراضي في نماء

٥ × ٥

فرحة العامل كانت   نشوة كبرى وبشرى
حين قدرت له في   «معمل» قسطا وأجرا

٥ × ٥

بسم الإسلام فيضا   من نشاط وحبور
إذ رأى فيك اعتصاما   «بكتاب» من خبير

٥ × ٥

ومن الشعب ألوف   كونوا تلك المسيره
وبها حررت صحراء   وكانت مستجيره

٥ × ٥

آه منها بقيت في   وهم «جار» يبتغيها
ظنها معشوقة فانـ   ـقاد وهما يحتويها

٥ × ٥

إن فـي المغـرب أسـدا تتصـدى للدخيـل
تحـرس الآفـاق مـن كـل عـدو مستطيـل

٥ × ٥

تتحـداه بعشـق وطنـي ونضـال
وبجيـش عبقـري روحـه صـون الرمـال

٥ × ٥

ويـرد الصـاع صاعيـن ويرمـي بالشـرار
إنـه يفنـى شهيـدا دون ذل دون عـار

٥ × ٥

طـرب القـدس وغنـى إذ رأى فيـك المحـرر
بـات يرنـو ساهـر العيـن يـرى فيـك المطهـر

٥ × ٥

لجنـة القـدس استطابـت بـك خوضـا للمعـارك
واستهانـت بسبيـل كـان وعـرا فـي المسالـك

٥ × ٥

أبشـري يـا قـدس إنـي لامـح فيـك انعتاقـا
صـرت أرضـا حـرة التـرب معاشـا ومذاقـا

٥ × ٥

حسـن الخيـر يفديـك شبابـا وشيوخـا
وبمـال ودمـاء ليـرى فيـك شموخـا

٥ × ٥

حسـن الخيـر مليـك عاشـق عتـق العبيـد
مثلمـا يهـوى فكاكـا لشعـوب فـي القيـود

٥ × ٥

ومـع اللـه هـواه ساعيـا نحـو رضـاه
بصـلاة منـه فاضـت مطـرا تلـك سمـاه

٥ × ٥

فارتـوى المغـرب سهـلا وجبـالا ونجـودا
وغـدا الشعـب ابتهاجـا شاكـرا ربـا حميـدا

٥ × ٥

يـوم ناديـــت لحـــــرث فلقـــد هبـــت جمـوع
كانت «التويزة» فيهــــــم إذ بهـــا يقبـــر جـــوع

٥ × ٥

وغـدا الفـــلاح يزهـــــو حامـــلا فأســـا لحقــل
ينثـر البــذر نشيطـــــا آمــلا مــن حســن فعــل

٥ × ٥

ليعـم الخيـــر أرضــــا ويعيـــــش الشعـب أمنـــا
رافـلا فـي ثــوب عـــز ما درى للبـــؤس معنـــى

٥ × ٥

يا مليكـــا دمت رمـــزا لبـــــلادي ولشعبـــي
مثلمـــا دام ولـــي الــ ـعهـد محفوظـــا بربـــي

٥ × ٥

وتقبـــل مـــن فـــؤادي نغـم الحـــب .... ولاء
طاهـــرا مـــن كـــل شـوب صافيـــا يبـــدو رواء

٥ × ٥

مكناس : **محمد أجانا**

للنشر في العدد الممتاز بمناسبة الذكرى الفضية

● يرجى من السادة الكتاب والشعراء الذين يودون النشر في عددنا الممتاز الذي سنصدره بحول الله بمناسبة الذكرى الفضية لمجلة (دعوة الحق) أن يبادروا إلى موافاتنا بانتاجهم في أقرب وقت حتى يتسنى لنا إعداد مواد العدد في موعد محدد ●●



الوجادات

821 - 833

للأستاذ عبد القادر زمامة

821 - لشدة انتفاخ رؤوسهم....!

وجدت في كتاب « صورة الأرض » للرحالة ابن حوقل عند كلامه على جزيرة صقلية، ص 115 ط بيروت.

ولقد كنت واقفا ذات يوم بها في جوار دار أبي محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصي الفقيه الوثائقي فرأيت من مسجده في مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصري...! ومنها شيء تجاه شيء.. وبينهما عرض الطريق فقط...! وسألت عن ذلك. فأخبرت أن القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم، كان يجب كل واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه. لا يشركه فيه غير أهله وغاشيته. وربما كان أخوان منهم متلاصقة داراهما متصاقبة الحيطان، وقد عمل كل منهما مسجدا لنفسه ليكون جلوسه فيه وحده....!

822 - فنصرانية مع أمها ....!

ووجدت في كتاب « صورة الأرض » للرحالة ابن حوقل ص. 123.

... وهم المشمعذون ....! أكثر أهل حصونهم وباديتهم وضياعهم، رأيهم في التزويج إلى النصارى، على أن ماكان بينهم من ولد ذكر لحق بأبيه من المشمعذين وماكانت من أنثى فنصرانية مع أمها...!

823 - أجزاء الحجر الأسعد ...!

وجدت في كتاب « مع ابن جبير في رحلته » لمؤلفه الشيخ عبد القدوس الأنصاري. ص. 176 ط القاهرة 1977 م.

... ووصف ابن جبير (في رحلته) للحجر الأسود بأنه أربع قطع. يخالف واقع عدد هذه القطع الحالي. فعددها كما حققه محمد طاهر الكردي الخطاط المكي هو ثماني قطع منتظمة على شكل حرف الواو المعكوس...! خمس منها كبار الحجم نسبيا. واثنتان متوسطتا الحجم نسبيا. وواحدة هي أصغرهن حجما...!

824 - طواف النساء...!

وجدت في رحلة ابن جبير ص 117 ط القاهرة سنة 1955.

... وفي اليوم التاسع والعشرين منه (رجب) وهو يوم الخميس، أفرد البيت للنساء خاصة. فاجتمعن من كل أوب. وقد تقدم احتفالهن لذلك بأيام. كاحتفالهن للمشاهد الكريمة. ولم تبق امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ذلك اليوم. فلما وصل الشيبيون لفتح البيت الكريم على العادة وأسرعوا في الخروج منه وأفرجوا للنساء عنه. وأفرج الناس لهن عن الطواف وعن الحجر. ولم يبق حول البيت المبارك أحد من الرجال. تبادر النسوة إلى الصعود حتى كاد الشيبيون لا يخلصون بينهن عند هبوطهم في البيت الكريم. وتسلسل النساء بعضهن ببعض وتشابكن. حتى تواقعن. فمن صائحة ومعولة ومكبرة ومهللة. وظهر من تزاحمهن ماظهر من السرو اليمنيين مدة مقامهم بمكة وصعودهم يوم فتح البيت المقدس. واشبهت الحال الحال. وتمادين على ذلك صدرا من النهار وانفسحن في الطواف والحجر وتشفين من تقبيل الحجر واستلام الأركان. وكان ذلك اليوم عندهن الأكبر ويومهن الأزهر الأشهر نفعهن الله به.. الخ...

825 ـ بليونش...

وجدت في كتاب « رحلة الوزير في افتكاك الأسر » لأبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني. ط العرائش 1940 ص. 5.

والذي يقابل جبل الفتح من بلادنا هو جبل (بليونش) ويعرف بجبل موسى. ويسمى هذا الجبل (بليونش) باسم مدينة كانت به قديما وقد بقي بها أثر الجدران والحيطان. وأشجارها باقية الى الآن تدل على مكانتها. وهي في غرب سبتة ومقدار ما بينهما نحو ميلين. وفي غرب بليونش عيون مياه عذبة تعرف قديما بعين الحياة. زعموا أنها عين الحياة التي شرب منها الخضر عليه السلام. وبإزاء تلك العيون صخرة يزعم بعض أهل التاريخ أن عند تلك الصخرة نسيه فتى موسى الحوت...!!

826 ـ دار الشيخ بن أحمد المنصور الذهبي...!

ووجدت في كتاب « رحلة الوزير في افتكاك الأسير » ص. 10 عند ذكر مدينة (سنتامرية).

... وبطرفها من جهة البحر دار كبيرة. وقد سدوا بابها الذي يدخل إليها منه. وهي الدار التي نزلها السلطان الشيخ بن السلطان أحمد الذهبي الداخل إلى اسبانيا. فلا يعمرها أحد ولا يسكنها... إذ عوائد النصارى أن يحترموا الدار التي كان قد نزلها ملك من الملوك..! وبنوا بابها فلا يسكنها أحد. وبناء بابها علامة ذلك...!!

827 ـ من دم ملك غرناطة...!

ووجدت في كتاب « رحلة الوزير في افتكاك الأسير » ص. 13. عند ذكر مدينة « أطريرة ».

... ولقد شاهدت ابنتين ، بنت حاكم البلد. والأخرى بنت القاضي في غاية الحسن والجمال والكمال لم ترعيني في جميع ما رأيت من بلاد اسبانيا على سعتها أجمل منهما. وهما من بنات الأندلس ومن دم ملك غرناطة الأخير الذي غلب عليها .وهو الملك المعروف عندهم (بالري الشيكو) ومعناها السلطان الصغير ولقد أخبرني بمدينة مدريد رجل يسمى ضون الونصو حفيد موسى أخي السلطان حسن المتغلب عليه بغرناطة أن البنتين اللتين بأطريرة من دمه...!!

828 ـ أميركة « البلاد الهندية...!!! »

ووجدت في كتاب ، رحلة الوزير في افتكاك الأسير « التعبير عن القارة الأميركية باسم « البلاد الهندية » ص. 44.

... ولم يزالوا يملكون في الهند بلدانا كثيرة وأقاليم متسعة يجلبون منها كل سنة ما يغنيهم... وبحصول هذه البلاد الهندية ومنفعتها وكثرة الأموال التي تجلب منها صار هذا الجنس الأسبنيولي اليوم أكثر النصارى مالا وأقواهم مدخولا. إلا أن الترف والحضارة غلبت عليهم. فقلما تجد أحدا من هذا الجنس يتاجر أو يسافر للبلدان بقصد التجارة كعادة غيرهم من أجناس النصارى مثله الفلمنك. والإنجليز والفرنسيس والجنويين وأمثالهم. وكذلك المهنة التي يتداولها السقطة والرعاع وارذال القوم يتأبى عنها هذا الجنس ويرى لنفسه فضيلة على غيره من أجناس المسيحيين...!!

وأكثر من يستعمل هذه الحرف المهينة في بلاد اسبانيا جنس الفرنسيس وذلك حيث كانت بلادهم ضيقة المعاش والأرزاق صاروا يتقلبون في بلاد اسبانيا بقصد الخدمة واقتناء المال وجمعه. ففي أيام قلائل يجمع أموال جمة. ومنهم من يرغب عن بلاده. ويستوطن بهذه البلاد وإن كانت غالية الأسعار. فإن موردها كثير...!!

829 ـ ما على وجه الأرض...!

وجدت في كتاب «حسن المحاضرة» للسيوطي ج 1 ص 142

قال أبو الحسن الشاذلي :

قيل لي ما على وجه الأرض مجلس فيه الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم (المنذري) وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك...!

830 ـ من كاتب البطاقة...؟

وجدت في كتاب « البيان المغرب » لابن عذاري المراكشي ج 1 ص 160.

وكانت أيمان كتامة أول دخولهم افريقية...

ـ وحق عالم الغيب والشهادة مولانا المهدي الذي برقادة...!

حتى كتب بعض أحداث القيروان هذين البيتين وتلطفوا في وصولهما إلى عبيد الله المهدي الشيعي من حيث لا يعلم، وهما :

الجور قد رضينا — لا الكفر والحماقة
يا مدعي الغيوب — من كاتب البطاقة..؟

831 ـ قبر عبد الله ابن ياسين

وجدت في كتاب « الاغتباط » لأبي عبد الله بوجندار عن قبر ابن ياسين ما يأتي :

قبر ابن ياسين بتراب أولاد خليفة من قبيلة زعير، بالمحل المعروف بكريفلة بالگارة المعروفة بگارة مولاي عبد الله.

832 ـ ترغة...!

وجدت في كتاب « النفحة المسكية في الرحلة التركية » لأبي الحسن التمكروتي، ص. 12 ط باريز..

وقال ابن عبد ربه في عقده...؟؟؟

هي بلد كبير ذو سور بها جامع، وهي بلاد الحياكة، منها إلى وادي لو نحو ثمانية أميال، ومنها إلى تطوان أربعة وعشرون ميلا...!

833 ـ أين الأتان يا أباها...؟

وجدت في كناشة بها أشعار وأخبار هذين البيتين وهما مما قيل عند القبض على بوحمارة..!

أين الأتان يا أباها وأين ما — تروم وأين الترهات الصحاصح
إذا جاء نهر الله قيل لمعقل — تنح أيا هذا، فذا النهر طافح

فاس : عبد القادر زمامه

مسابقة ثقافية اسلامية حول حياة وآثار العلامة ابن خلدون تنظمها الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي

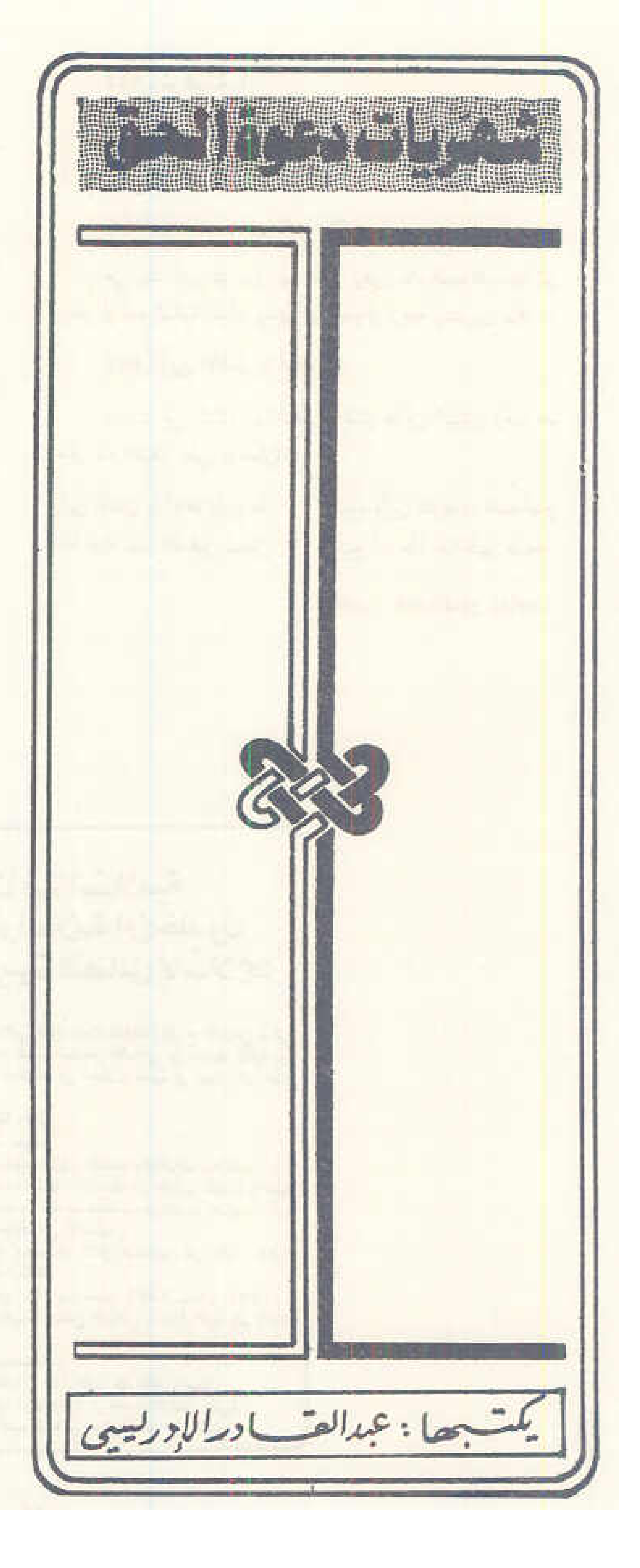
بمناسبة احتفال العالم العربي والاسلامي بذكرى ميلاد العلامة والمؤرخ الاجتماعي « ابن خلدون » يعلن المكتب التنفيذي للجمعية المغربية للتضامن الاسلامي عن مسابقة ثقافية بين الاساتذة والباحثين المغاربة لكتابة دراسة متكاملة عن الجوانب الخفية في حياة وآثار العالم الاجتماعي الكبير « ابن خلدون ».

ويشترط للمشاركة في هذه المسابقة مايأتي :

1) ان يكون المتسابق من جنسية مغربية.
2) ان تكون له مشاركات علمية مشهود له بها (كتابات، محاضرات، مؤلفات...).
3) ان تتضمن الدراسة المقدمة لهذه المسابقة، بالاضافة الى الجوانب المغمورة والخفية عن حياة ابن خلدون، تفصيلات عن حياته (اصله ـ نشأته ـ مؤلفاته ـ اخباره ـ آثاره في النواحي العلمية والسياسية، وفضل معارفه على الانسانية).
4) تكتب الدراسة باللغة العربية ويجب ان لاتقل صفحاتها عن المائة (100 صفحة)، ويستحسن طباعتها على الآلة الكاتبة.
5) آخر اجل لقبول المشاركات هو نهاية شهر شعبان 1402 ـ مايو 1982.
6) ترسل المشاركات الى الجمعية المغربية للتضامن الاسلامي صندوق البريد رقم 351 الرباط.

الجوائز

الجائزة الاولى : طباعة الدراسة الفائزة بالجائزة الاولى على نفقة الجمعية.
الجائزة الثانية : تذكرة سفر بالطائرة ذهابا وايابا الى احدى الاقطار العربية.
الجائزة الثالثة : مجموعة مؤلفات وكتب قيمة من بينها مؤلفات ابن خلدون.



إحياء التراث

●● فكرة تنظيم معرض لمطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تلتقي مع الخطة التجديدية التي نهجتها الوزارة في مضمار النهوض بالدعوة الإسلامية وتنشيط حركة التأليف والتحقيق والنشر وإحياء رسالة المسجد وكراسي الوعظ والإرشاد مع بعث الحياة في نسيج العمل الإسلامي عموما من حيث أنه وسيلة لتطوير المجتمع في إطار الحفاظ على مقوماته وقيمه ومقدساته.

لقد أعطت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بهذا المعرض الذي شهد إقبالا كبيرا وكان حديث الموسم الثقافي ـ الضوء الأخضر للمهتمين بالكتاب الإسلامي سواء المؤلف منه أو المحقق لازدهار حركة نشره ووضعه في متناول الجيل الجديد المتعطش إلى المعرفة في ينابيعها الثرة. وجاء المعرض لا ليسد الفراغ فحسب، وكيفما اتفق، ولكن ليقرر حقيقة ثابتة وهي أن صلة الجمهور بتراثه من القوة والمتانة بحيث لا تنال منها الدعاوي والأهواء.

إن المعرض الأول لمطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خطوة أولى على طريق تطوير الثقافة العربية الإسلامية. ذلك أن الاهتمام بالجانب الفكري والثقافي في خطة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ينبع من الاعتقاد الراسخ بأولوية الشؤون الإسلامية باعتبارها الغاية التي يعمل لها ويصب فيها مجهود الوزارة.

المقال الأول

●● (للحفريات الأدبية) دور في إجلاء ملامح الاعلام الرواد الذين ساهموا في إرساء أسس النهضة ولقد اتجه اهتمامي إلى البحث عن (المقال الأول) في مجلة (الرسالة) القاهرية، الذي أشار إليه الاستاذ المرحوم عبد المجيد بن جلون في فصل

ممتع من رائعته الخالدة (في الطفولة) وقد كتبه وهو دون العشرين، وكانت الخطوة الأولى على طريق طويل ممتد استغرق من الكاتب حياته كلها.

وفيما يلي نص (المقال الأول) للأستاذ المرحوم عبد المجيد بن جلون :

لقد حان أن نتكلم نحن أيضا عن الحياة الأدبية في بلادنا، (فالرسالة) سائرة تتحدث عن الأدب في الأقطار العربية، التي - وإن بددتها الأطماع السياسية - ستظل تجمعها لغة الضاد إلى ما شاء الله. ونعنى بالمغرب المغرب الأقصى، وبالأدب الأدب الحديث، أما الأدب القديم فنود أن نرجع إليه في مناسبة أخرى لما شاع في المشرق من أن المغرب قطر لم يساهم في الأدب العربي، وتلك حقيقة اكتشفها مؤلفا كتاب : «المطرب في تاريخ الأندلس والمغرب» محمد عجاج، وعلي سعد، ومصدر ذلك هو الجهل بالمغرب وتاريخه، والمؤلفان معذوران - إلى حد ما - لأن تاريخ المغرب - والأدبي منه بنوع خاص - لا يزال في ظلمات المكاتب، إلا قليلا، على أن هذا القليل نفسه لا يسمح لنا أن نحكم بأن المغرب ليس له أدب قديم؛ وما نريد أن نزيدها على ما كتب في هذا الموضوع أستاذنا محمد علال الفاسي (المغرب) الجديد - عدد 3 - السنة الأولى).

وبعد، فما هي حالة الأدب العربي بالمغرب اليوم ؟ لقد أجهدت نفسي في أن أصل إلى جواب أطمئن إليه عن هذا السؤال، فما وجدت الحقيقة إلا في أنها حالة ضعيفة؛ فما هي الكتب الأدبية - بالمعنى الصحيح - التي يصدرها المغرب ؟... أعفني بربك أيها القارىء ، فالحقيقة مرة، وقلبي يضطرب عند ذكرها اضطرابا.

وإذ عدمنا الكتب فلنتساءل عن الصحف. إن كل ما يصدره المغرب مجلتان أدبيتان : الأولى «مجلة المغرب» للأستاذ محمد الصالح ميسة برباط الفتح، والثانية «المغرب الجديد» للأستاذ محمد المكي الناصري بتطوان، اجتازت الأولى مرحلة أربع سنوات، والثانية أتمت سنتها الأولى منذ قريب. فما قيمة ماتنشر هاتان المجلتان ؟ ذلك ما نريد أن نتحدث عنه الآن باختصار.

فأولا يجب أن تعلم أن المجلات المصرية - ياللمجلات المصرية ! - طغت عليهما إلى درجة أن إحداهما لاتباع في فاس، لأنها فقدت المشترى بالمرة وهما معا تصدران شهريا، فلننظر الآن ما في هاته المجموعات.

أما ما يسمى بالبحث الأدبي ففيها الكثير، خصوصا حول الأدب العربي في المغرب قديما، فهذا البحث الذي يتابع نشره الأستاذ محمد علال الفاسي على الطريقة الحديثة، عن أبي علي اليوسي، وبحثه القيم يبهر القارىء؛ وهو يكتب الآن بحثا عن أثر شعر المتنبي في المغرب بمناسبة ذكراه الألفية، وموضوع كهذا، في وقت بالمغرب كهذا، يصدر بهذا العنوان الخطير، يكاد لايصدقه العقل، وأحكم على البحث بالبراعة والالمام بالموضوع لأنني أطلعت على جزء منه.

وأما إذا بحثت عما يسمى بالإنتاج الأدبي، فذلك مالا تعثر عليه، فليس يدور بخلد المغربي أن يعالج القصة، بل القصة عنده لهو وعبث يجب أن يضن عليه بوقته الثمين... وهناك شعر قليل ولكنه نظم ليس إلا، ذلك أن المغاربة يجهلون الشعر تماما، اللهم إلا قواعد جافة لاتسمن ولا تغني من جوع. والذين يزعمون أنهم شعراء يزعمون كذلك أنهم أعلى من أن يحدثهم طه حسين مثلا عن فن الشعر. يقلدون القدماء ويقفون ويستوقفون، مما كان سالفا في العصور الغابرة أيام الناقة والجمل، أما اليوم فكل هذا محاكاة لاتمت إلى الحقيقة بصلة، وليست من الشعر في شيء. كذلك يفقدون المثل الأعلى، وإنما هو هذيان يجرى إلى غير غاية، ومعان مفككة. وهم ضعفاء الخيال، والحقيقة أن حالة المغرب الاجتماعية لها الأثر الفعال في هاته الناحية. وهنا أستثنى شاعر شبابنا الأستاذ محمد علال الفاسي فاسمع هاته النغمات الحلوة يرسلها قلب عليم قد امتلأ حبا لهذا الوطن العزيز :

وإذا مت عليه فأنا	مطمئن لرضاه المثمن
فاغسلوا بالماء منه بدني	واجعلوا نسج بنيه كفني
وادفنوني في ثراه وضعوا	فوق قبري منه زهر السوسن
واكتبوا فوق ضريحي بدمي	هاهنا قبر شهيد الوطن

وإذا تصورت الشاعر منفيا عن مهد صباه، بعيدا عن الأهل والوطن، في باريس، طلبت منه أن تعيد النظر في هاته الأبيات؛ وهو لازال لم ينشر ديوانه «روض الملك» بعد؛ وله قصائد رائعة - عندما كان في باريس تجدها في مجلة السلام، يوم كانت مجلة السلام !

وأكثر ما ينشر ويذاع من قصائد للمغاربة ردىء سقيم، أشفق على قارئه وسامعه أكثر مما أشفق على قائله...

والآفة التي تستولى على المغاربة هي الكسل، وماذا يتطلب قول الشعر... هل يحتاج إلى اطلاع في التاريخ أو تحصيل شيء من الفنون ... هكذا يظنون، فينشأ الكسل .

والنهضة المغربية تقوم على أكتاف الشباب الناشىء، فهناك شباب يكتبون لأنفسهم، ويقولون الشعر لها أيضا، وربما أطلعوا بعض أصدقائهم على ذلك، وبعد هذا فإلى ظلمات الدرج، حيث يعلم الله وحده ماذا يكون بها، وكاتب السطور يعرف جماعة من هؤلاء في فاس اطلع لهم على قصص لابأس به، وشعر له حظه من الجودة يبشران بمستقبل حافل. اذن فالأمل في الشباب الناشىء الذي يقرأ بنهم ما يكتبه أفذاذ الشرق، فاعتدلت بذلك أفكاره نوعا من الاعتدال، ويوشك ان هو استمر على اجتهاده أن يكون منه أدباء، يبذرون في الأرض المغربية الخصبة بذور الأدب الصحيح، بل إني

أؤكد أن هؤلاء الناشئين لابد أن يكون لهم شأن، فما كانت هاته الجهود لتضيع هباء.

بهذه اللمحة الموجزة تستطيع أن تتبين ما في المغرب من أدب، وأن تستنتج أنه في الحالة الحاضرة ضعيف الأدب، وأنه وإن لم يكن ميتا فهو قريب من ذلك، وأن حالة الناشئة تبشر بمستقبل زاهر قريب، لما لهذا الشباب الطموح من عزيمة .

والعقلية المغربية أقرب إلى العلم منها إلى أي شيء آخر، ولو كنا نتحدث عن الحالة العلمية لطال بنا الحديث، خصوصا ما يلقى في جامعة القرويين من دروس جامعة مع اعترافنا بما فيها من نقص وما تحتاج إليه من تهذيب.

ولعله استرعى نظرك أننا ماذكرنا غير الأستاذ محمد علال الفاسي فليس معنى ذلك أنه ليس في المغرب غيره، ولكن معناه، أنه - في نظري - أعدل إخوانه الأدباء رأيا، وأقربهم إلى الصواب، فهو أديب حقا، وله نفسية الأديب، ويحيا حياته، وكل من يعرف وداعته وأخلاقه يطمئن إلى مانقول، بيد أنه لايصرف كل أوقاته - ولا جلها - في الأدب، بل اشتغاله به محدود ضيق الدائرة، ولو كان يفعل لكان أديبا جبارا فما خلق إلا ليكون أديبا.

بقي أن نقول إن القرويين والمدارس القومية والحكومية كلها تحمد وتعاب، غير أن أفضل معهد للدرس هو القرويين، ولو كان أبناء «الكولج ومولاي ادريس» يشتغلون بالعربية، لكانوا أنجب من أبناء القرويين، ولكن كل همهم في الأدب الفرنسي والتفرنج، وهم زيادة على ذلك يعيشون في ظلام لايستطيعون السير فيه وحدهم.

وهنا ننوه بما (للرسالة) الغراء على أبناء المغرب من فضل، فاليها يرجع طموح الناشئة، على هداها يسيرون، وبنورها يهتدون؛ فشكرا لك (يارسالة) الحياة، ولك أنت يا مصر الشقيقة، فلن تجدى في المغرب نكرانا للجميل.

فاس محمد عبد المجيد بن جلون

(الرسالة عدد 148 - السنة 4 - 4 ماي 1936 - القاهرة.

في الشعر المسرحي

●● أصدر الأستاذ حسن الطريبق مسرحية تمثيلية جديدة بعنوان (بين الأمواج) وقد كتب الأستاذ الطريبق مقدمة لمسرحيته حدد فيها رؤيته الفنية. وفيما يلي نصها :

((هذه تمثيلية شعرية ثالثة كنت قد كتبتها سنة 71 ولم يتح لها أن تخرج مطبوعة إلا الآن. ولقد سلكت في بنائها طريقة راعيت فيها موقفي كشاعر مسرحي يواجه جنسين هما ، الشعر، والمسرح.

فالصعوبة قائمة بحدة في مواجهة هذا الموقف عند الشعراء العرب. ولم تتهيأ الأسباب لتمتص التناقض البالغ الموجود بين الجنسين في التجربة المسرحية العربية. ذلك أن طبيعة الشعر العربي بشكليه العمودي والتفعيلي، طبيعة غنائية تعتمد على الايحائية والايجاز والتدفق وبلغة شعرية تعتمد على الايقاع المترسل الهادىء في شبه توحد وانسجام. ولم يحصل إلى غاية اللحظة أن تغيرت هذه الطبيعة، بعمق، عند الشعراء التفعيليين العرب، إلا بقدر يسير لايشخص انعطافا حقيقيا يكفي لإيجاد معادلة متوازنة التقابل بين الجنسين المذكورين . أما الطبيعة المسرحية، وبالصور التي عرفت عند الغرب، فإنها تنبني على أصول درامية معلومة تستلزم لغة أخرى متنوعة التركيب وتميل إلى التفصيل ومراعاة الحدث وتعدد الشخصيات وتنوعها ومواقف الصراع وغير ذلك من الأمور التي تندرج ضمن الظاهرة المسرحية الغربية بكل أنواعها وتطورات مدارسها القديمة والحديثة. فالمفارقة قائمة بين الجنسين أصلا. لكنها تتخذ شكلا مركبا بالنظر إلى الشعر العربي خاصة، والسبب يعود إلى انحياز الشعر العربي في المسرح الموجود، إلى أصوله في الغالب، عوض أن يتوغل، ولو بتدريج، داخل المفاهيم المسرحية الغربية ليتحقق التزاوج المناسب.

نحن نعرف أن الشعر المسرحي عند الغرب يكتسب خصائص ملائمة تكفل له امتيازات مسرحية كثيرة، سواء في البداية كما ظهرت عند اليونان والرومان أو عند الايطاليين والفرنسيين والانجليز وغيرهم في القرون الوسطى وما بعدها أو عند أنصار الكلاسيكية الجديدة وأنصار الدراما الحديثة والمسرح الملحمي والثوري إلى غاية ما أخذ يظهر الآن من ألوان وانواع جديدة.

هل معنى هذا أننا عاجزون عن ايجاد التقابل الملائم بين الجنسين ؟ أن العيب يكمن عندنا في كوننا نسلم بأمور نتهرب من مواجهتها ونخشى مساءلتها بوعي ذاتي ينحاز إلى تأصيل الظاهرة المسرحية العربية ويهدف إلى استشراق آفاق أخرى تميزنا عن القوم الآخرين. لأن ما يجب أن يحصل هو أن نستخرج من تراثنا حضورا مسرحيا جديدا نتحدث فيه بلغة متكاملة لاتنقطع بينها وبين ذاتيتنا الأسباب وفي نفس الوقت لاتنغلق عن المفاهيم المسرحية كما عرفناها عند الغرب... العملية صعبة ومركبة وتحتاج إلى صبر وتحد في غاية الإلحاح.

ان البحث عن الظاهرة المسرحية عند العرب في مختلف العصور السابقة يجري حاليا بغير قليل من الحماس والتفاؤل لدى باحثين ودارسين عديدين، وان كان لم يفض إلى نتائج باهرة تقلب المفاهيم إلى الآن، وإن كان ما يبذل من محاولات بعض المخرجين المسرحيين لمسرحة نصوص قديمة وعرضها على الخشبة، قد لقي ترحابا كبيرا من النقاد، ولا أدل على ذلك من الأصداء التي تناقلتها الصحف والملاحق الثقافية والمجلات العربية المختلفة عن بعض هذه العروض التي قدمت في مهرجان دمشق، ولا سيما ما عرضه المخرجان الطيب الصديقي من المغرب وعز الدين المدني من تونس...

ان عملية التأصيل لاينبغي أن تبقى موقوفة على جهود المخرجين، لأن ذلك سينزوي بها في زاوية فنية محدودة. لهذا ينبغي أن تدخل العملية الابداعية لتزيد في تنويع الاستمدادات وتكثير سواقي السقي بصورة تخضر بها الحقول وتتعدد بها الطراوة والجدة لكن في نطاق الذاتية المبدعة الخلاقة. إذ بهذا سيمكن أن نأخذ الحبل من طرفيه معا، من تضاعيف التراث ونفائسه، ومن التوليدات المنخرطة في اللحظة الحضارية المتشبثة بذاتيتها.

والشعر العربي باعتباره ابداعا عربيا متميزا هو أجدر ما يحق أن يشارك في تأهيل الظاهرة المسرحية العربية القديمة والجديدة معا.

ان بعض الشعراء التفعيليين الذين جانبوا التنغيم والفوا التقفية تماما وسلكوا مسلكا تعبيريا «مرسلا» في تمثيلياتهم، لم يصيبوا في النجاح شيئا. والا، فما هو السر في صمت ذكرهم كشعراء مسرحيين حتى على المستوى الثقافي النقدي وهم يوجدون في مجتمعات عربية ذات مستويات ثقافية واعلامية متفوقة نسبيا ؟!.

فإذا استثنينا محاولات صلاح عبد الصبور الموسومة بالاقتدار الشعري الدرامي والفكري، وإذا استثنينا تجربة المرحوم نجيب سرور في (ياسين وبهية) بنكهتها التي تتحدث بالدراما من خلال غنائيتها المصرية الزاعقة، فإن ما ينفصل من محاولات أولئك الذين أجهزوا على التنغيم والتقفية، يبقى منزويا لا يستطيع التألق والظهور.

فبوعي من ذلك كله كتبت هذه التمثيلية. وحاولت أن أجمع بين جنسي الشعر والمسرح بطريقتي الخاصة، وزاوجت بين العمود والتفعيلة مزاوجة أراها مجدية ومقبولة وقادرة على التقليل من المفارقة الموجودة بين الجنسين المذكورين عندنا دون جموح أو انحياز شعري كامل.

فالحدث عندي يتسربل في ديكور قديم، المضمون يبقى ناتجا عن محصلة آنية جاءت متحدثة بأحداث جارية. لكنها لم تحمل باطنها في ظاهرها، وهذا يعني أنها ذات دلالة رمزية إيحائية منسجمة مع مقتضيات الذاتية. حقا انني لم أتقيد تقيدا حرفيا بما يسمونه بالوحدات الثلاث أو بفصل الأنواع. وانني لم أتهالك على المجارة المسرحية بوجهي لاكرع من جريانها ابداعي - أو الأحسن أقول انتاجي - ولكنني تصرفت باجتهادي، واقتنعت بصلاحية وسلامة هذا التصرف.

قد لاتكون الخشبة قادرة على احتواء محصلة المعمار الحدثي تشخيصيا لوجود البحر والأمواج والمركب والقراصنة. ولوجود «حركة العنف» المتمثلة في هجوم القراصنة على ضحاياهم بسيوفهم. لكن، هناك فنية الاخراج التي يمكن أن تجعل الخشبة قادرة على هذا الاحتواء، وهناك الطرق الجديدة التي يمكن أن تساعد على هذا الاحتواء، وبأساليب بسيطة جدا. وهناك ثالثا، جهاز التلفزة وما أخذ يقتضيه من خلق مسرحي جديد.

مهما يكن، فهذه تجربة فيها ركون إلى التأصيل المسرحي الشعري، وفيها انفتاح متفاعل وانخراط حاضر الوعي في ما يجد من جديد، أقدمها إلى القارىء، وأنا مطمئن إلى أنها تحمل جديدا على كل حال.

العرائش في 7 ـ 1 ـ 1981))

الفلكي المغربي محمد بن عبد الرازق يرد على مجلة "العربي"

●● كتب الأستاذ محمد عبد الرازق خطابا إلى السيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الشيخ محمد علي الحركان ينبه فضيلته إلى ما نشرته مجلة (العربي) الكويتية حول توحيد الرؤية.

ونظرا لأهمية الخطاب، فإننا ندرجه بنصه فيما يلي :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه.

الاثنين 20 ذي الحجة 1401 موافق 19 أكتوبر 1981.

من الأستاذ ابن عبد الرازق محمد العضو بالمجلس العلمي بمراكش وموقت المملكة المغربية.

إلى حضرة رئيس رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي الحركان.

امنكم الله ورعاكم وسلام على سيادتكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد انهي إلى شريف علمكم أن مجلة العربي الكويتية ذكرت في عددها المؤرخ بشعبان 1401 موافق يوليه 1981 صفحة 92 مقالا للشيخ حسين جوزو اليوغوسلافي ومما جاء فيه قوله وإليك ماجاء في توصيات وقرارات مجلس المجمع الفقهي المنعقد في مقر الامانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في فترة مابين يوم الأربعاء 1401/4/6 هـ وحتى نهاية يوم السبت 1401/4/16 هـ الموافق 1981/2/11م وحتى 1981/2/21م أن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الرابعة المنعقدة بين 7 ـ 17 من شهر ربيع الآخر سنة 1401 هـ بعد ان استمع إلى البحث الذي اتخذه مؤتمر استطانبول حول شروط الرؤية لاثبات الشهور القمرية أوصي بالاتفاق بأن العبرة في تحديد أوائل الشهور القمرية التي انيطت بها العبادات هي الرؤية البصرية الشرعية دون التفات إلى الحساب بأي شكل من الأشكال ولا إلى شرط من الشروط وفي نفس القرار أوصى مجلس المجمع الفقهي بوجوب اعتبار اختلاف المطالع هـ وقد سررت كثيرا بما قرره المجلس المذكور الموقر حيث أن ذلك هو الموافق للكتاب والسنة والاجماع على أن ذلك هو ما ندعو إليه منذ زمن طويل وها هو العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال بين ايديكم وكذلك مقالاتنا وتعاليقنا في هذا الموضوع وقد مكناكم بشيء منها في مؤتمر بروكسيل الذي عقد في شعبان 1400 كما وجهنا لصديقكم الشيخ محمد عبد الرحيم الخالد في فاتح ذي القعدة 1400 أربع رسائل كنت وجهتها لرئيس الشؤون الدينية التركية الأستاذ السيد طيار مع تعليقنا على قرارات المؤتمر المنعقد في اسطانبول تاريخ 27 نونبر 1978 ومع مقال حول رؤية الهلال كنت القيته في مؤتمر اسطانبول المذكور ومع الملتمس الذي قدمناه لجلالة ملكنا الحسن الثاني وجلالة المرحوم فيصل السعودي وطلبت منه أن يطلعكم على ذلك وان يكرر منه نسخا نرجو أن تكونوا قد اطلعتم على ذلك كله.

وها هو يصلكم صحبته تعليقنا على التقويم الهجري الموحد لعام 1402 وقد كنت دفعت منه نسخا لولد عمنا الحاج محمد ابن عبد الرازق لما أراد السفر إلى البقاع المقدسة بقصد أن يعطيكم ذلك وفعلا أخبرني بأنه دفع لحضرتكم تلك النسخ وطلبتم منه أن يكون ذلك مصحوبا بخطاب من عندي وعليه فها هو يصلكم خطابي هذا مصحوبا بنسخ أخرى من التعليق المذكور.وبنسخة من تعليقنا على قرارات مؤتمر اسطانبول المذكور.

هذا وينبغي أن يزاد على مقرره مجلس المجمع الفقهي الاسلامي في مقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة قرار آخر وهو أن تكون الرؤية البصرية الشرعية محققة لاشك فيها ولا ريب ولا وهم ولا خيال ولا غرضا سياسيا ولا اقتصاديا ولا منافاة لما هو مقطوع به كما لو ادعيت رؤية الهلال في عشية الغد لايرى هلال أو ادعيت رؤية الهلال مساء وقدري في جهة الشروق قبل طلوع الشمس صباح ذلك اليوم أو ادعيت رؤية الهلال من أفراد قلائل والحال انه راقبه الآلاف من الناس في عدة امصار وقرى ولم ير بحال مع الصحو أو عد الناس، ثلاثين يوما من الرؤية الأولى ولم ير مع الصحو أو دل الحساب القطعي على استحالة الرؤية أو قربها من الاستحالة إلى غير ذلك مما يخالف ماهو مقطوع به لأن العبادة ينبغي أن لايدخل الإنسان إليها إلا بيقين ولا يخرج منها إلا بيقين وقد قال عمار بن ياسر كما في البخاري من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم وفي سنن البيهقي صفحة 208 من الجزء الرابع عن طلق قال سمعت رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن اليوم الذي يشك فيه فيقول بعضهم هذا من شعبان وبعضهم هذا من رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروا الهلال فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين.

وقد قال خليل في مختصره في باب الصلاة وان شك في دخول الوقت لم تجز ولو وقعت فيه وقال في باب الصيام فإن لم ير بعد ثلاثين صحوا كذبا وقد قال مالك في هذه المسألة هما شاهدا سوء وقال خليل في باب الحج أو اخطأ الحج بعاشر فقط.

وبهذا لا يبتى خلاف بين الدول الإسلامية في أوائل الشهور القمرية إلا ما يوجبه اختلاف المطالع وهو الاختلاف بيوم في بعض الاحيان ويكون المتقدم بذلك اليوم من كان غربا لامن كان شرقا لقول القرافي وغيره متى رأى الهلال في البلاد الشرقية لزم رؤيته في البلاد القريبة ولا عكس وخصوصا مع التقارب في العرض وهذا معلوم بالضرورة.

وها هو شهر ذي الحجة الحالي كان ينبغي أن يكون أوله عندنا وعندكم يوم الأربعاء 30 شتنبر 1981 وعيد الأضحى يوم الجمعة 9 أكتوبر حيث أن الرؤية البصرية الشرعية المحققة إنما كانت عندنا وعندكم مساء يوم الثلاثاء 30 ذي القعدة 1401 موافق 27 شتنبر 1981.

وقد صدر بلاغ من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب نقله فيه أن رؤية الهلال مساء يوم الاثنين 29 ذي القعدة 1401 موافق 28 شتنبر 1981 لم تثبت في جميع المملكة المغربية وان أول ذي الحجة 1401 هو يوم الأربعاء 30 شتنبر 1981.

كما أخبرنا بعض الحجاج المغاربة أنهم راقبوه عندكم بالحجاز مساء يوم الاثنين الذي هو عندكم اليوم الثلاثون من ذي القعدة 1401 فلم يروه أصلا وإنما رأوه مساء يوم الثلاثاء بعد الغروب بنحو ثلث ساعة وهو رقيق.

وعليه فكيف يمكن ادعاء رؤيته عندكم مساء يوم الاثنين ولا يرى عندنا بالمغرب مع انه لو ريء عندكم حقيقة لريء عندنا من باب أولى وأحرى كما هو معلوم بالضرورة كما قال القرافي وغيره.

وأيضا كيف يمكن أن يكون ذلك اليوم عندكم يوم الاثنين المذكور بالحجاز فلم يروه وإنما رأوه مساء يوم الثلاثاء بعده وعلى كل حال حيث أن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قرر ماهو موافق للكتاب والسنة والاجماع فينبغي له أن يتمم ذلك بما قلناه من اعتماد الرؤية المحققة التي لايدخلها شك ولا وهم ولا خيال ليزول ذلك الخلاف المزري بين المسلمين ويكونوا ممتثلين لما ورد في الكتاب والسنة ووقع عليه الاجماع على الحقيقة وما في نفس الأمر والواقع والله الموفق.

المغرب :

● بلغ عدد المعتنقين للإسلام في المغرب خلال السنة الماضية 243 مسلما وفيما يلي بيان ذلك :
الفرنسيون 121 - الألمانيون 17 - الإيطاليون 15 - الاسبانيون 14 - البلجيكيون 13 - الانجليزيون 7 - الهولنديون 7 - الأمريكيون (و. م.أ) 5 - الغابونيون 5 - البولونيون 4 - السويسريون 3 - الزيريون 3 الافريقيون الوسطيون 3 - البرتغاليون 2 - العاجيون 2 - الدانماركيون 2 - الكوريون 2 - اليوغسلافيون 2 - الفيتناميون 1 - اللبنانيون 1 - البرازيليون 1 - الكنديون 1 - القبرصيون 1 - الهنديون 1 - الأستراليون 1 - الأرجنتيون 1 النمساويون1 - الروسيون 1 - الماليون 1 - التشاديون 1 - الشيليون 1 - الجزائريون 1 - العراقيون 1 - اليهود المغاربة 1
المجموع 243

● نظمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية دورة تدريبية للوعاظ والمرشدين بالأقاليم الصحراوية استفاد منها خمسون واعظا ومرشدا تم اختيارهم تحت اشراف المجلس العلمي بالصحراء المغربية.

وقد جرت الدورة بقاعة علال الفاسي بالرباط وافتتحها السيد الهاشمي الفلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بكلمة توجيهية هامة تحدث فيها عن الأهمية القصوى التي يوليها جلالة الملك نصره الله لتكوين العلماء والدعاة والمرشدين بالأقاليم الجنوبية للمملكة. كما تحدث السيد الوزير في كلمته عن رسالة الداعية في هذه المناطق من الوطن التي تتعرض للمؤامرات، وأهاب بالسادة الدعاة والمرشدين أن يكونوا في مستوى المعركة المقدسة التي يخوضها المغرب بقيادة جلالة الملك نصره الله دفاعا عن وحدته الترابية، وقال السيد الهاشمي الفلالي في كلمته إن التنمية الروحية في الصحراء المغربية المسترجعة تسير في خط مواز للتنمية الاقتصادية والاجتماعية تنفيذا لتعليمات سيدنا المنصور بالله.

وقد تلقى الدعاة والمرشدون بالأقاليم الصحراوية تكوينا دينيا وثقافيا وتربويا مهما، حيث أشرف عدد من السادة العلماء والأساتذة على إعطاء دروس ومحاضرات في التفسير والحديث والفقه والمعاملات والثقافة العامة والتاريخ الإسلامي وتاريخ المغرب، والتربية الدينية والتربية الوطنية.

● انتخب الأستاذ محمد العربي الخطابي محافظ الخزانة الملكية نائبا لرئيس المجلس الأعلى لمعهد العالم العربي الذي يوجد مقره بباريس، وكان المجلس قد تأسس منذ سنة بالعاصمة الفرنسية ويحظى برعاية الحكومة الفرنسية ويتكون من أعضاء يمثلون الدول العربية. ويهدف المعهد إلى خدمة التقارب الفكري والثقافي بين العالم العربي وفرنسا.

ويجتمع أعضاء المجلس الإداري للمعهد ثلاث مرات في السنة، بينما يجتمع أعضاء المجلس الأعلى مرة واحدة في السنة.

● توفي إلى رحمة الله تعالى الأستاذ العالم السيد الحسن البونعماني أحد رجال العلم والأدب والتاريخ في إقليم سوس، وهو من رعيل الأستاذ الرائد المرحوم محمد المختار السوسي، وتولى الفقيد مناصب من جملتها العمل بالخزانة الملكية بالرباط وباشوية مدينة أكادير، وكان شاعرا أديبا زود الصحافة الأدبية المغربية في الأربعينات بإنتاج أدبي غزير.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه وإنا لله وإنا إليه راجعون.

● قدم السيد محمد المنصور أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة في جامعة لندن تحت عنوان التطورات السياسية والاجتماعية بالمغرب في عهد مولاي سليمان 1792 - 1822.

واعتمد كاتب الأطروحة التي تقع في 428 صفحة (إضافة إلى مجلد منفصل من 146 صفحة يضم حوالي 100 وثيقة تنشر لأول مرة تقريبا) اعتمد ليس فقط المصادر المغربية بل الوثائق الأوروبية وخاصة منها البريطانية والفرنسية والاسبانية ليقدم بذلك دراسة في صورة متكاملة للمغرب خلال الثلاثين سنة الممتدة مابين 1792 إلى 1822.

وتقدم الأطروحة كذلك صورة لتفاعل القوى الاجتماعية وعلاقة المخزن بها خلال فترة حاسمة تميزت بالصراع الفكري بين سلطان مصلح وقوى متعددة تحاول عبثا الرجوع إلى الوراء بدل التطلع إلى الأمام.

وقد ظلت فترة مولاي سليمان بعيدة عن اهتمام الباحثين في تاريخ المغرب الحديث الذين غالبا ما اعتبروا الفترة الممتدة مابين 1790 وهي فترة وفاة سيدي

محمد بن عبد الله و 1822 وهو تاريخ تربع مولاي عبد الرحمان على العرش العلوي كمرحلة جزر تميزت بعدم الاستقرار داخليا وبالانعزال على الصعيد الخارجي.

وتفسر قلة الوثائق المتعلقة بهذه الفترة 1792 - 1822 إلى حد بعيد احجام الباحثين عن تناول هذه المرحلة بالدراسة الوافية حتى الآن إضافة إلى أن مدخرات مديرية الوثائق الملكية بالرباط من الرسائل المخزنية المتعلقة بعهد مولاي سليمان مثلا قليلـــة بالمقارنـة مـع مـا تحتوي عليه من وثائق لما بعد 1830. كما أن المخطوطات المغربية لازالت تفتقر إلى التنظيم والفهرسة الشيء الذي يجعل مهمة الباحث أكثر صعوبة.

● بعد «أبحاث في المسرح المغربي» و «التراجيديا كنموذج» صدر للدكتور حسن المنيعي كتاب يضم مجموعة مقالات حول الأدب والفن، تتفاوت زمنيا فيما بينها لكنها تجتمع في سياقها الموضوعي على أساس أنها تتناول بعض القضايا التي لها علاقة بالتراث المغربي كما ورد في مقدمة الكتاب للمؤلف.

● يتضمن كتاب «مائة من الأمثال المغربية» الذي صدر أخيرا للأستاذين محمد القباج ومحمد الشرادي أزيد من عشرين بابا اشتملت على أمثال مغربية قيلت في العوائد العريقة والفكاهة والفلاحة والتجارة والعمل والعزة والانفة والكياسة والصداقة والقرابة وغيرها من جوانب الحياة وقيمها.

● ضمن المطبوعات التـي تصدرها المنظمـة العربيـة للدفاع الاجتماعي ضد الجريمة، صدر أخيـرا كتاب «المؤتمرات العربية للدفاع الاجتماعي» هو عبارة عن استعراض لأهم الموضوعات التي ناقشتها المؤتمرات العشرة للدفاع الاجتماعي التي عقدتها المنظمة منذ سنة 1970 حتى الآن.

● يواصل الأستاذ الباحث عبد الوهاب ابن منصور مؤرخ المملكة إثراء المكتبة المغربية بالجديد الجيد من المؤلفات والأعمال التوثيقية التي تسجل مراحل التطور التي يشهدها المغرب في مختلف المجالات، فإلى جانب ما تصدره المطبعة الملكية بانتظام من أجزاء (انبعاث أمة) وكتب أخرى متنوعة، تواصل مديرية الوثائق الملكية التي يديرها الأستاذ ابن منصور إصدار مجموعة من الكتب القيمة التي تمد الباحث بمصادر حيوية لايستغني عنها. ولقد دأب الأستاذ ابن منصور على نشر الرحلات الملكية إلى مختلف البلدان الشقيقة والصديقة، ومنها ما أصدره مؤخرا بعنوان (مع جلالة الملك الحسن الثاني في نيروبي وجدة ومكة : 23 / 27 غشت 1981). وهي الرحلة النضالية التي قصد فيها العاهل الكريم عاصمة كينيا (نيروبي) للمشاركة في المؤتمر الافريقي الذي نظر فيما يعرف بقضية الصحراء. والذي فاجأ فيه جلالة الملك العالم كله بمبادرته السلمية التـي حطمت أحلام المتامرين والمرتزقة.

ولقد وفق الأستاذ ابن منصور في تسجيل هذه الرحلة بأسلوبه الذي تميز به وبدقة ملاحظته التي تلتقط جوانب الصورة.

يقع الكتاب في 165 صفحة من القطع الكبير ويحتوي على صور متنوعة لجلالة الملك أثناء رحلته.

● انتقل إلى عفو ربه الدكتور عبد اللطيف السعداني أستاذ اللغة الفارسية بكلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله بفاس. وقد خلفت وفاة الفقيد حزنا وأثرا عميقا في نفوس تلامذته وزملائه ومعارفه. فلقد كان رحمه الله مثال الأستاذ الجامعي خلقا وسمتا وإقبالا على الدرس والتحصيل والإنتاج. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

● تعززت الصحافة العلمية بالمغرب بصدور مجلة علمية متخصصة بعنوان (مجلة الدراسات النفسية والتربوية)، تصدر مرتين في السنة، مديرها المسؤول الأستاذ محمد الدريج ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد أوزي.

وقد تصفحنا العدد الأول فوجدناه حافلا بالموضوعات التربوية والعلمية الدقيقة بأقلام طائفة من شباب الباحثين، نذكر منها البحث القيم الذي كتبه الأستاذ عبد الجليل لحجمري عن (التحويل التربوي وأثره على تطور النظام الدراسي في المغرب) وبحث الأستاذ عبد السلام مزيان عن (بداية الدراسات النفسية في العالم العربي) وبحث مدير المجلة الأستاذ محمد الدريج (إطلالة على ميلاد علم النفس التجريبي) ومقال رئيس تحرير المجلة الأستاذ أحمد أوزي عـن (المـراهـق وشخصيته). نتمنى للمجلة المغربية الجديدة واسع الانتشار وإطراد النجاح.

● صدر كتاب (تاريخ العلاقات المغربية المصرية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام 1912) من تأليف دكتور يونان لبيب رزق، والأستاذ محمد مزين، وذلك عن (دار

النشر المغربية)، ويقع في 288 من القطع المتوسط، ويتضمن الفصل (مصر والمغرب قسمات مشتركة) الموضوعات التالية :

الأزهر والقرويين، وضعية خاصة في العالم الإسلامي، التحكم في الأبواب وآثاره، السياسة السودانية، ويشتمل الفصل الثاني (مصر في طريق الحج المغربي) على الموضوعات، التالية :

ركب الحج الفاسية، الحجاج المغاربة في مصر، الحجاج المغاربة والمجتمع المصري، الركب المغربي من قافلة الحج المصري، السلطات في مصر وركب الحج المغربي، ويحتوي الفصل الثالث (مصر في كتابات الرحالة المغاربة) على الفصول التالية : أشهر الرحلات المغربية لمصر في العصر الحديث، الوزان ومصر في القرن السادس عشر، مصر في كتابات العياشي في القرن السابع عشرة الزياني في مصر القرن الثامن عشر أما الفصل الرابع الخاص بالعلاقات الثقافية فيعالج الموضوعات التالية : العلماء المغاربة في مصر في العصر العثماني، الحكومة المغربية والعلاقات الثقافية مع مصر التواصل الثقافي ، العلاقات الثقافية خلال القرن التاسع عشر.

ويفرد المؤلفان الفصل الخامس للعلاقات الاقتصادية والعسكرية والسياسية (المغاربة في مصر : الدور الاقتصادي والعسكري والسياسي)، وذلك على النحو التالي : مكانة المغاربة في النشاط الاقتصادي بمصر، مكانة أهل العلم المغاربة في المجتمع المصري، دور العسكريين المغاربة في مصر العثمانية، المغاربة في مصر في ظل الدولة الحديثة.

وفي الفصل السادس يدرس المؤلفان (الصفقة الاستعمارية) وذلك تحت عنوان عام (الصفقة الاستعمارية : مصر والمغرب في الوفاق الودي عام 1904) من خلال هذه الموضوعات : نحو عقد الصفقات 1901 - 1903، إعداد الصفقة 1903 - 1904، إبرام الصفقة 1904.

● صدرت طبعة جديدة من كتاب (من ادب الدعوة الإسلامية) للدكتور عباس الجراري وتشمل هذه الطبعة إضافات وتنقيحات جديدة.

● من الكتب القيمة التي صدرت مؤخرا بالمغرب كتاب في المولد النبوي الشريف بقلم الشيخ المرحوم سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني بعنوان : (عيد المولد النبوي) وهو إضافة جديدة للمكتبة المغربية تتميز بالنفحة الصوفية وإشراقة البيان وشفافية الروح، وقد عنى بطبع الكتاب الأستاذ الباحث زين العابدين الكتاني، فخرج في حلة جميلة.

● (علم الجمال الروحي) كتاب للمرحوم الأستاذ امحمد ابن عبود. صدر مؤخرا.

● نظم اتحاد كتاب المغرب، فرع فاس، ندوة حول موضوع الثقافة المغربية من خلال الأطروحات الجامعية التالية :

- الحركة الثقافية في عهد المرينيين والوطاسيين.
للدكتور محمد بنشقرون
- الحركة الفكرية في عهد السعديين.
للدكتور محمد حجي
- الحركة الأدبية في عهد الدولة العلوية.
للدكتور محمد الأخضر غزال

وقد شارك في هذه الندوة الأساتذة :

- هاشم العلوي القاسمي
- أحمد بوشرب
- محمد المصري

مصر :

● احتفلت الأوساط الأدبية بمصر بالذكرى الخامسة والعشرين لوفاة الكاتب الإسلامي الكبير الدكتور محمد حسين هيكل صاحب عشرات المؤلفات الإسلامية الرائدة مثل كتاب (حياة محمد) الذي يعتبر فتحا جديدا في كتابة السيرة بالمنهج الحديث، وقد نشرت الصحف والمجلات مقالات ضافية عن الفقيد الكبير، وخصصت مجلة (الثقافة) عددا كاملا للفقيد شارك فيه كتاب كبار بعضهم من معاصريه.

مؤلفات الدكتور هيكل

الطبعة الأولى

1 - دين مصر (باللغة الفرنسية - رسالة الدكتوراه من جامعة باريس) 1912
2 - زينب 1914
3 - جان جاك روسو - الجزء الأول 1921
جان جاك روسو الجزء الثاني 1923
4 - في أوقات الفراغ 1925
5 - عشرة أيام في السودان 1927
6 - تراجم مصرية وغربية 1929
7 - ولدي 1931
8 - ثورة الادب 1933
9 - حياة محمد 1935
10 - في منزل الوحي 1937
11 - الصديق أبو بكر 1942
12 - الفاروق عمر الجزء الأول 1944
13 - الفاروق عمر الجزء الثاني 1945
14 - مذكرات في

السياسة المصرية
الجزء الأول 1951
مذكرات في السياسة المصرية
الجزء الثاني 1953
مذكرات في السياسية المصرية
الجزء الثالث 1978

(صدر بعد وفاة الدكتور هيكل وقد تركه مخطوطا)

15 ـ هكذا خلقت .. 1955
16 ـ الحكومة الإسلامية 1960
17 ـ الشرق الجديد 1963
18 ـ عثمان بن عفان 1964
19 ـ الايمان والمعرفة والفلسفة 1964
20 ـ قصص مصرية 1967

(صدرت هذه الكتب بعد وفاة الدكتور هيكل وقد ترك بعضها مخطوطا ونشر بعضها في الصحف).

• «المهدي بن تومرت ، حياته وآراؤه وأثره في المغرب» موضوع الرسالة العلمية المقدمة إلى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، من الأستاذ عبد المجيد النجار، المحاضر بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، لنيل درجة «الدكتوراه» في الشريعة الإسلامية.

ونال صاحبها درجة «الدكتوراه» في الشريعة الإسلامية، مع مرتبة الشرف الأولى، بعد مناقشة علمية استمرت نحوا من ثلاث ساعات.

•• توفي في القاهرة، في بداية هذه السنة الكاتب اللبناني (نجيب العقيقي) (1916 ـ 1982) الذي نشر جانبا هاما من إنتاجه في القاهرة، مثل رواية (أرض الله) التي صدرت طبعتها الأولى عن دار المعارف بمصر وتناول فيها حياة الفلاح المصري ومأساته.

كذلك صدر لنجيب العقيقي عن دار المعارف كتاب (المستشرقون) في جزءين، وهذا الكتاب يعد من المراجع الأساسية الموثقة التي لاغنى عنها لأي باحث عن المستشرقين (الفرنسيين والإيطاليين) من ناحية جذورهم التاريخية واتجاهاتهم الفكرية السياسية.

تونس :

• توفي إلى رحمة الله الشاعر التونسي الأستاذ محمد المرزوقي الذي ساهم في تنمية الحركة الوطنية التونسية، وقد اشتغل الفقيد في أغلب المجلات والصحف التونسية وكتب القصة والشعر والمقال وله مساهمات في العديد من البرامج الإذاعية والمحاضرات.

• صدر في تونس كتاب (التذكرة السعدية في الأشعار العربية) لمحمد بن عبد الرحمان العبيدي من رجال القرن الثامن الهجري بتحقيق الدكتور عبد الله الجبوري. يعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة في الشعر العربي، خصوصا وأنه نقل إلينا نصوصا مفقودة مثل (حماسة ابن فارس) و (حماسة العسكري).

العراق :

• فرغ الكاتب الإسلامي الكبير اللواء الركن محمود شيت خطاب من تأليف أربعة كتب جديدة من سلسلة (قادة الفتح الإسلامي)، كما أكمل المؤلف كتابا عن قادة النبي صلى الله عليه وسلم.

والكتب الأربعة هي :

1) قادة فتح السند وأفغانستان، جزء واحد.
2) قادة فتح إرمينية. جزء واحد.
3) قادة فتح بلاد ما وراء النهر. جزءين.
4) قادة فتح بلاد الروم. جزءين.

وقد صدرت للأستاذ الفاضل أجزاء من سلسلة قادة الفتح الإسلامي، منها كما هو معروف مجلد ضخم عن (قادة فتح المغرب العربي) الذي صدر منذ سنوات.

الم. ع. السعودية :

• توفي إلى رحمة الله تعالى الكاتب السعودي المعروف عبد العزيز الربيع عن عمر يناهز الثالثة والخمسين حيث ولد رحمه الله بالمدينة المنورة عام 1929م.

وقد خلف الفقيد مجموعة من المؤلفات نذكر منها :

ـ رعاية الشباب في الإسلام .
ـ بناء الفرد من وجهة التربية الإسلامية.
ـ التربية عند العرب قبل الإسلام.
ـ أبو لهب ، شخصية قلقة في المجتمع القرشي.
ـ موسوعة المدينة المنورة المختصرة.

لبنان :

• صدرت في بيروت «موسوعة الثقافة العربية المعاصرة» وهي موسوعة تحليلية نقدية ثمرة مجهود جماعي دولي، قام بوضعها مجموعة من الباحثين تنتمي إلى جامعات عربية وأوروبية وأمريكية وباشراف الأستاذ «جاك بيرك».

وقد تمت ترجمة الموسوعة إلى الفرنسية والانجليزية وإلى باقي اللغات الأوروبية الرئيسية.

سوريا :

• أصدرت مجلة (الثقافة) التي تصدر بدمشق عددا ممتازا عن (الأدب في المملكة المغربية)، تضمن أبحاثا وأعمالا أدبية لكتاب وأدباء وشعراء مغاربة.

الأردن :

• بعد مجموعته «المطر الرمادي» - 1977 . صدرت للكاتب الأردني ابراهيم العبسي مجموعة جديدة في بيروت عنوانها الخيار الثالث وتضم سبع قصص قصيرة.

تركيا :

• تحتفل الأوساط الأدبية الثقافية التركية الآن بذكرى مرور سبعمائة عام على مولد الشاعر الصوفي والفيلسوف جلال الدين الرومي الذي كان له أكبر الأثر على الثقافة التركية فضلا عن أثره على الأدب والثقافة الإيرانية والهندية تضمنت الاحتفالات به عرضا لقصائده ومناقشة أرائه في المجلات.

معظم أعمال جلال الدين الرومي ترجمت لمختلف اللغات ومن أشهر أعماله (ديوان شعر تبريزي).

باكستان :

• أصدر مجلة (الدراسات الإسلامية) التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية باسلام أباد باللغة العربية عددا ممتازا بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري.

الهند :

• (دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته) كتاب جديد للعلامة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي يتحدث عن قيمة الحديث العملية ودوره البناء الإيجابي في تكوين المجتمع الإسلامي وتأسيس الحياة الإسلامية على أساس السنة والشريعة والسيرة النبوية وصيانتها من الفساد والبدع والتحريف الديني .

صدر الكتاب عن المجمع الإسلامي العلمي لندوة العلماء لكهنو بالهند.

الاستاذ المكي بادو في ذمة الله

•• توفي إلى رحمة الله تعالى ، وهذا العدد قيد الطبع ، الأستاذ السيد المكي بادو ، الذي تولى منصب المفتش العام للأوقاف ، في أول عهد الاستقلال . وكان مديراً لمجلة "دعوة الحق" .

وقد خلفت وفاة الفقيد الكبير صدى حزن وأسى في أوساط أقاربه وأصدقائه وعارفي فضله .

رحم الله الأستاذ المكي بادو رحمة واسعة جزاء ما قدم لبلده وأمته من عمل نافع .

وإنا لله وإنا إليه راجعون

فهرس العدد 2 / السنة 23

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب

رقم الايداع القانوني 1981/3



للشاعر الأستاذ أحمد تسوكي

ضمخته الأرض بالنور، بأشذاء الورود
واحتوته في الجذور الزهر، في قلب الوجود
قبلته في الجبين الغض، في الجرح العنيد
حضنته بالمنى، بالشوق ، بالحب الوليد
بالأغاريد تحييه، بأنام الجدود
هدهدت آلامه، ثم دعته للخلود
لجنان ثرة الأكناف، سمحاء الوعود
ليس فيها نوح باك، إثم عاص، ظل دود

جرحه خيمة ضوء في الدجى للعابرينا
لركاب المجد يسمو، يتحدى السنينا
يرشف الفرسان منه، والعلى، والآخرونا
دمه نسغ الحقول الخضر، يرويها فتونا
وقناديل ازدهاء ، تتهادى لحونا
ومنارات مشعات شموخا ويقينا
أسكن الخلد وفجر نبعه للظامئينا
أنت في الغيب مقيم، إنما ذكرك فينا

وطن التوحيد والمحراب في ليل التحدي
يشعل الأقمار، يبني دون ضغن دون حقد
يسكب النور على الأرض، ويعطي دون حد
صامد بالحق، بالعزم، لقيد المتبد
خاله الغير سماء دون قصف، دون رعد
وطن المجد، تدفق كبرياء وتصدي
واندفع كالسيل، يطوي كل صخر، كل سد
قل لهم : إني شموس أحرق العتمة وحدي

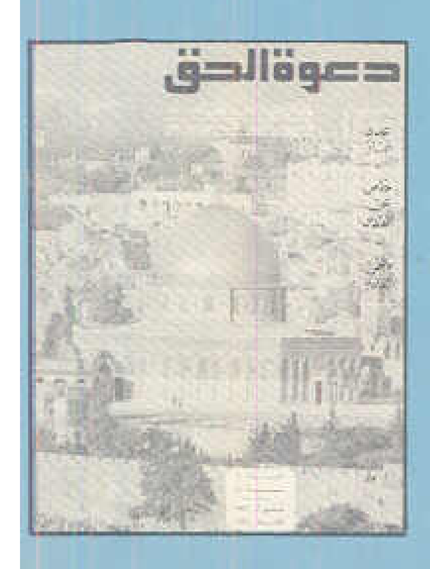
أي زهو ! هذه الأنجم ترنو للشهيد
تتملاه عهودا في عهود، في عهود !
هذه أحداق شعب يتنزى بالرعود
هذه أعياد تاريخ بخي رغيد
هذه مهجة أم، وقفت عند اللحود
يتندى دمعها بالترب، بالعطر المجيد :
فيك دنيا من بطولات وعرس من نشيد
أنا قلب، ودلو أعطى مزيدا في مزيد !

أعداد السنة 22 من مجلة "دعوة الحق"



















صدر العدد الأول في يونيو 1957